

نوح شكور

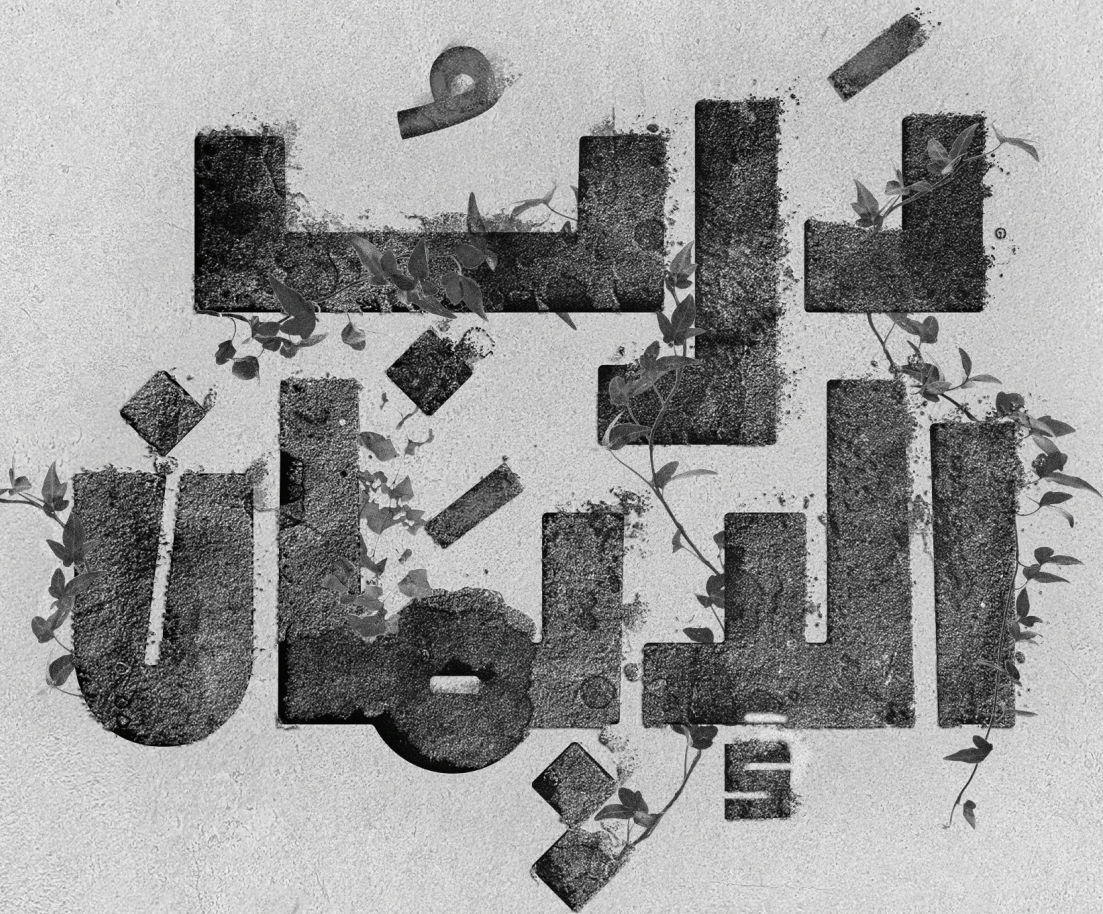
حبيب منارة



صناعة تلاميذ وزرع كنائس

حبيب منارة

نوح شكور



صناعة تلاميذ وزرع كنائس

الطبعة الأولى بيروت 2026

الكتاب: دَرْبُ الإِيمَان
صناعة التلاميذ وَزَرْعُ الكنائس

الكاتبان: نوح شكور
حبيب منارة

الناشر: درب الإيمان
بريد إلكتروني: info@darbaliyman.com
موقع إلكتروني: darbaliyman.com

دَرْبُ
الإِيمَان



امسح الرمز
لزيارة موقعنا

الترقيم الدولي: 979-8-9959645-0-6

تنقيح: شادي سعد
صموئيل عويس

تصميم الغلاف: جنيفر حداد

التصميم الداخلي: إيلان تابت

جميع الحقوق محفوظة للناشر وحده. غير أنه يُسعدنا أن تقوم بنسخ هذا الكتاب أو تنزيله من الموقع الإلكتروني، وإعداد نسخ منه وتوزيعها، شريطة عدم إجراء أي تعديلات على المحتوى دون الحصول على موافقة خطية مُسبقة من الناشر.

المحتويات

5	إهداء
7	المُقدِّمة
23	الفصل الأوَّل دعاءٌ وصلاة
45	الفصل الثاني روح الله يملؤنا
63	الفصل الثالث بادِرْ في اكتشاف الاحتياج
79	الفصل الرابع الجزء الأوَّل إيضاح رسالة الإنجيل
101	الفصل الرابع الجزء الثاني إيضاح رسالة الإنجيل
123	الفصل الخامس لله الكلمة، وليس للمُعَلِّم
143	الفصل السادس ابنُ السلام
165	الفصل السابع يُطيعون كلمة الله
187	الفصل الثامن مجموعاتٌ لا أفرادٌ
209	الفصل التاسع أجيالٌ بدءًا من الأوَّل إلى الثالث
229	الفصل العاشر نَزرع الرؤيةَ في الناس
249	المُلحق الأوَّل مشاركة رسالة الإنجيل
253	المُلحق الثاني «أسئلة الدراسة الثمانية»

إهداء

"درب الإيمان" منهاج وُلِدَ بعد سنوات من السعي لخدمة اللاجئين وتلمذتهم. لم يكن منهاجًا مُستوردًا ومُترجمًا إلى العربيّة، بل كان نتيجة جهودِ تدريبِ خدامٍ في صناعةِ التلاميذ، ثمَّ إشراكهم في إيجاد أفضلِ دربٍ يُساعدهم على طاعةِ يسوعَ في المأموريّة العظمى.

والآن، حين نرى نتيجةَ هذا المجهود، لا يسعنا إلّا أن نشكر جميع هؤلاء الخدام الذين شاركوا في أن يرى هذا الكتابُ النور. فإسهامهم في كلّ صغيرة وكبيرة، وآراؤهم واقتراحاتهم، كان لها الأثرُ الكبيرُ في منهاج "درب الإيمان".

نُصليّ أن يكون هذا المنهاجُ سببَ بركةٍ وتشجيعٍ، يساعد كلّ من يشتاق إلى رؤيةِ حركةٍ متجدّدةٍ لصناعةِ تلاميذٍ يتمجّدُ فيها الله.

المُقدِّمة

دَرْبُ الإِيْمَانِ: طَرِيقَةُ بَسِيطَةٍ عَمَلِيَّةٍ

لِتَلْمِذَةِ الأُمَمِ وَزَرْعِ الكَنَائِسِ

تَجَمَّعَ أَفْرَادٌ مِنَ الأَجَانِبِ فِي البَاحَةِ أَمَامَ المَسْجِدِ الأَمُوِيِّ فِي مَدِينَةِ دِمَشْقِ القَدِيمَةِ، وَقَسَّمَهُم مُرْشِدُهُم السِّيَاحِيُّ إِلَى مَجْمُوعَاتٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ شَخْصَيْنِ، وَأَوْصَاهُمْ بِأَنْ تَشُقَّ كُلُّ مَجْمُوعَةٍ طَرِيقَهَا عِبْرَ المَدِينَةِ القَدِيمَةِ لِتَصِلَ إِلَى كَنِيسَةِ القُدَيْسِ حَنَانِيًّا فِي غُضُونِ سَاعَتَيْنِ. يَسْتَطِيعُ أَيُّ شَخْصٍ عَلَى اِطْلَاعٍ بِالطَّرِيقِ أَنْ يَقْطَعَ هَذِهِ المَسَافَةَ بِسَهُولَةٍ فِي عِشْرِينَ دَقِيقَةً تَقْرِيبًا. وَلَكِنْ مَنْ لَا يَعْرِفُ الطَّرِيقَ، سِيَحْتَارُ فِي أَيِّ اتِّجَاهٍ يَنْبَغِي أَنْ يَسِيرَ وَسِيضِيع. أَرْسَلَ المُرْشِدُ السِّيَاحِيُّ كُلَّ مَجْمُوعَةٍ فِي اتِّجَاهٍ مُخْتَلِفٍ عِبْرَ أَرْقَةِ المَدِينَةِ القَدِيمَةِ الَّتِي تُشَبِّهُ المَتَاهَةَ. كَانَتِ التَّعْلِيمَاتُ بَسِيطَةً: لَمْ يَكُنْ بَاسِطَاعَتِهِمْ أَنْ يَسْتَخْدِمُوا الخَرِيطَةَ لِيجِدُوا طَرِيقَهُمْ، بَلْ كَانُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يَطْلُبُوا المُسَاعَدَةَ مِنَ السَّكَّانِ المَحَلِّيِّينَ.

يَخْتَرِ معظمُ النَاسِ الخَوْفَ عِنْدَمَا يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِمُ الِاعْتِمَادُ عَلَى مُسَاعَدَةِ الآخَرِينَ لَهُمْ، وَلَا سِيَّما عِنْدَمَا يَطْلُبُونَهَا مِنْ أَشْخَاصٍ مِنْ بِلَدٍ مُخْتَلِفٍ. لَكِنَّ الدَّلِيلَ السِّيَاحِيَّ كَانَ يَعْرِفُ طَبِيعَةَ السُورِيِّينَ وَثِقَافَتَهُمْ. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ المَارَّةَ فِي الشَّارِعِ لَنْ يَقُولُوا بِبَسَاطَةٍ: «أَمْشِ مَسَافَةً مِئَةَ مِترٍ، ثُمَّ انْعِطِفْ يَمِينًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ خُذِ المُنْعِطَفَ الثَّانِي مِنْ جِهَةِ الِيسَارِ...إِلْخ»، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا

دَرْبُ الْإِيمَانِ

سَيُوسِدُونَ بِدِيهِمْ وَيَسِيرُونَ مَعَهُمْ لِيُوصِلُوهُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَرِيدُونَ الْوَصُولَ إِلَيْهِ.

لَا يَعْرِفُ السَّيَّاحُ الطَّرِيقَ، وَلَكِنْ يُوجَدُ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ كَثِيرُونَ حَرِصُونَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِمْ فِي الْعَثُورِ عَلَى وُجْهِتِهِمْ. هَكَذَا نَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ. فَقَدْ اقْتَنَعَ كَثِيرُونَ بِرَغْبَةِ يَسُوعَ فِي أَنْ نَطِيعَ مَأْمُورِيَّتَهُ الْعُظْمَى بِالذَّهَابِ إِلَى الْأُمَمِ وَتَلْمَذَتِهِمْ. وَنَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى وَجُودِ كَثِيرٍ مِنَ الْكُنَائِسِ وَالْمُؤْمِنِينَ عَبْرَ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ وَشَمَالِ أَفْرِيقِيَا مِمَّنْ يَقُومُونَ بِتَلْمِذَةِ الْآخَرِينَ بِنَشَاطٍ بِوصفِ ذَلِكَ فِعْلٍ طَاعَةٍ لَوْصِيَّةِ يَسُوعَ. وَنَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ لَا يَعْرِفُونَ كَيْفِيَّةَ الْقِيَامِ بِذَلِكَ. يَرِيدُونَ أَنْ يَصْنَعُوا التَّلَامِيذَ لَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الدَّرَبَ الَّذِي يَجْدُرُ بِهِمْ أَنْ يَسْلُكُوا فِيهِ لِيَصِلُوا إِلَى وُجْهِتِهِمْ النَّهَائِيَّةِ.

يُوجَدُ كَثِيرُونَ مِمَّنْ يَسِيرُونَ عَلَى هَذَا الدَّرَبِ وَيَسْتَطِيعُونَ مُسَاعَدَتَكَ. لِسْنَا الْوَحِيدِينَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَلَا نَدْعِي أَنْ تَدْرِبَ «دَرْبُ الْإِيمَانِ» هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ، أَوْ حَتَّى إِنَّهُ أَفْضَلُ تَدْرِيبٍ لَكَ تَعْتَمِدُهُ فِي سِيَاقِكَ. لَكِنَّا مَقْتَنِعُونَ أَنَّهُ تَدْرِيبٌ جَيِّدٌ أَمِينٌ كِتَابِيٌّ مَنَاسِبٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا فِي مَسَاعَانَا نَحْوِ إِطَاعَةِ وَصِيَّةِ يَسُوعَ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَلْمِذَةِ الْأُمَمِ عَلَى نَحْوِ مُتَزَايِدٍ. وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ حَرِيصًا عَلَى إِطَاعَةِ يَسُوعَ فِي التَّلْمِذَةِ، وَلَكِنَّكَ غَيْرُ مُتَأَكِّدٍ مِنْ كَيْفِيَّةِ الْوَصُولِ إِلَى مَنْ هُمْ مِنْ حَوْلِكَ، لَا سَيِّمَا الْوَصُولَ إِلَى الْمُخْتَلِفِينَ عَنْكَ، فَإِنَّا نَوَدُّ أَنْ نُمَسِّكَ يَدَكَ وَنَقُودَكَ إِلَى هُنَاكَ. تَبْدَأُ رَحْلَةُ الْأَلْفِ مِيلٍ بِخَطْوَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهَذِهِ الْخَطْوَةُ الْأُولَى قَدْ تَتِمُّثَلُّ بِالنِّقَاطِ هَذَا الْكِتَابِ. نَأْمَلُ مُسَاعَدَتَكَ لَتُكْمَلَ رَحْلَتُكَ لَتَرَى مَجْدَ اللَّهِ بِوَاسِطَةِ صِنَاعَةِ التَّلَامِيذِ وَزَرْعِ الْكُنَائِسِ.

وُلِدَ تَدْرِيبُ «دَرْبُ الْإِيمَانِ» فِي الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ بَعْدَ قِضَاءِ سِنَوَاتٍ مِنَ السَّعْيِ فِي خِدْمَةِ الْلَاكِنِيِّينَ وَتَلْمَذَتِهِمْ، سَوَاءً أَكَانُوا مِنْ خَلْفِيَّةٍ مَسِيحِيَّةٍ أَمْ

مُسْلِمَة، وقد زرناهم في منازلهم من أجل مشاركة بذور الرجاء. وصلينا أن يختبر الناس محبة الله التي ظهرت في المسيح بواسطتنا حتى يتقبلوا عملية استكشاف هويته يسوع. تشكّل فريقنا من جميع أنحاء العالم العربي، إضافة إلى عدد قليل من الأجانب. وقد تصارعنا للعثور على أفضل الأساليب لإيصال الأخبار السارة عن الإنجيل للمسلمين وللمسيحيين التقليديين. وفي أثناء تلك الفترة، درّبنا خُدامًا جُددًا في «حركات صناعة التلاميذ». وقد أحببنا التركيز على تشجيع الناس على قراءة الكتاب المقدّس، والتركيز على أهميّة الصلاة ومركزيتها. ومع ذلك، فقد شعرنا أن هذا التدريب لا ينتمي إلى هذه المنطقة، وهو أمرٌ طبيعيّ، إذ إنّه جرى تطويره خارج العالم العربيّ ثمّ تُرجم ببساطة إلى اللغة العربيّة. ولذلك، قرّرت مجموعة صغيرة منّا- ممّن ساعدوا في التدريب- إنتاج تدريب جديد يشكّل من سياقنا العربيّ.

أمضينا أيامًا طويلةً نناقش فيها المبادئ الكتابيّة لصناعة التلاميذ وزراعة الكنائس. وكانت بيننا مُحاجّاتٌ لكي نُقرّر المبادئ الأهمّ التي لا يجوزُ استبعادها. في نهاية المطاف، قرّرنا التركيز على عشرة مبادئ لأنّ الرقم «عشرة» هو عددٌ جيّدٌ مناسب. ولا نقصدُ أن نقولَ إنّه تُوجدُ فقط عشرة مبادئ كتابيّة للتملذة وزراعة الكنائس. قد يُحدّد شخصٌ آخر تسعة مبادئ أو ثلاثة عشر مبدأً أو خمسة عشر مبدأ. لكننا قرّرنا تضمين كلّ ما هو ضروريّ في أسهل استراتيجيّة وأكثرها قابليّة للتضاعف.

اتفقنا على أهميّة هذه المبادئ العشرة وضرورتها في خدمتنا في صناعة التلاميذ. ولكن، كيف نستطيع القيام بتعليمها بتدريبٍ يُلاقي ترحيبًا من الآخرين ويكوّن سهلًا عليهم تعلّمه وتدكّره وتمريزه إلى آخرين؟ فارتأينا أن نجَمع حروفًا مُختارةً لتشكّل كلمةً نختصر بواسطتها هذه المبادئ. ومع

عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ الْاِخْتِصَارَاتِ يُسْتَعْمَلُ فِي لُغَاتٍ أُخْرَى عَلَى نَحْوِ
أَوْسَعِ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَإِنَّا نَجِدُ بَعْضَ الْأَمْثَلَةِ، مِثْلَ كَلِمَتَيْ
«دَاعِش» و«حَمَاس» الْمَعْرُوفَتَيْنِ عَلَى نَحْوِ وَاسِعٍ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ.

طَرَحَ أَشْخَاصٌ مُخْتَلِفُونَ مِنْ مَجْمُوعَتِنَا أَفْكَارًا كَثِيرَةً. حَاوَلَ بَعْضُ
النَّاسِ اسْتِخْدَامَ أَاسْمَاءِ يَسُوعَ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مِثْلَ: «عَمَّانُئِيلَ،
وَمَلِكِ الْمُلُوكِ، وَخُبْزِ الْحَيَاةِ»، بَيْنَمَا اقْتَرَحَ آخَرُونَ كَلِمَاتٍ لَا تَحْمِلُ أَيَّ
مَعْنَى. لَكِنَّا لَمْ نَصِلْ إِلَى اتِّفَاقٍ. فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ، قَرَّرَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ
أَنَّا لَنْ نُعَادِرَ الْغُرْفَةَ حَتَّى نَجِدَ عِبَارَةً تَخْتَصِرُ عَلَى نَحْوِ جَيِّدِ الْمَبَادِي الْعَشْرَةِ
لِنُسْتَعْمِلَهَا. وَبَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ كَتَبَ «لِيث»، وَهُوَ عِرَاقِي، الْاِخْتِصَارَ الْآتِي:
«دَرْبُ الْإِيمَانِ»، وَأَعَادَ صِيَاغَةَ عِدَدٍ قَلِيلٍ مِنَ الْمَبَادِي حَتَّى تَبْدَأَ بِالْحَرْفِ
الصَّحِيحِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ هِيَ النَتِيجَةُ.

لَقَدْ أَحْبَبْنَا التَّسْمِيَةَ، «دَرْبُ الْإِيمَانِ»، لِأَنَّهُ الدَّرَبُ الَّذِي يَجْدُرُ بِنَا السَّيْرَ
فِيهِ مَعَ يَسُوعَ. لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِلَ إِلَى يَسُوعَ بِاعْتِمَادِ طُرُقِنَا الشَّخْصِيَّةِ.
يَتَطَلَّبُ الْأَمْرُ أَنْ نَتَّقَ بِعَظِيمِي الصَّدَاقَةِ وَالْخِلَاصِ الْمَجَانِيَّتَيْنِ الصَّادِرَتَيْنِ
مِنْ يَسُوعَ، وَأَنْ نُصَدِّقَهُمَا وَأَنْ نَقْبَلَهُمَا وَأَنْ نَنْضَمَّ إِلَيْهِ فِي طَرِيقِ الْإِيمَانِ.
يَعْتَقِدُ مُعْظَمُ الْأَشْخَاصِ مِنْ حَوْلِنَا، سِوَاءَ أَكَانُوا مُسْلِمِينَ أَمْ مَسِيحِيِّينَ، أَنَّ
اللَّهَ سَيَقْبَلُهُمْ إِنْ قَامُوا بِمَا يَكْفِي مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَكِنَّا نَعْلَمُ مَدَى
اسْتِحَالَةِ هَذَا الْأَمْرِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، فَإِنَّا نَحُثُّهُمْ لِيَتَوَقَّفُوا عَنْ مُحَاوَلَةِ كَسْبِ
مَحَبَّةِ اللَّهِ بِوَاسِطَةِ أَعْمَالِهِمْ، وَأَنْ يَقْبَلُوا مَحَبَّتَهُ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ بِالْإِيمَانِ.

يَدْعُونَا «دَرْبُ الْإِيمَانِ» إِلَى الْعَمَلِ. يُعْنَى هَذَا الْكِتَابُ بِتَلْمِذَةِ الْأَمَمِ
وَزَرْعِ الْكِنَائِسِ. لَا نَهْدَفُ إِلَى أَنْ نُقْنِعَكَ بِإِطَاعَةِ الْمَأمُورِيَّةِ الْعُظْمَى (حَيْثُ
نَتَّقُ أَنَّكَ تَرِيدُ ذَلِكَ حَقًّا)، بَلْ نُرِيدُ أَنْ نُسَاعِدَكَ عَلَى إِطَاعَتِهَا. قَالَ رَبُّنَا يَسُوعُ
إِنَّهُ إِنْ أَحْبَبْنَاهُ فَسَنُطِيعُهُ (يُوحَنَّا 14: 23). لَا بُنْيَا طَاعَتِنَا لَهُ عَلَى قُوَّتِنَا

الذاتية بل بالاعتماد على قُوَّته. نُطيع بالإيمان؛ إذ إننا لا نبدأ فقط مسيرتنا مع يسوع بالإيمان، بل أيضًا نواصل تلك المَسيرة معه بالإيمان. ننظرُ إلى يسوع في كُلِّ يومٍ ونثق به ليَحَقِّقَ كُلَّ وُعودِهِ لنا. وَحَتَّى عندما نَسِيرُ معه ونُطيعه بواسطة صناعةِ التلاميذ وَزَرعِ الكنائس، فإننا نَسِيرُ بالإيمان ونثق به في عمليةِ تغيير القلوب وتأسيس كنيسته.

يُمَثِّلُ كُلُّ حَرْفٍ من حروف عبارة «دَرْبِ الإيمان» مبدأً من المبادئ العشرة. كما نلاحظُ تَسْلُسُلًا منطقيًا بين المبادئ التي سنكتشفها في هذا الكتاب. قد يَصُغَّبُ تَذَكُّرُ عشرةِ مبادئٍ عشوائيةٍ، ولكن يَسْهُلُ تَذَكُّرُ عبارة «دَرْبِ الإيمان» والمبادئ التي يُمَثِّلُها كُلُّ حَرْفٍ منها. وبمجرَّد تَعَلُّمِ المبادئ، نستطيع معرفة ما المقصود بحَرْفِ «الدال» أو حَرْفِ «اللام» أو حَرْفِ «الميم» وهكذا دواليك. يُسْهُلُ هذا التدريبُ عمليةَ تعليم المبادئ ومضمونها ويُساعد على انتقالها إلى الآخرين.

هذه هي المبادئ العشرة لـ«دَرْبِ الإيمان»:

- د = دعاءٌ وصلاة
- ر = روح الله يملؤنا
- ب = بادِرُ في اكتشاف الاحتياج
- ا = إيضاح رسالة الإنجيل
- ل = لله الكلمة، وليس للمُعَلِّم
- ا = ابنُ السلام
- ي = يُطيعون كلمة الله
- م = مجموعات لا أفراد
- ا = أجيالٌ بدءًا من الأوَّل إلى الثالث
- ن = نَزَرع الرؤية في الناس

النهاية تُحدِّدُ البداية

لكي تَعْرِفَ نقطة البداية في آيَّةِ رحلةٍ تَخْرُجُ فيها، لا بُدَّ أَنْ تَعْرِفَ الْوُجْهَةَ التي تريد الذهابَ إليها. فَإِنْ رَغِبْتَ فِي الذهابِ مِنْ مَدِينَةِ عَمَّانَ إِلَى مَدِينَةِ دِمَشْقَ (التي تقع شَمَالُ عَمَّانَ)، فلن تبدأَ بقيادة سيارتك جنوباً باتجاه الطريق الصحراوي. تحتاج إِذَا إلى التحقق مِنْ أَنَّكَ تَسْلُكُ الطريقَ الصحيح. كانت طريقة السَّفَرِ قديمًا، قَبْلَ وجود «غوغل - Google»، هي أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الخريطة، فتَعُثِّرَ عَلَى مَدِينَةِ دِمَشْقَ، ثُمَّ تَتَّبِعَ الطريقَ رجوعًا إِلَى عَمَّانَ. وَتَعْرِفَ بهذه الطريقة مِنْ أَيْنَ تبدأَ عَلَى وَجْهِ التحديدِ لَكَ تَصِلَ إِلَى دِمَشْقَ.

نهدف مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، أَنْ نُسَاعِدَكَ عَلَى صِنَاعَةِ التَّلَامِيذِ وَزَرْعِ الْكِنَائِسِ. وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ تبدأ؟ نبدأُ بِالاسْتِنَادِ إِلَى هَذَا الْمَبْدَأِ الْبَسِيطِ: «النهاية تُحدِّدُ البداية». فَمِنْ أَجْلِ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الْبَدْءِ فِي صُنْعِ التَّلَامِيذِ وَزَرْعِ الْكِنَائِسِ؛ نبدأُ مِنَ الْنَهَايَةِ. نُحَدِّدُ هُوِيَّةَ التَّلَامِيذِ الصَّحِيِّ، وَالْعُنَاصِرَ الَّتِي تَبْنِي كَنِيسَةً صَحِيَّةً. وَمِنْ ثَمَّ، نبدأُ بِإِيجَادِ طَرِيقِنَا رَجوعًا خَطْوَةً تَلُو الْأُخْرَى حَتَّى نَصِلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي نُوْجَدُ فِيهِ حَالِيًا.

فَكَّرْ فِي جَانِبٍ وَاحِدٍ مِنْ جَوَانِبِ الْكَنِيسَةِ الصَّحِيَّةِ وَهُوَ الصَّلَاةُ. كَيْفَ تَبْدُو الْكَنِيسَةُ الْمُكْرَّسَةُ لِلصَّلَاةِ؟ يَلْتَزِمُ كُلُّ شَخْصٍ فِي الْكَنِيسَةِ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي بِإِيمَانٍ وَبِمَوَاطَبَةٍ فِي مَنْزِلِهِ وَمَعَ أُسْرَتِهِ. تَلْتَزِمُ الْكَنِيسَةُ، بِجَمِيعِ أَعْضَائِهَا، بِالصَّلَاةِ، وَتَشْتَاقُ إِلَى الْاجْتِمَاعِ مَعًا لَطَلَبِ وَجْهِ الرَّبِّ، حَيْثُ إِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ فِي الْأُسْبُوعِ عِنْدَمَا يَجْتَمِعُونَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمِ الْأَحَدِ، بَلْ يَجْتَمِعُونَ أَيْضًا لِلصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى.

عندما يجتمع الْمُؤْمِنُونَ للصلاة، فَإِنَّهُمْ يُصَلُّونَ جَمِيعًا، وَتَكُونُ صلواتهم واضحةً مُوجَّهَةً هادفةً، تَحْمِلُ الكلماتُ معانيَ الشكر والتسبيح والتمجيد والاعتراف والتوبة والتشفُّع والطلبات. وَهُمْ يُصَلُّونَ لَيْسَ فَقَطْ مِنْ قُلُوبِهِمْ، بَلْ أَيْضًا يَصْرِفُونَ الْوَقْتَ فِي الْإِصْغَاءِ إِلَى قَلْبِ اللَّهِ، حَيْثُ إِنَّهُمْ يَتَوَصَّلُونَ مَعَ اللَّهِ بِوَاسِطَةِ الصَّلَاةِ. وَلَكِنْ، كَيْفَ نَصِلُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ؟

ما الخطوة التي تَسْبِقُ حَيَاةَ الصَّلَاةِ الْجَمَاعِيَّةِ النَشِطَةِ؟ الْإِجَابَةُ: لَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيمِ تَعْلِيمٍ عَنِ الصَّلَاةِ وَالْإِفْسَاحِ فِي الْمَجَالِ لِمُمَارَسَةِ الْأُمُورِ الَّتِي تَعَلَّمُوهَا، فَيَبْدَأُونَ بِأَوْقَاتٍ بَسِيطَةٍ يَقْضُونَهَا فِي الصَّلَاةِ، حَيْثُ يُجَسِّدُ فِي أَنْثَانِهَا الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ مِثَالًا حَيًّا لِلآخَرِينَ، كَمَا يَحْتَفِلُونَ مَعًا بِاسْتِجَابَاتِ الصَّلَاةِ. مَا الْخُطْوَةُ الَّتِي تَسْبِقُ هَذِهِ الْخُطْوَةَ؟ الْإِجَابَةُ: يَدْرُسُ النَّاسُ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ مَعًا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْرِفُوا «مَاهِيَّةَ الصَّلَاةِ»، وَيُحَاوِلُونَ فِي الْبَدَايَةِ أَنْ يُصَلُّوا وَيُشْجَعُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الصَّلَاةِ.

قَبْلَ ذَلِكَ، قَدْ نَجِدُ شَخْصًا وَاحِدًا أَوْ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِمَّنْ يُصَلُّونَ بِحَرَارَةٍ وَجُرْأَةٍ، وَيُشَارِكُونَ الْآخَرِينَ بِاسْتِجَابَاتِ صَلَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ وَالطَّرِيقَةِ الَّتِي لَاقَاهُمُ اللَّهُ فِيهَا بِوَاسِطَةِ الصَّلَاةِ، وَيُصَلُّونَ مَعَ النَّاسِ وَمِنْ أَجْلِهِمْ كَلِمًا سَنَحَتْ لَهُمُ الْفُرْصَةَ لِذَلِكَ، حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنِ الشَّخْصُ مُؤْمِنًا بَعْدُ. وَقَبْلَ كُلِّ هَذَا، قَدْ يَجْتَمِعُ مُحَارِبُو الصَّلَاةِ هَؤُلَاءِ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ لِلصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ مَا لَا يَسْتَطِيعُونَ فِعْلَهُ؛ أَيْ أَنْ يَخْلُقَ فِي قُلُوبِ الْآخَرِينَ شَغْفًا وَرَغْبَةً فِي الصَّلَاةِ.

وبهذه الطريقة، نبدأ من النهاية، وَمِنْ ثَمَّ، نَسِيرُ إِلَى الْخَلْفِ لِنُحَدِّدَ الْخُطُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ الْضَرُورِيَّةَ لِتَحْقِيقِ الْهَدَفِ. نَسِيرُ عَلَى نَحْوِ عَكْسِيٍّ طَوَالَ الطَّرِيقِ لِنَصِلَ إِلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ، ثُمَّ نَأْخُذُ الْخُطْوَةَ التَّالِيَةَ الْمَوْضُوعَةَ

أمامنا. في هذه الحالة، تَكُونُ الخطوة الأولى هي الصلاة (وهي أَفْضَلُ مكانٍ دائماً للبدء). وبينما نُصَلِّي، نَطْلُبُ من الله أَنْ يَكْشِفَ لنا كَيْفِيَّةَ قِيادته لنا، ثُمَّ نَخْطُطُ بشأن كَيْفِيَّةِ تشجيع الآخرين على الصلاة وتعليمهم ماهيَّة الصلاة والكَيْفِيَّةِ التي بها نَكُونُ مثلاً لهم.

ولكي نَحْدَدَ الْمَسَارَ الصحيح على نحوٍ أَفْضَل، نحتاج إلى رُؤْيَةٍ واضحةٍ للمكان الذي سَنَذْهَبُ إليه. سيساعدك هذا الْكِتَابُ على التفكير في الْمَسَارِ الذي تحتاج إلى اتِّباعه مِنْ أَجْلِ صناعةِ التلاميذ وَزَرْعِ الْكِنَائِسِ. سَنَذْكُرُكَ على مدى صفحات هذا الْكِتَابِ بحقيقة أَنَّ التلاميذ والكنائس هُمْ «الهدف». وبينما تضع الهدف نُصَبَ عَيْنُكَ سَتَتَجَهَّزُ على نحوٍ أَفْضَل لَاتِّخَاذِ الخطوات الضرورية للوصول إلى هذا الهدف.

سَيَتَطَلَّبُ هذا الأمر أَنْ نَبْذَلَ جَهْدًا مُسْتَمِرًّا، وَأَنْ نَدْرُسَ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ باجتهاد، وَأَنْ نَتَعَرَّفَ على الْمُجْتَمَعِ الذي نعيش فيه على نحوٍ وثيق. كما نحتاج إلى التخطيط بعناية، وهو ليس بالأمر السهل. تَذَكَّرْ أَنَّ ما يَأْتِي بسهولةٍ لَن يَدُومُ طويلاً وما يَدُومُ طويلاً لَن يَأْتِيَ بسهولةٍ. نريد تلاميذاً يَدُومُونَ وَكِنَائِسَ تَدُومُ.

بَنَّاوُنْ حُكَمَاءَ يَعْمَلُونَ مَعَ اللَّهِ

نَحْصُلُ على لمحةٍ عن الاحتياج إلى التخطيط الدقيق من الطريقة التي تَحَدَّثَ بها الرسول بولس عن خِدْمَتِهِ وعن الذين سيأتون مِنْ بَعْدِهِ. قال الرسول بولس في رسالته إلى أَهْلِ كورنثوس:

«فَمَنْ هُوَ بُولُسٌ وَمَنْ هُوَ أَبْلُوسُ؟ بَلْ خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوِاسِطَتِهِمَا وَكَمَا أَعْطَى الرَّبُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ: أَنَا غَرَسْتُ وَأَبْلُوسُ سَقَى لَكِنَّ اللَّهَ كَانَ يُنْمِي. إِذَا

لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلَا السَّاقِي بَلِ اللَّهُ الَّذِي يُنْمِي. وَالْغَارِسُ وَالسَّاقِي هُمَا وَاحِدٌ وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَأْخُذُ أَجْرَتَهُ بِحَسَبِ تَعْبِهِ. فَإِنَّا نَحْنُ عَامِلَانِ مَعَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ فَلَاحَةُ اللَّهِ بِنَاءِ اللَّهِ. حَسَبَ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةِ لِي كِبْنَاءِ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتَ أَسَاسًا وَآخَرَ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلَكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وَضَعَ الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (1 كورنثوس 3: 5-11).

أَعِدْ قِرَاءَةَ الْمَقْطَعِ، واطْرَحِ الْأَسْئَلَةَ الْآتِيَةَ:

1. ماذا نَتَعَلَّمُ عن الرسول بولس وعن أبُلُّوس في هذا المَقْطَعِ؟
2. ماذا نَتَعَلَّمُ عن الله في هذا المَقْطَعِ؟

أَعْلَنَ الرَّسُولُ بولس بوضوح أَنَّهُ يُمَكِّنُ الاستغناء عنه هو وأَبُلُّوس، فقد تَصَارَعَ أَهْلُ كورنثوس حَوْلَ السُّؤَالِ: «مَنْ هُوَ أَعْظَمُ؟»؛ فقال بعضهم: «أنا تابع لبولس»، وقال آخرون: «أنا تابع لأَبُلُّوس» (راجع الآية 4). أَعْلَنْتُ كُلَّ مَجْمُوعَةٍ تَفَوَّقَهَا عَلَى الْآخَرَى بِالْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ قَائِدَهَا هُوَ الْأَفْضَلُ. وَيُنْهِي الرَّسُولُ بولس هذا الجِدَالَ بِقَوْلِهِ إِنَّهُ هُوَ وَأَبُلُّوس خَادِمَانِ فَقَطْ.

إِنَّ السُّلْطَةَ الْكَامِلَةَ هِيَ لِلَّهِ فَقَطْ، فَهُوَ الرَّبُّ وَالسَيِّدُ عَلَى الْجَمِيعِ. إِنَّ الْخِدْمَاتِ الْمُثْمِرَةَ الَّتِي كَانَتْ لِلرَّسُولِ بولس ولأَبُلُّوس هِيَ مِنَ الرَّبِّ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي «أَعْطَى... لِكُلِّ وَاحِدٍ» (الآية 5).

كَانَ الرَّسُولُ بولس وَأَبُلُّوس خَادِمَيْنِ (بِنَاءً عَلَى الْآيَةِ 6)، وَقَدْ أَدَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دَوْرًا مُخْتَلِفًا؛ الرَّسُولُ بولس زَرَعَ وَأَبُلُّوس سَقَى، وَكَانَ دَوْرُ كُلِّ مِنْهُمَا مُتَمَيِّزًا وَمُهِمًّا. وَمَعَ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ لَأَيٍّ مِنْهُمَا الدَّورُ الْحَاسِمُ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُنْمِي (الآية 7).

يَعْمَلُ خُدَامُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ، كَمَا أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ مَعَ الرَّبِّ. فِي الصُّورَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ الْأُولَى، كَانَ الرَّسُولُ بُولُسُ وَأَبُلُّوسُ يَعْمَلَانِ مَعًا فِي الزَّرْعِ وَالْحَصَادِ، ثُمَّ غَيَّرَ الرَّسُولُ بُولُسُ الصُّورَةَ التَّشْبِيهِيَّةَ، فَقَالَ إِنَّهُمَا مَعًا يَعْمَلَانِ مَعَ اللَّهِ عَلَى بِنَاءِ كَنِيسَتِهِ. قَالَ الرَّسُولُ بُولُسُ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ بِنَاءٌ حَكِيمٌ (الآيَةُ 10). وَبوصفه بِنَاءٌ حَكِيمًا، حَرَصَ الرَّسُولُ بُولُسُ عَلَى الْبِنَاءِ عَلَى نَحْوٍ صَحِيحٍ. يَحْتَاجُ أَيُّ بِنَاءٍ حَكِيمٍ إِلَى دَرَاةِ الْمَشْرُوعِ أَوَّلًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ، يَحْتَاجُ إِلَى وَضْعِ الرُّسُومَاتِ اللَّازِمَةِ وَتَجْهِيْزِ الْمَوَادِّ، ثُمَّ يَحْتَاجُ إِلَى وَضْعِ الْأَسَاسِ. وَسَيُخْتَلَفُ الْأَسَاسُ طَبْعًا فِي حَالِ كَانَ الْبِنَاءُ مَنَزِلًا أَوْ مَرْكَزًا تِجَارِيًّا، أَوْ إِنْ كَانَ الْبِنَاءُ مَتَجَرًّا أَوْ بُرْجًا. يَجْدُرُ بِالْبِنَاءِ الْحَكِيمِ أَنْ يَقُومَ بِالِاسْتِعْدَادِ وَالتَّخْطِيطِ مَعَ وَضْعِ الشَّكْلِ النَّهَائِيِّ بَعَيْنِ الْاِعْتِبَارِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَسَاسَ الْعَمِيقَ الْقَوِيَّ سَيَتَحَمَّلُ ثَقْلَ بَرَجٍ شَاهِقٍ. إِنَّ النِّهَايَةَ تُحَدِّدُ الْبَدَايَةَ، لِذَلِكَ يُحَدِّدُ ارْتِفَاعُ الْمَبْنَى وَحَجْمُهُ عُمُقَ الْأَسَاسَاتِ وَشَكْلَهَا.

يَنْطَبِقُ الْأَمْرُ نَفْسَهُ عَلَى زَرْعِ الْكُنَائِسِ. نَبْدَأُ مَعَ وَضْعِ الصُّورَةِ النَّهَائِيَّةِ فِي أَذْهَانِنَا، وَهَذِهِ الصُّورَةُ النَّهَائِيَّةُ هِيَ أَنْ تَكُونَ لَدِينَا كَنِيسَةٌ صَحِيَّةٌ. وَمِنْ ثَمَّ، نَخْطُطُ وَنُعِدُّ الْعُدَّةَ حَتَّى نَضَعَ الْأَسَاسَاتِ الْمُنَاسِبَةَ لِبِنَاءِ كَنِيسَةٍ عَلَيْهَا. عَلِمَ الرَّسُولُ بُولُسُ أَنَّهُ عَامِلٌ وَاحِدٌ فَقَطْ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِي آخَرُونَ مِنْ بَعْدِهِ وَسَيَلْعَبُونَ أَيْضًا أَدَوَارًا مُهِمَّةً فِي بِنَاءِ كَنِيسَةِ اللَّهِ. وَقَدْ حَثَّ الرَّسُولُ بُولُسَ أَوْلَئِكَ الْبَنَائِينَ الْمُسْتَقْبَلِيِّينَ بِقَوْلِهِ: «قَدْ وَضَعْتُ أَسَاسًا وَآخَرُ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلَكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ» (الآيَةُ 10). يَجْدُرُ بِالْبَنَائِينَ الَّذِينَ سَيَأْتُونَ بَعْدَ الْبِنَاءِ الْحَكِيمِ أَنْ يَنْتَبِهُوا إِلَى الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَبْنُونَ بِهَا بِنَاءَهُمْ. وَيَجْدُرُ بِهِمْ أَيْضًا أَنْ يَدْرُسُوا بَعْنَايَةَ، وَأَنْ يُخْطَطُوا، وَأَنْ يَسْتَعِدُّوا لِأَنَّهُمْ سَيَلْعَبُونَ دَوْرَهُمْ فِي بِنَاءِ كَنِيسَةِ اللَّهِ. لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَبْنِيَ بِبَسَاطَةٍ

أَيَّ بِنَاءٍ يَرْغَبُ فِيهِ وَفَقًّا لِهَوَاهُ عَلَى أَسَاسٍ وَضَعَهُ شَخْصٌ آخَرُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَنَاسَقَ الْمَبْنَى مَعَ الْأَسَاسِ الْمَوْضُوعِ مُسَبِّقًا.

إِنَّ الْأَسَاسَ الْمَوْضُوعَ هُوَ «يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (الآية 11)، وَنَحْنُ نَبْنِي كَنِيسَتَهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَسَاسٌ آخَرُ. وَالْكَنِيسَةُ الْمَبْنِيَّةُ عَلَى أَيِّ أَسَاسٍ آخَرٍ، لَيْسَتْ كَنِيسَةً حَقِيقِيَّةً. نَجِدُ التَّصَامِيمَ وَالْمُخَطَّطَاتِ لِلْكَنِيسَةِ اللَّهِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، سَنَقُومُ فِي هَذَا الْكِتَابِ بِتَأْصِيلِ كُلِّ تَعْلِيمٍ مِنَ النُّصُوصِ الْمُقَدَّسَةِ. وَبِوَاسِطَةِ دَرَاةٍ مُتَأَنِّيَةٍ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَبِقِيَادَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، سَنَضَعُ خُطًّا مُفَصَّلَةً لِكَيْفِيَّةِ زِرَاعَةِ كَنَائِسٍ جَدِيدَةٍ. قَدْ تَخْتَلَفَ بَعْضُ تَفَاصِيلِ الْمُخَطَّطَاتِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ، لَكِنَّ الْمَبَادِئَ الْأَسَاسِيَّةَ هِيَ نَفْسُهَا. سَتَبْدُو الْكَنِيسَةُ فِي الْأَحْيَاءِ الْفَقِيرَةِ فِي الْقَاهِرَةِ مُخْتَلِفَةً عَنِ كَنِيسَةٍ بَيْنَ طَبَقَةِ النُّخْبَةِ فِي الْأَحْيَاءِ الْغَنِيِّةِ فِي دُبَيٍّ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَتِ الْكَنِيسَتَانِ كِلَاهُمَا صَحِيَّتَيْنِ كِتَابِيَّتَيْنِ، فَسَتَشَابِهَانِ كَثِيرًا لِأَنَّهُمَا مُسْتَنْدَتَانِ إِلَى الْمُخَطَّطَاتِ نَفْسِهَا وَفَقًّا لِكَلِمَةِ اللَّهِ.

المبادئ العشرة لتدريب «دَرْبِ الْإِيمَانِ»

يُعَلِّمُ هَذَا الْكِتَابُ عَشْرَةَ مَبَادِئَ. نُغَطِّي كُلَّ مَبْدَأٍ فِي فَصْلٍ وَاحِدٍ، بِاسْتِثْنَاءِ الْمَبْدَأِ الرَّابِعِ («إِيضَاحُ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ»)، الَّذِي سَنُغَطِّيهِ عَلَى مَدَى فَصْلَيْنِ. سَتَنْفَحِّصُ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ الْمَوْضُوعَ الْآتِي: «دُعَاءٌ وَصَلَاةٌ». نَبْدَأُ بِالْدُعَاءِ وَالصَّلَاةِ لِأَنَّ مُعَايَنَةَ حَرَكَةِ مُتَكَاثِرَةٍ مِنَ الْكَنَائِسِ الَّتِي تَعْبُدُ اللَّهَ بِوَاسِطَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، لَيْسَتْ أَمْرًا نَسْتَطِيعُ تَحْقِيقَهُ بِقَوَانَا الْذَاتِيَّةِ. يَسْتَطِيعُ اللَّهُ فَقَطْ أَنْ يُحَقِّقَ هَذَا الْأَمْرَ. لِذَا فَإِنَّ خُطُوتَنَا الْأُولَى فِي تَدْرِيبِ «دَرْبِ الْإِيمَانِ» هِيَ أَنْ نَصْرَحَ إِلَى اللَّهِ طَالِبِينَ مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ الْمُسْتَحِيلَ.

وبمجرد أن نبدأ بالصرّاح إلى الله لِنَفْعَلِ المستحيل، ننتقل إلى الفصل الثاني الذي يَحْمِلُ عنوان «روح الله يملؤنا»، حيث نركّز فيه على احتياجنا إلى روح الله وقوّته ليعطينا القوّة لنكونَ شهودًا ليسوع. يُظهِرُ الله قوّته بأساليبٍ مُختلفةٍ متعدّدة، ويشمل ذلك الآيات والعجائب والمعجزات وأعمال الشفاء والمواهب الروحيّة، كما يُظهِرُ الله ذلك على أكْمَلِ وجهٍ في الحياة المتغيّرة في المؤمن.

ثُمَّ ندرُسُ في الفصل الثالث المبدأ الثالث وهو: «بادِرْ في اكتشاف الاحتياج». ولكي نَفْتَحَ الأبواب أمام إعلان الإنجيل، نبدأ من المكان الذي يُوجَدُ فيها الشخص؛ فلا يستطيع الشخصُ الجائع مثلاً أن يَسْتَمِعَ إلى الأخبار السارّة عن موت يسوع وهو يتضورُ جوعاً وجَسَدُهُ ضعيف. كما لن يَهْتَمَّ الشخصُ المكتئب بالحياة الأبدية عندما يَكُونُ في حالةٍ لا يستطيع فيها حتّى أن يَنْهَضَ من السرير. لَبّى يسوعُ احتياجاتِ الناسِ في أوقاتٍ كثيرةٍ من خِدْمَتِهِ: الاحتياجات الجسديّة (أَطْعَمَ خمسة آلاف شَخْصاً)، والاحتياجات الصحيّة (أعمال الشفاء)، والاحتياجات الاجتماعيّة (قبول زكّا)، والاحتياجات العاطفيّة (البكاء مع مريم ومرثا على موت لعازر)، والاحتياجات الروحيّة (غفران الخطايا).

ثُمَّ سَنَنْظُرُ إلى المبدأ الرابع، «إيضاح رسالة الإنجيل»، على مدى فصلين لأنّ لهذا المبدأ عُنصرين. نركّزُ في الجزء الأوّل من الفصل الرابع على ماهيّة رسالة الإنجيل، حيث لا نستطيع أن نُوضّحَ رسالة الإنجيل للآخرين إذا لم تَكُنْ واضحةً لنا في الأصل. وسنبحثُ في الجزء الثاني في كَيْفِيّةِ جَعْلِ رسالة الإنجيل أكثرَ وضوحاً في إعلاننا عنها؛ فنَتعلَّمُ من النصوص الكتابيّة الكيفيّة التي بها حَقَّقَ الرسول بولس ذلك في كرازته.

إِنَّ كُلَّ مَا نَقُومُ بِهِ هُوَ مُتَجَدِّدٌ وَمُؤَسَّسٌ عَلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. ونسعى في الفصل الخامس لمُساعدتك، عزيزي القارئ، على وَضْعِ الأساسِ نَفْسِهِ في حياة الذين تُتَلِمِدُهُمْ. إِنَّا نَهْدَفُ مِنْذُ الْبَدَايَةِ إِلَى أَنْ نُعَلِّمَ الْآخَرِينَ كَيْفِيَّةَ دِرَاسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَالاعْتِمَادِ عَلَيْهِ بَدَلًا مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَى حِكْمَتِنَا الْبَشَرِيَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ «لِلَّهِ الْكَلِمَةُ، وَلَيْسَ لِلْمُعَلِّمِ». لَا شَكَّ أَنَّ التَّعْلِيمَ ضَرُورِيٌّ جَدًّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ مَصْدَرُ سُلْطَانِنَا. لَا نُرِيدُ أَنْ يَتَعَمَّدَ الْمُؤْمِنُونَ الْجَدَدَ عَلَيْنَا بِصُورَةٍ حَصْرِيَّةٍ، فَيَجِبُ أَنْ نُعَلِّمَهُمْ أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْتَحُوا كَلِمَةَ اللَّهِ وَأَنْ يَتَعَلَّمُوا مِنْهَا بِأَنْفُسِهِمْ؛ فَاللَّهُ نَفْسُهُ هُوَ مُعَلِّمُهُمُ الْأَسَاسُ. فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، يَسْتَطِيعُ الْمُؤْمِنُونَ الْجَدَدَ أَنْ يُشَارِكُوا مُبَاشَرَةً مَا تَعَلَّمُوهُ مَعَ الْآخَرِينَ. كَمَا سَنُعَلِّمُكُمْ تَدْرِيبًا بَسِيطًا تَسْتَطِيعُونَ تَكَرَّارَهُ لِدِرَاسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَيَحْمِلُ تَسْمِيَةً: «أَسْئَلَةُ الدِّرَاسَةِ الثَّمَانِيَّة».

يَسْبِقُنَا اللَّهُ لِيُعِدَّ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ لِسَمَاعِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ. نَدْرُسُ فِي الْفَصْلِ السَّادِسِ الْأَصْحَاحَ الْعَاشَرَ مِنْ إِنْجِيلِ مَتَّى وَالْأَصْحَاحَ الْعَاشَرَ مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا، عِنْدَمَا أَرْسَلَ يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ لِلْعُثُورِ عَلَى «ابْنِ السَّلَامِ»، أَيْ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِقَبُولِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ. وَلَكِنْ مَنْ هُمْ «أَبْنَاءُ السَّلَامِ»؟ وَكَيْفَ نَجِدُهُمْ؟ سَنَدْرُسُ الْمِبَادِيَّ الرَّئِيسَةَ مِنْ هَذَيْنِ الْمَقْطَعَيْنِ، وَنَقْدِّمُ لَكُمْ بَعْضَ الْأَدَوَاتِ الَّتِي سَتُسَاعِدُكُمْ عَلَى الْعُثُورِ عَلَى ابْنِ السَّلَامِ أَوْ ابْنَةِ السَّلَامِ.

وَبَيْنَمَا نَتَلِمَذُ «أَبْنَاءَ السَّلَامِ»، نَكُونُ بِذَلِكَ مُطِيعِينَ وَصِيَّةَ الرَّبِّ يَسُوعَ فِي الْمَأْمُورِيَّةِ الْعَظْمَى عِنْدَمَا أَعْطَانَا التَّكْلِيفَ بِتَعْلِيمِ تَلَامِيذِنَا أَنْ يُطِيعُوا كُلَّ مَا أَوْصَانَا بِهِ (مَتَّى 28: 20)، وَهُوَ مَا يَقُودُنَا إِلَى الْفَصْلِ السَّابِعِ. يَتَمَحَوَّرُ مَوْضُوعُ الْفَصْلِ السَّابِعِ حَوْلَ الْعُنْوَانِ: «يُطِيعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ». تَعْتَمِدُ التَّلِمِذَةُ لَيْسَ فَقَطْ عَلَى تَعْلِيمِ الْحَقَائِقِ عَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ، بَلْ أَيْضًا عَلَى تَعْلِيمِ

كَيْفِيَّةُ إِطَاعَتِهِ. وَعِنْدَمَا نَحْدُدُ أَهْمِيَّةَ الطَّاعَةِ مِنْذُ الْبَدَايَةِ، فَإِنَّا نُسَاعِدُ الْآخَرِينَ عَلَى تَصَوُّرِ طَرِيقَةِ اتِّبَاعِ يَسُوعَ.

عنوان الفصل الثامن هو «مجموعات لا أفراد»، وهو يُرَكِّزُ عَلَى مَفْهُومِ الْمَجْمُوعَاتِ. نَجِدُ أَنَّ تِسْعِينَ فِي الْمِئَةِ مِنْ قِصَصِ الْإِيمَانِ فِي أَعْمَالِ الرِّسْلِ هِيَ عَنْ مَجْمُوعَاتٍ أَوْ أُسَرٍ تَأْتِي إِلَى الْإِيمَانِ وَلَيْسَ عَنْ أَفْرَادٍ. وَتَعَلَّمْ كَثِيرُونَ مِنْهُمَا نَقِصَ ذَلِكَ مِنْ تَجَارِبِنَا؛ أَيْ أَنَّ مَنْ يَأْتِي إِلَى الْإِيمَانِ هُمْ عَادَةً الْأَفْرَادُ. نَهْدَفُ مِنْ كِتَابَةِ هَذَا الْفَصْلِ إِلَى أَنْ نَرْفَعَ مَسْتَوَى تَوَقُّعَاتِكَ حَتَّى تُؤْمِنَ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَخْدِمَكَ لَجَلْبِ عَائِلَاتٍ وَمَجْمُوعَاتٍ كَامِلَةٍ إِلَى يَسُوعَ. لَا نَرِيدُ أَنْ نَرَى عِدَدًا مِنَ التِّلَامِيذِ الْمُبْعَثِينَ فِي اتِّجَاهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ بَلْ نَرْغِبُ فِي أَنْ نَرَى مَجْمُوعَاتٍ تَتَجَمَّعُ مَعًا بِوَصْفِهَا كَنِيسَةً لِلَّهِ.

يَذْكُرُنَا الْمَبْدَأُ التَّاسِعُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرِيدُ فَقْطَ النَّمُوَّ الْعِدْدِيَّ فِي الْكِنَائِسِ، بَلْ يَرِيدُ أَيْضًا نَمُوًّا فِي الْقِدَاسَةِ وَالطَّاعَةِ وَالْأَمَانَةِ. نُرَكِّزُ عَلَى الْمَفْهُومِ الْآتِي: «أَجِيَالٌ بَدَأَ مِنَ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّالِثِ». نُلَاحِظُ فِي رِسَائِلِ الرِّسُولِ بُولُسَ وَفِي أَسْلُوبِ تَلْمِذَتِهِ أَنَّهُ أَعْطَى أَهْتِمَامًا دَقِيقًا لِقِدَاسَةِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (أَيِ الَّذِينَ آمَنُوا بِوَاسِطَتِهِ) إِضَافَةً إِلَى انْتِشَارِ الْإِنْجِيلِ إِلَى الْأَجِيَالِ الْقَادِمَةِ (أَيِ الَّذِينَ سَيُؤْمِنُونَ بِوَاسِطَةِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ وَالْأَجِيَالِ الَّتِي تَلِيهِ).

وَنُرَكِّزُ فِي الْمَبْدَأِ الْآخِرِ عَلَى الرُّوْيَةِ، وَعَنْوَانِ الْفَصْلِ هُوَ: «نَزْرَعُ الرُّوْيَةَ فِي النَّاسِ». وَهُوَ لَيْسَ الْمَبْدَأُ الْآخِرُ لِأَنَّهُ الْأَمْرُ الْآخِرُ الَّذِي نَفْعَلُهُ، بَلْ نَحْنُ فِي الْوَاقِعِ نَسْعَى إِلَى أَنْ نَعِيشَ هَذَا الْمَبْدَأَ مِنَ الْبَدَايَةِ بَيْنَمَا نَعْمَلُ عَلَى تَطْبِيقِ كُلِّ الْمَبَادِئِ الْآخَرَى. قَدْ بَدَأْنَا بِزَرْعِ الرُّوْيَةِ بِوَاسِطَةِ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ. نَرْغَبُ فِي أَنْ نُسَاعِدَ شَعْبَ اللَّهِ عَلَى رُؤْيَةِ قَلْبِ اللَّهِ مِنْ نَحْوِ الْعَالَمِ، وَمِنْ ثَمَّ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ اسْتِخْدَامَهُمْ.

السير في «دَرْبِ الإيمان»

لا نريدك أيُّها القارئ العزيز أنْ تقرأَ هذا الكتابَ فقط بل أنْ تعيشه. نأمل أنْ تُطبِّقَ ما تتعلَّمه. لذا ندرجُ أساليبَ ووسائلَ مُحدَّدةً لتطبيق ما تَعَلَّمْتَه في حياتك في نهاية كُلِّ فصلٍ. سيَشمل ذلك مزيدًا من الدراسة الكتابية ومزيدًا من الأمور التي تستطيع أنْ تَعْمَلَهَا مع عائلتك أو مع آخرين في المُجتمع، وأنْ تَخْلُقَ تحدِّيًا لمُشاركة ما تَعَلَّمْتَه مع الآخرين. في ما يلي التطبيقات الأولى للسير في دَرْبِ الإيمان:

1. اقرَأْ أفسس 5: 15-17. اصْرِفْ وقتًا في الصلاة، ومن ثَمَّ سجِّلْ الكيفيَّةَ التي بها ستسعى إلى أنْ تُكوِّنَ حكيماً وتستفيدَ من وقتك على أَفْضَلِ وَجْهِ.
2. تَأَمَّلْ في مسيرك الخاصِّ بوصفك تلميذًا ليسوع المسيح. مَنْ هُم الأشخاص الذين ساعدوك في النموِّ في المعرفة والمَحَبَّةَ والإيمان؟ كيف ساعدوك على النموِّ؟
3. اكتبْ لائحةً بأسماء غير المؤمنين في حياتك. اخترْ منهم اثنين لتُصَلِّيَ مِنْ أَجْلِهِمْ كُلَّ يومٍ في الشهر المُقبل.
4. مع مَنْ ستُشارك الأمور التي تَعَلَّمْتَهَا في هذه المُقدِّمة؟

الفصل الأول

دعاء وصلاة

واظَبَ حمزة على زيارة محمَّد وعائلته على مدى شهرٍ كثيرة، وقد انكسَرَ قَلْبُهُ بسبب سوء صِحَّة شام، ابنة محمَّد، وضَعْفِها ومعاناتها مع مَرَضِ السرطان. في زيارة حمزة الأولى، صَلَّى مِنْ أَجْلِ شفاء شام مِنْ دُونِ أَنْ يَحْصَلَ أَيُّ تَغْيِيرٍ على حالتها، وقد وَاظَبَ على الصلاة مِنْ أَجْلِ شَفَائِهَا فِي كُلِّ زِيَارَةٍ وَتَيَقَّنَ تَيَقُّنًا شَدِيدًا أَنَّ اللَّهَ يَرِيدُهُ أَنْ يُكَمِّلَ فِي صَلَوَاتِهِ تِلْكَ. صَلَّى حمزة مع شام مِنْ أَجْلِ شَفَائِهَا لِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ مَرَّةً مِنْ دُونِ أَنْ يَطْرَأَ أَيُّ تَحَسُّنٍ فِي حَالَتِهَا، أَوْ عَلَى الْأَقْلِ هَذَا مَا اعْتَقَدَهُ حمزة.

قال محمَّد لحمزة في يومٍ مِنَ الْيَّامِ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ عَيْسَى الْمَسِيحِ قَدْ شَفَى ابْنَتِي».

أجاب حمزة مُنْدهشًا: «أَحَقًّا؟! مَا الَّذِي دَفَعَكَ إِلَى قَوْلِ ذَلِكَ؟»
شَرَحَ محمَّدُ مُعْطِيًا مَزِيدًا مِنَ التَّفَاصِيلِ: «فِي أَثْنَاءِ دَعَوَاتِكَ لَهَا فِي الْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ، رَأَيْتُ ضَوْءًا عَظِيمًا وَسَمِعْتُ صَوْتًا يَقُولُ لِي: قَدْ شَفَيْتُ ابْنَتَكَ».

فِي ذَلِكَ الْأَسْبُوعِ، كَانَتْ شَامُ عَلَى مَوْعِدٍ لِإِجْرَاءِ بَعْضِ التَّحَالِيلِ فِي مُخْتَبَرِ الْمُسْتَشْفَى الْمُتَخَصَّصِ فِي أَمْرَاضِ السَّرَطَانِ. وَعِنْدَمَا حَصَلَ محمَّدُ عَلَى النَّتَائِجِ، اتَّصَلَ مُبَاشَرَةً بِحَمْزَةَ، وَكَانَ يَصْرُخُ مِنْ دُونِ تَوَقُّفٍ قَائِلًا: «قَدْ

شَفَى عَيْسَى الْمَسِيحُ ابْنَتِي! قَدْ شَفَى الْمَسِيحُ ابْنَتِي!». فَقَدْ كَشَفَتْ كُلُّ نَتَائِجِ التَّحَالِيلِ شِفَاءَ شَامٍ تَمَامًا مِنْ مَرَضِ السَّرَطَانِ.

وَمِنْ ثَمَّ، أَعْلَنْتِ الْعَائِلَةُ مُبَاشَرَةً عَنْ رَغْبَتِهَا فِي قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَرَاحَتْ تُشَارِكُ اخْتِبَارَهَا (عَنْ شِفَاءِ شَامٍ) مَعَ آخَرِينَ. دَعَتْ الْعَائِلَةُ آخَرِينَ إِلَى قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَعَهَا، وَهَكَذَا انْطَلَقَتْ مَجْمُوعَاتٌ كَثِيرَةٌ لِدِرَاسَةِ الْكِتَابِ. أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْمَعْجَزَةُ نَقْطَةً الْانْطِلَاقِ لِحَرَكَةٍ جَدِيدَةٍ تَشْمَلُ الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ 1200 مُؤْمِنٍ مُؤَزَّعِينَ عَلَى بُلْدَانٍ كَثِيرَةٍ وَيَجْتَمِعُونَ مَعًا فِي أَكْثَرِ مِنْ 250 مَجْمُوعَةٍ لِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. كَانَتْ هَذِهِ الْمَعْجَزَةُ اسْتِجَابَةً مُبَاشِرَةً لِلصَّلَاةِ؛ صَلَاةِ الْإِيمَانِ الْمَتَوَاصِلَةِ الْمَتَكَرِّرَةِ.

يَحْمِلُ هَذَا الْكِتَابُ مَهْمَةً مُسْتَحِيلَةً. إِذْ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُجِبَرَ النَّاسَ عَلَى قَبُولِ الْإِيمَانِ أَوْ عَلَى أَنْ يَصِيرُوا تَلَامِيذَ، أَوْ أَنْ نَزَرَعَ كِنَاسَ مَمْلُوءَةً بِأُنَاسٍ يَعْْبُدُونَ اللَّهَ فِي الْمَسِيحِ عِبَادَةً صَادِقَةً، فَإِنَّهُ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ لَنَا، وَلَكِنَّهُ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللَّهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

لِذَلِكَ نَبْدَأُ بِالدَّعَاءِ وَالصَّلَاةِ، وَنَعْتَرِفُ أَنَّ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَوَاتِنَا. وَنَتَطَلَّعُ فِي الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ الْقَدِيرِ، وَنَرْفَعُ أَعْيُنَنَا نَحْوَ الَّذِي يَمْلِكُ كُلَّ الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ، وَنَعْتَرِفُ فِي الصَّلَاةِ بِضَعْفِنَا وَنَعْتَرِفُ بِعَظَمَتِهِ. نُوَاجِهُ الْأُمُورَ الَّتِي نَعْجَزُ عَنْهَا، وَنَفْعَلُ ذَلِكَ بِوَسْطَةِ تَذَكُّرٍ مَا يَسْتَطِيعُ اللَّهُ أَنْ يَفْعَلَهُ.

وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الرِّجَاءُ فِي قُلُوبِنَا الَّذِي يَتَمَكَّرُ حَوْلَ حَقِيقَةِ أَنَّ اللَّهَ سَيَسْتَمِيعُ إِلَيْنَا، وَأَنَّهُ سَيَتَصَرَّفُ نِيَابَةً عَنَّا وَمِنْ أَجْلِنا؟

الحقائق الأربع الأساس بشأن الدعاء والصلاة

1. يَقْدِرُ اللَّهُ أَنْ يُخَلِّصَ

يَقْدِرُ اللَّهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْيَوْمَ، تَمَامًا كَمَا خَلَّصَ شَعْبَهُ مِنَ الْعِبُودِيَّةِ فِي مِصْرَ. وَيُخَلِّصُ اللَّهُ لَيْسَ فَقَطْ مِنَ الْعِبُودِيَّةِ لِلْأُمَمِ، بَلْ يُخَلِّصُ أَيْضًا مِنَ الْعِبُودِيَّةِ لِلخَطِيئَةِ. وَنَحْنُ نَرَى قُوَّةَ اللَّهِ فِي الْخَلَاصِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ كُلِّهِ. يُخْبِرُنَا كَاتِبُ الْمَزْمُورِ عَنْ اللَّهِ قَائِلًا: «رَنِّمُوا لِلرَّبِّ تَزْنِيمَةً جَدِيدَةً لِأَنَّهُ صَنَعَ عَجَائِبَ. خَلَّصَتْهُ يَمِينُهُ وَذِرَاعُ قُدْسِهِ» (مزمور 98: 1).

إِنْ كَانَ اللَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَلِّصَ، فَمَا مِنْ سَبَبٍ يَدْفَعُنَا إِلَى إِضَاعَةِ وَقْتِنَا فِي الصَّلَاةِ لَهُ. وَلَكِنَّهُ قَادِرٌ! «هَآ إِنَّا يَدَ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ، وَلَمْ تَثْقُلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ» (إشعياء 59: 1). يَسْتَمِعُ اللَّهُ إِلَيْنَا عِنْدَمَا نَدْعُوهُ وَيُخَلِّصُ بِذِرَاعِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْقَدِيرَةِ.

نُعَبِّرُ بِوَاسِطَةِ الصَّلَاةِ عَنْ إِيمَانِنَا بِالْحَقِيقَةِ الْبَسِيطَةِ الْآتِيَةِ: «يَقْدِرُ اللَّهُ أَنْ يُخَلِّصَ». نُصَلِّيْ إِلَى الْقَدِيرِ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كُلَّ مَا نَطْلُبُ مِنْهُ بَلْ وَأَكْثَرَ.

2. يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَلِّصَ

نَحْتَاجُ أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَقَطْ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ، بَلْ أَنَّهُ أَيْضًا يَرِيدُ أَنْ يُخَلِّصَ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِفَرَحٍ. يُحِبُّ اللَّهُ شَعْبَهُ مَحَبَّةً دَائِمَةً لَا يَحْدُهَا أَيُّ أَمْرٍ؛ وَقَدْ دَفَعَتْهُ مَحَبَّتُهُ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي جَعَلَهُ يَقُومُ بِإِرْسَالِ ابْنِهِ الْوَحِيدِ. تَشْهَدُ الْآيَاتُ الْكِتَابِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا الْأَصْحَاحِ 3 عَنْ مَحَبَّتِهِ لَنَا وَثَبْرِهِنْ مَدَى رَغْبَتِهِ فِي أَنْ يُخَلِّصَنَا. يَقُولُ الْبَشِيرُ يُوْحَنَّا: «لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ

اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ. لِأَنَّهُ لَمْ يُرْسَلِ اللَّهُ ابْنُهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينِ الْعَالَمَ، بَلْ لِيُخَلِّصَ بِهِ الْعَالَمَ» (يوحنا 3: 16-17). أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ الْمَحْبُوبَ لِيُخَلِّصَ، وَلَا نَحْتَاجُ إِلَى بَرَهَانٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا عَنْ رَغْبَةِ اللَّهِ فِي أَنْ يُخَلِّصَ.

يُخْبِرُنَا الرُّسُولُ بَطْرُسُ فِي رِسَالَتِهِ الثَّانِيَةِ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرِيدُ لِأَحَدٍ أَنْ يَهْلِكَ: «لَا يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمُ التَّبَاطُؤِ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أَنَا، بَلْ أَنْ يُقْبَلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ» (2 بطرس 3: 9).

يَرِيدُ اللَّهُ لَيْسَ فَقَطْ أَنْ يَتُوبَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي عَائِلَاتٍ أَوْ بِلَدَانٍ مَسِيحِيَّةٍ، بَلْ يَرِيدُ أَيْضًا تَوْبَةً مِنْ كُلِّ الَّذِينَ أَتَوْا مِنْ كُلِّ الْخَلْفِيَّاتِ وَمِنْ كُلِّ الْأُمَمِ، كَمَا يَرِيدُ خَلَاصَ كُلِّ أَوْلَئِكَ الْأَشْخَاصِ.

عَايَنَ الرُّسُولُ بَطْرُسُ حَقِيقَةَ رَغْبَةِ اللَّهِ فِي أَنْ يُخَلِّصَ أَنَا سَا مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ عِنْدَمَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ لِيُعْلِنَ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ لِكِرْنِيلْيُوسَ، الْقَائِدَ الرُّومَانِيَّ، فَرَأَى الرُّسُولُ بَطْرُسُ ذِرَاعَ اللَّهِ الْقَدِيرَةِ وَهِيَ تُقَدِّمُ الْخَلَاصَ لِأَوْلَئِكَ الْأُمَمِيِّينَ.

«فَفَتَحَ بَطْرُسُ فَاهُ وَقَالَ: «بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ الْوُجُوهَ. بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ... فَأَنْدَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ، كُلُّ مَنْ جَاءَ مَعَ بَطْرُسَ، لِأَنَّ مَوْهَبَةَ الرُّوحِ الْقُدْسِ قَدْ أُنْسَكَبَتْ عَلَى الْأُمَمِ أَيْضًا» (أَعْمَالُ الرُّسُلِ 10: 34-35 و45). قَدْ نَشَعُرُ بِالصَّدْمَةِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عِنْدَمَا نَرَى نَوْعِيَّةَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُخَلِّصُهُمُ اللَّهُ.

3. يَعِدُ اللَّهُ بِأَنْ يُخَلِّصَ

يَقْدِرُ اللَّهُ أَنْ يُخَلِّصَ وَيَرِيدُ أَيْضًا أَنْ يُخَلِّصَ. وَلَكِنْ هَلْ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ؟ الْجَابَةُ: بِالتَّأَكِيدِ نَعَمْ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَبَقَ وَوَعَدَ بِأَنَّهُ سَيُخَلِّصُ.

عندما اختار الله إبراهيم ليَكُونُ أباً للمؤمنين، وَعَدَ اللهُ بأنه سيبَارِكُ كثيرين من جميع قبائل الأرض بواسطة. «وَأَبَارِكُ مُبَارِكِكَ وَلَاعِنَكَ أَلْعَنُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ» (تكوين 12: 3). ستأتي هذه البركة بواسطة نسل إبراهيم، أي يسوع المسيح، الذي سيعطي الخلاص لكل مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ.

وَعَدَ اللهُ المسيح بأنه سيعطيه نَسْلاً مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ. كَتَبَ النبي داود المزمور الثاني وَتَنَبَّأَ فِيهِ عَنْ تَتَوِيحِ الْمَسِيحِ الَّذِي يَقُولُ: «إِنِّي أَخْبِرُ مِنْ جِهَةٍ قَضَاءِ الرَّبِّ. قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. إِسْأَلْنِي فَأَعْطِيكَ الْأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِي الْأَرْضِ مُلْكًا لَكَ» (مزمور 2: 7-8). وَعَدَ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ سَيُعْطِي الْمَسِيحَ الْأُمَمَ لَتَكُونَ مِيرَاثًا لَهُ، وَأَنَّهُ سَيُعْطِي الْمَسِيحَ أَقَاصِي الْأَرْضِ لَتَكُونَ مُلْكًا لَهُ. يُشِيرُ هَذَا الْوَعْدُ لَيْسَ فَقَطْ إِلَى الْأَرْضِ الْجُغْرَافِيَّةِ لِلْأُمَمِ، بَلْ أَيْضًا إِلَى النَّاسِ الَّذِينَ سَيَخْضَعُونَ بِمِلءِ إِرَادَتِهِمْ لِلْمَسِيحِ، وَمَلِكِهِمْ، وَالَّذِينَ سَيَعِيشُونَ تَحْتَ سُلْطَانِهِ. وَهَكَذَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَقَى بِأَنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ كَثِيرِينَ مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ، وَأَنَّهُ سَيُقَدِّمُهُمْ لِيَسُوعَ بِصِفَتِهِمْ مِيرَاثًا لَهُ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ بِذَلِكَ.

4. يَحْفَظُ اللهُ وَعْدَهُ

عندما نُصَلِّي نَتَذَكَّرُ أَيْضًا أَمَانَةَ اللَّهِ لِأَنَّهُ يَلْتَزِمُ دَائِمًا بِوَعْدِهِ. تَشْرَحُ الْآيَاتُ الْوَارِدَةُ فِي رُومِيَّةِ 15: 8-9 حَقِيقَةَ أَنَّ الْمَسِيحَ جَاءَ لِيَتِمَّمَ وَعْدَ اللَّهِ وَلِيَحَقِّقَهُ، حَيْثُ يَقُولُ الرَّسُولُ بُولُسُ: «وَأَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ قَدْ صَارَ خَادِمَ الْخِتَانِ، مِنْ أَجْلِ صَدَقِ اللَّهِ، حَتَّى يُثَبِّتَ مَوَاعِيدَ الْأَبَاءِ. وَأَمَّا الْأُمَمُ فَمَجَّدُوا اللَّهَ مِنْ أَجْلِ الرَّحْمَةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَأَحْمَدُكَ

فِي الْأُمَمِ وَأُرْتُلْ لِاسْمِكَ». وَعَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِأَنَّهُ سَيُبَارِكُ جَمِيعَ قِبَائِلِ الْأَرْضِ بِوَسْطَةِ نَسْلِهِ. وَأَرْسَلَ اللَّهُ يَسُوعَ لِيُتِمَّمَ ذَلِكَ الْوَعْدَ.

قَالَ يَسُوعُ لَتَلَامِيذِهِ فِي الْعِشَاءِ الْأَخِيرِ: «هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفِكُ عَنْكُمْ» (لوقا 22: 20). اشْتَرَى يَسُوعُ، بِوَسْطَةِ دَمِهِ، كُلَّ وَعُودِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لَشُعْبِهِ. وَتَمَّمَ الْمَسِيحُ، بِوَسْطَةِ مَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ، كُلَّ وَعُودِ اللَّهِ لِإِبْرَاهِيمَ وَلِلْآبَاءِ مِنْ بَعْدِهِ. وَقَدْ تَحَقَّقَتْ كُلُّ وَعُودِ اللَّهِ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ (2 كورنثوس 1: 20).

نُعَايِنُ فِي سَفَرِ أَعْمَالِ الرِّسَالَةِ قُوَّةَ اللَّهِ فِي تَحْقِيقِ وَعُودِهِ بِوَسْطَةِ خِلَاصِ الْخَطَاةِ. فَنَقْرَأُ عَنْهُمْ: «مُسَبِّحِينَ اللَّهَ، وَلَهُمْ نِعْمَةٌ لَدَى جَمِيعِ الشُّعْبِ. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ». (أَعْمَالُ الرِّسَالَةِ 2: 47). يَسْتَمِرُّ اللَّهُ فِي إِتِمَامِ عَمَلِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا بِوَسْطَةِ إِعْلَانِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ، كَمَا تَقُولُ الْآيَةُ الْآتِيَةُ: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ» (1 كورنثوس 1: 18).

يُحَافِظُ اللَّهُ حَتَّى الْيَوْمِ عَلَى وَعُودِهِ بِوَسْطَةِ خِلَاصِ الْخَطَاةِ. تُقَرَّبُ قُوَّةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ الْخَطَاةَ إِلَى الْخِلَاصِ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ مَنَاطِقَ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ. وَقَدْ عَايَنَّا عَلَى مَدَى الثَّلَاثِينَ سَنَةً الْأَخِيرَةَ مَجِيءَ أَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَى الْمَسِيحِ مِنَ الْجَزَائِرِ غَرْبًا وَصَوَلًا إِلَى إِيرَانَ شَرْقًا، إِضَافَةً إِلَى مَنَاطِقِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ فِي أَمَاكِنَ مِثْلِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، حَيْثُ شَهِدْنَا إِيمَانَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ بِيَسُوعَ. يَعْمَلُ اللَّهُ بِطَرُقٍ لَمْ نَشْهَدْ مِثْلًا لَهَا فِي الْقُرُونِ الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ الْمَاضِيَةِ.

نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَشَجَّعَ فِي صَلَوَاتِنَا لِأَنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَلِّصَ، وَيُرِيدُ أَنْ يُخَلِّصَ، وَوَعَدَ بِأَنَّهُ سَيُخَلِّصُ، وَهُوَ يُحَافِظُ دَائِمًا عَلَى وَعُودِهِ. تُشَكِّلُ هَذِهِ الْحَقَائِقُ الْأَسَاسَ الْمَتِينَ لِلدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِ خِلَاصِ الْآخَرِينَ.

دعاء وصلاة... وتشفع

الآن، وقد أدرَكنا الأساس للدعاء والصلاة، فمهمٌّ أن نُميِّزَ الفرقَ بينهما. نَعْلَمُ أَنَّهُ على الرغمِ مِنْ كَوْنِهِمَا مُخْتَلِفَيْنِ، فَإِنَّهُمَا يَتَقاطَعانِ بعضهما مع بعضٍ في نواحٍ كثيرةٍ مُهمَّةٍ. نستطيعُ تقديمَ شَرْحٍ مُبَسَّطٍ للصلاة على أَنَّهَا اتِّصَالٌ قلوبنا بقلب الله.

تُشكِّلُ فرادةُ الرابطِ القلبيِّ ورُوعتهُ العنصرَ الأهمَّ لاتباعِ يسوع المسيح. نستطيعُ الدخولَ مُباشرةً إلى مَحْضَرِ اللَّهِ الْآبِ. إِنَّ الصلاةَ لَا تَصِلُ فقط قلوبنا بقلب الله، بل تستطيعُ أَيْضًا أَنْ تُسَاعِدَنَا على أَنْ نَصِلَ قُلُوبَ الْآخَرِينَ بقلبه. وعندما نُصَلِّي مع الْآخَرِينَ، نستطيعُ أَنْ نُسَاعِدَهُمْ على أَنْ يُدْرِكُوا مَحَبَّةَ اللَّهِ الْفَرِيدَةِ الْحنونةِ تُجاههم. وقد صَلَّينا مع آخَرِينَ مَرَّاتٍ كثيرة، وَحَتَّى مع أَشْخاصٍ مُسْلِمِينَ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ، فابتدأَ بعضُهم بالبكاءِ في وسطِ الصلاة. أَعْلَنْتُ فتاةً صغيرةً في إحدى المَرَّاتِ قائلةً: «إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّاسَ مُخْتَلِفُونَ؛ إِنَّهُمْ يُصَلُّونَ بِقُوَّةٍ!».

إِنَّ الصلاةَ تعبيرٌ عامٌّ وتتضمَّنُ فكرةَ الدعاء. كما تحتوي على الشكر والتسبيح والتشفع والتمجيد. نُشَارِكُ في الصلاة أحمالنا مع الربِّ، وفي الصلاة نُسَبِّحُه مِنْ أَجْلِ نِعْمَتِهِ في حياتنا ونُقَدِّمُ الشكرَ لَهُ مِنْ أَجْلِ عطاياه الجيدةِ لنا. وَنَطْلُبُ مِنْهُ في الصلاة تلبيةَ احتياجاتنا واحتياجات الْآخَرِينَ أَيْضًا، وَنُعَبِّرُ في الصلاة عن فَرْحِنَا وتسبيحنا وأحزاننا ومشكلاتنا ورغباتنا. كما نُشَارِكُ بواسطة الصلاة حياتنا مع أبينا السماويِّ.

نُقَدِّمُ في الدعاء طِلْبَاتِنَا إِلَى اللَّهِ، فنأتي إليه برغباتنا ونسأله أَنْ يَعمَلَ نيابةً عَنَّا أو نيابةً عن الْآخَرِينَ. نستطيعُ التعمُّقُ في الأمور بالدعاء لِيَتَحَوَّلَ إلى تَشَفُّعٍ. وَيَحْضُلُ التشفُّعُ عندما نَرى احتياجات المحيطين بنا فنقف

فِي الثَّغْرِ، وَنَطْلُبُ مِنْ أَبِيْنَا السَّمَاوِيِّ الصَّالِحِ أَنْ يُقَدِّمَ لَهُمْ مَا لَا نَسْتَطِيعُ تَقْدِيمَهُ لَهُمْ. وَبِوَاسِطَةِ التَّشَفُّعِ، نُحَارِبُ عَنِ الْآخَرِينَ بِصَلَوَاتِنَا.

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَخْدِمُونَ كَلِمَةَ الدَّعَاءِ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْتَخْدِمُهَا الْمَسِيحِيُّونَ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مُصْطَلَحًا إِسْلَامِيًّا، وَلَا يَقْتَصِرُ اسْتِخْدَامُهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ. يَحْتُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَلَى الدَّعَاءِ. يَكْتُبُ الرِّسُولُ بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ فِيلِيبِّي 4: 6 الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ: «لَا تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلَاةِ وَالدَّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتَعْلَمَ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللَّهِ» (رَاجِعْ أَيْضًا مَزْمُور 4: 1؛ وَ 5: 1-2؛ وَ 102: 17).

إِذَا بَوَصَفْنَا تَلَامِيذَ يَسُوعَ، يَنْبَغِي أَنْ تَنْتَسِمَ حَيَاتُنَا بِالصَّلَاةِ، وَبِالْتَّكْيِيزِ أَيْضًا عَلَى الدَّعَاءِ لِأَهْمِيَّتِهِ فِي عَمَلِيَّةِ صِنَاعَةِ التَّلَامِيذِ وَزَرْعِ الْكِنَائِسِ. لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصْنَعَ تَلَامِيذَ بِالْاعْتِمَادِ عَلَى الشُّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ فَقَطْ، بَلْ نَحْتَاجُ أَيْضًا إِلَى تَقْدِيمِ الطَّلِبَاتِ وَالتَّشَفُّعِ مِنْ أَجْلِ الْآخَرِينَ. وَنَحْتَاجُ إِلَى الْوُقُوفِ فِي الثَّغْرِ وَالطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ الْأُمُورَ الَّتِي يَسْتَطِيعُ هُوَ فَقَطْ أَنْ يَفْعَلَهَا.

هَذَا مَا فَعَلَهُ «حَمْزَةُ» عِنْدَمَا كَانَ يَصْرُخُ إِلَى اللَّهِ بِاسْتِمْرَارٍ مِنْ أَجْلِ شِفَاءِ «شَام». وَهُوَ الْأَمْرُ نَفْسَهُ الَّذِي فَعَلَهُ إِبْرَاهِيمُ عِنْدَمَا صَلَّى مِنْ أَجْلِ مَدِينَتَيْ سَدُومَ وَعَمُورَةَ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ سَيَحُلُّ لَا مُحَالَةً عَلَى تِلْكَ الْمَدَنِ بِسَبَبِ شُرُورِهِمْ. تَشَفَّعَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَجْلِهِمْ وَتَضَرَّعَ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَنْجِيَ الْمَدَنَ مِنْ أَجْلِ الْأَبْرَارِ الْمَوْجُودِينَ فِيهَا، فَطَلَبَ مِنَ الرَّبِّ بِكُلِّ جَرَاةٍ أَنْ يَصَفِّحَ عَنِ الْمَدِينَةِ إِنْ وُجِدَ خَمْسُونَ بَارًّا، حَتَّى إِنَّهُ ذَكَرَ اللَّهَ قَائِلًا: «أَدَيَّاكَ كُلَّ الْأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدْلًا؟» (تَكْوِين 18: 25)، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ؛ بَلْ اسْتَمَرَّ بِالْقَوْلِ: مَاذَا إِنْ وُجِدَ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ بَارًّا؟ مَاذَا إِنْ وُجِدَ أَرْبَعُونَ؟ ثَلَاثُونَ؟ عَشْرُونَ؟ ثُمَّ قَالَ: «لَا يَسْخَطُ الْمُؤَلَّى فَاتَكَلَّمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ

فَقَطُّ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عَشْرَةٌ» (تكوين 18: 32). جاهد إبراهيم من أجل الناس في صلاته بواسطة الدعاء والتشفع من أجلهم.

يُسَاعِدُنَا اللَّهُ فِي سَفَرِ حَزَقِيال 22: 30-31 عَلَى فَهْمِ أَهَمِّيَةِ التَّشْفَعِ،
حَيْث يَقُولُ: «وَطَلَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلًا يَبْنِي جِدَارًا وَيَقِفُ فِي الثَّغْرِ أَمَامِي
عَنِ الْأَرْضِ لِكَيْلَا أَخْرِبَهَا، فَلَمْ أَجِدْ. فَسَكَنْتُ سَخَطِي عَلَيْهِمْ. أَفْنَيْتُهُمْ بِنَارِ
غَضَبِي. جَلَبْتُ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ».

كانت الأرض تحتاج إلى مَنْ يَتَشَفَّعُ وَيَقِفُ فِي الثَّغْرِ، وَلَمْ يَجِدِ اللَّهُ
أَحَدًا. فِي إِشْعِيَاءَ 62: 6-7، عَلَّمَ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ عَنِ الْأَمْرِ ذَاتَهُ قَائِلًا: «عَلَى
أَسْوَارِكَ يَا أُورُشَلِيمُ أَقَمْتُ حُرَّاسًا لَا يَسْكُنُونَ كُلَّ النَّهَارِ وَكُلَّ اللَّيْلِ عَلَى
الدَّوَامِ. يَا ذَاكَرِي الرَّبَّ لَا تَسْكُنُوا، وَلَا تَدْعُوهُ يَسْكُتُ، حَتَّى يُثَبِّتَ وَيَجْعَلَ
أُورُشَلِيمَ تَسْبِيحَةً فِي الْأَرْضِ.» آمَنَ الرَّسُولُ بُولَسَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ، وَوَقَفَ فِي
الثَّغْرِ صَارِحًا: «أَيُّهَا الْإِخْوَةُ إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلْبَتِي إِلَى اللَّهِ لِأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ
لِلْخَلَّاصِ» (رومية 1: 10).

يَتَضَحَّى لَنَا الْيَوْمَ أَنَّ أَرْضَنَا تَحْتَاجُ إِلَى مُتَشَفِّعِينَ. يُرَوِّغُ الْإِرْهَابُ النَّاسَ
بِحَرِّيَّةٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ، بَيْنَمَا تَنْدَلِعُ الْحُرُوبُ وَتَمْتَدُّ عَلَى فتراتٍ طَوِيلَةٍ،
وَيَتَشَتَّتُ الْلَاجِئُونَ سَعِيًّا وَرَاءَ الْمَلْجَأِ. كَمَا تَتَدَاعَى الْأَنْظُمَةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ
وَيَفْشَلُ الْبَشَرُ فِي إِيجَادِ عَمَلٍ. تَخْتَبِرُ الْعَائِلَاتُ الْجُوعَ وَتَعَجْزُ عَنِ تَقْدِيمِ
الرَّعَايَةِ الطَّبِئِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ. وَبِيدُو ظَاهِرِيًّا أَنَّ اللَّهَ يَقِفُ بَعِيدًا عَنِ مَعَانَاةِ
الْبَشَرِ بِنَاءً عَلَى الْاِعْتِقَادِ السَّائِدِ أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ نَعْرِفَهُ. وَلَا نَسْتَطِيعُ
الْوُصُولَ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّا تَعَلَّمْنَا أَنَّ أَعْمَالَنَا الْحَسَنَةَ يَجِبُ أَنْ تَفُوقَ سَيِّئَاتِنَا.
كَمَا لَا نُنْكِرُ أَنَّ نُدْرِكَ فِي أَعْمَاقِنَا اسْتِحَالَةَ هَذَا الْأَمْرِ لِأَنَّا لَنْ نُصِيبَ
الصَّلَاحَ بِمَا يَكْفِي مَهْمَا بَدَلْنَا مِنْ جَهْدٍ.

لَنَكُنْ إِذَا الْحُرَّاسَ الَّذِينَ يَقِفُونَ فِي الثَّغْرِ، وَلِنُخْضِرِ احتِياجاتِ الناسِ
إِلَى إِلَهِنَا الْكَرِيمِ الْحَرِيصِ الْمُسْتَعِدِّ الْقَادِرِ عَلَى تَلْبِيَةِ احتِياجاتِهِمْ.

أَهْمِيَّةُ الصَّلَاةِ فِي الْإِسْلَامِيَّةِ

إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى صِنَاعَةِ التَّلَامِيذِ مُوجَّهَةٌ إِلَى كُلِّ التَّلَامِيذِ. يُرَكِّزُ هَذَا
الْكِتَابُ لَيْسَ فَقَطْ عَلَى صِنَاعَةِ التَّلَامِيذِ، بَلْ أَيْضًا عَلَى هَؤُلَاءِ التَّلَامِيذِ
الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ مَعًا فِي كَنَائِسَ لِيَعْبُدُوا مَعًا. إِنَّ عَمَلِيَّةَ زِرَاعَةِ الْكَنِيسَةِ
هِيَ مَهْمَةٌ رَسُولِيَّةٌ، وَلَا نَقْصُدُ بِكَلَامِنَا هَذَا أَنَّهَا تَقْتَصِرُ فَقَطْ عَلَى الرِّسْلِ،
بَلْ نَقْصُدُ أَنَّنَا نَسِيرُ عَلَى خُطَى الرِّسْلِ الَّذِينَ أَسَّسُوا الْكَنَائِسَ الْأُولَى. لِذَلِكَ
نَحْتَاجُ أَنْ نَعِيَ الْأَهْمِيَّةَ الَّتِي أَوْلَاهَا الرِّسْلُ لِلصَّلَاةِ عِنْدَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ
التَّلَامِيذَ وَيَزْرَعُونَ الْكَنَائِسَ.

نَجِدُ فِي الْأَصْحَاحِ السَّادِسِ مِنْ سِفْرِ أَعْمَالِ الرِّسْلِ مُشْكَلَةً ضَمَّنَ جَمَاعَةَ
الْمُؤْمِنِينَ بِسَبَبِ الْإِجْحَافِ فِي الطَّرِيقَةِ الَّتِي اعْتَمَدَتْ لَتَلْبِيَةِ احتِياجاتِ
الْأَرَامِلِ. اهْتَمَّ الرِّسْلُ بِالْمَوْضُوعِ وَفَعَلُوا كُلَّ مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ لِمُوَاجَهَةِ
الْمُشْكَلَةِ وَإِصْلَاحِ الْأَمْرِ مِنْ دُونِ أَنْ يُطَبَّقُوا الْحَلَّ بِأَنْفُسِهِمْ. عَوَضًا عَنْ
ذَلِكَ، عَيَّنَ الرِّسْلُ سَبْعَةَ رِجَالٍ مُوقَّرِينَ وَمَمْلُوءِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ لِيَعْمَلُوا
عَلَى حَلِّ هَذِهِ الْمُشْكَلَةِ. وَقَدْ أَخْبَرَنَا الرِّسْلُ عَنْ السَّبَبِ الَّذِي مَنَعَهُمْ مِنْ
حَلِّ هَذِهِ الْمُشْكَلَةِ بِأَنْفُسِهِمْ فِي أَعْمَالِ الرِّسْلِ 6: 4 حَيْثُ نَقَرْنَا مَا يَلِي: «وَأَمَّا
نَحْنُ فَنَوَاطِبُ عَلَى الصَّلَاةِ وَخِدْمَةِ الْكَلِمَةِ.»

كَانَ احتِياجُ الْأَرَامِلِ مُهِمًّا، لِذَا كَانَ يَجِبُ عَلَى الرِّسْلِ أَنْ يَتَعَامَلُوا مَعَهُ،
وَلَكِنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَنَّهُ يَجْدُرُ بِهِمْ التَّرْكِيزُ عَلَى أَمْرَيْنِ مُهِمَّيْنِ: الصَّلَاةِ وَخِدْمَةِ
الْكَلِمَةِ. وَالْأَمْرَانِ كِلَاهُمَا أَسَاسِيَّانِ وَلَا يُمَكِّنُ إِكْمَالُ الْعَمَلِ انْطِلَاقًا مِنْ

ناحية واحدة فقط، فلا يستطيع العصفور أن يطير مُعْتَمِداً على جناح واحد فقط، إن كان جناحه الآخر مقصوفاً.

نَكْرُزُ بالكلمة ونُصَلِّي. نشأ أبو عمر على مفهوم بسيطٍ للدعاء والصلاة، حيث اعتاد أن يُصَلِّي في المسجد وأن يَقُومَ بالدعاء بِجُمْلٍ قصيرةٍ يَقُومُ بتكرارها وَيَطْلُبُ بواسطتها البركاتِ للآخرين. وَبَعْدَ أنْ آمَنَ أبو عمر بالمسيح، اختَبَرَ تَبَدُّلاً في مفهومه عن الدعاء والصلاة، فأراد أن يَسْمَعَ الآخرون الأخبارَ السارةَ عن يسوع المسيح، ما جَعَلَهُ يُشَارِكُ الرسالةَ، فعَايَنَ مجيءَ زَوْجَتِهِ وابنتِهِ وأخيه إلى الإيمان.

ابتدأ أبو عمر أيضاً بِتَبَيُّنِ فكرة الصلاة بِصدقٍ مِنْ أَجْلِ الآخرين، وأدْرَكَ أنَّ الدعاءَ يَتَطَلَّبُ وقتاً ومجهوداً، ولكنَّه يَجْلِبُ البهجةَ أيضاً. لذا ذَهَبَ أبو عمر إلى المدن والأرياف خارج العاصمة، حيث لا تُوجَدُ كنائسٌ، وقد كان يسير في شوارعها وهو يُصَلِّي، وكان يَسْتَقِلُّ الحافلةَ في كُلِّ يومٍ جُمعة - وهو يوم عطْلَتِهِ - وَيَتَوَجَّهُ إلى مدينةٍ مُخْتَلِفَةٍ ويسير في شوارعها ساعاتٍ عِدَّة. وكان وهو يسير يُصَلِّي مِنْ أَجْلِ حلولِ بَرَكةِ اللَّهِ على ذلك المكان وعلى الناس الذين التَقَى بهم.

ذَهَبَ أبو عمر في يومٍ جُمعةٍ مع المجموعة التي كانت ترافقه إلى أحد المطاعم لِتَنَاولِ الشاورما. وَقَبْلَ الأكل، أحنا رؤوسهم وشكروا اللَّه، فَتَقَدَّمَ صَاحِبُ المطعم إليهم وسألهم: «ماذا تَفْعَلُونَ؟»

أجابهُ أبو عمر: «إِنَّا نَشْكُرُ اللَّهَ مِنْ أَجْلِ هذا الطعام، ونسأله أيضاً أَنْ يَمْنَحَ الطعامَ لِكُلِّ المحتاجين من حَوْلنا.»

اندَهَشَ صَاحِبُ المطعم من جواب أبي عمر وطَرَحَ مزيداً من الأسئلة، فاستَغَلَّ أبو عمر الفرصةَ وابتدأ بالتكلُّم معه عن يسوع المسيح. قال له

صَاحِبُ الْمَطْعَمِ: «لَا بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ مُجَدِّدًا فِي أَثْنَاءِ الْأُسْبُوعِ الْقَادِمِ، وَلَكِنْ لَنْ تَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ هُنَا، بَلْ فِي مَنْزِلِي.»

شَارَكَ أَبُو عَمْرٍ فِي أَثْنَاءِ الْأُسْبُوعِ الَّتِي تَلَتْ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ مَعَ هَذَا الرَّجُلِ وَمَعَ عَائِلَتِهِ، فَآمَنُوا جَمِيعًا بِالْمَسِيحِ. وَنَتِيجَةً لَذَلِكَ، تَجْتَمِعُ الْيَوْمَ كَنِيسَةٌ صَغِيرَةٌ كُلَّ أُسْبُوعٍ فِي مَنْزِلِهِمْ، فِي وَسْطِ مَدِينَةٍ صَغِيرَةٍ لَا يُوجَدُ فِيهَا مَبَانٍ كَنَسِيَّةٌ.

أَذْرَكَ أَبُو عَمْرٍ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُضِيَّاءَ بَنُورِ الْإِنْجِيلِ فِي هَذِهِ الْمَدِينِ، وَأَنَّهُ يُحَقِّقُ هَذَا الْأَمْرَ بِوَاسِطَةِ الْإِعْلَانِ وَالصَّلَاةِ. وَهَكَذَا انْتَقَلَ أَبُو عَمْرٍ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرٍ وَهُوَ يُصَلِّي، وَتَوَقَّعَ اسْتِجَابَةَ اللَّهِ لصلواته، حَتَّى لَوْ لَمْ يَسْتَجِبِ اللَّهُ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي تَوَقَّعَهَا. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ عِنْدَمَا جَلَسَ فِي الْمَطْعَمِ لِأَكْلِ سَاندْوِيشِ الشَّاورْمَا أَنَّ اسْتِجَابَةَ اللَّهِ لصلواته كَانَتْ أَمَامَهُ مُبَاشَرَةً.

تَعَلَّمْ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ مِنْ يَسُوعَ

بِوَاسِطَةِ تَعَالِيمِهِ

إِنَّ يَسُوعَ هُوَ أَفْضَلُ مَنْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْهُ عَنِ الصَّلَاةِ، لَيْسَ لِأَنَّهُ عَرَفَ الْكَثِيرَ عَنْهَا، بَلْ لِأَنَّهُ اعْتَمَدَ عَلَيْهَا عَلَى نَحْوِ كَبِيرٍ. سَأَلَ أَحَدُ التَّلَامِيذِ يَسُوعَ فِي إِنْجِيلِ لُوقَا 11: 1 أَنْ يُعَلِّمَهُمْ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ، فَاسْتَجَابَ يَسُوعَ لطلبه وَعَلَّمَ تَلَامِيذَهُ أَوَّلًا الصَّلَاةَ الرَّبَّانِيَّةَ:

«أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِيَتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ. خُزِنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ، وَاعْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لِأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلَا تَدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّيرِ» (لوقا 11: 2-4).

نُصَلِّي إلى خالقِ الكون، الإلهِ القدوسِ القدير، الذي هو أَيْضًا أبونا السماوي. إِنَّ علاقةَ اللهِ الرئيسةِ والأساسِ بنا هي علاقةُ الأبِ بأبنائه وبناته. لَا يَعْرِفُ الْمُسْلِمُونَ المحيطون بنا- فَضْلًا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ- اللهَ بوصفه أبًا، وَلَا يَعْرِفُونَ مَحَبَّتَهُ اللطيفةَ أو مقدارَ اهتمامه تَجَاه أولاده. لَيْسَ اللهُ أَبًا مِثْلَ بَاقِيِ الْآبَاءِ، بَلْ هُوَ أَبٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ. نُصَلِّي لِيَتَقَدَّسَ اسْمُهُ وَلِيَحْصَلَ عَلَى كُلِّ الْمَجْدِ الذي يَسْتَحِقُّهُ. هَذَا هُوَ الْهَدَفُ مِنْ وَرَاءَ هَذَا الْكِتَابِ: أَنْ يَنَالَ اللهُ الْمَجْدَ الذي يَسْتَحِقُّهُ. وَيَحْدُثُ ذَلِكَ الْأَمْرُ عِنْدَمَا نَسْعَى إِلَى صِنَاعَةِ التَّلَامِيذِ وَزِرَاعَةِ الْكُنَاسِ حَتَّى يَتَقَدَّسَ اسْمُهُ.

نُصَلِّي أَنْ يَأْتِيَ مَلَكُوتُهُ وَأَنْ تُكْمَلَ مَشِيئَتُهُ. نَرِيدُ أَنْ نَرَى أَنْفُسَنَا، وَجَمِيعَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي مَجْتَمَعَاتِنَا وَبِلَدَانَا، تَحْتَ سِيَادَةِ اللهِ وَسُلْطَانِهِ. نَرِيدُ أَنْ نَرَى الْجَمِيعَ وَهُمْ خَاضِعُونَ لِلَّهِ بِكُلِّ قُدْرَتِهِمْ، وَنُصَلِّي لَهُ لِيُلْبِيَ احتِجَاجَاتِنَا واحتِجَاجَاتِ الَّذِينَ مِنْ حَوْلِنَا. نُصَلِّي أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الْمَغْفِرَةِ لِدَوَاتِنَا وَحَتَّى لِلَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْنَا.

لَمْ يُعْطِنَا يَسُوعُ هَذِهِ الصَّلَاةَ لِنُرَدِّدَهَا فَقَطْ لَهُ، بَلْ لِنَفْهَمَ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ؛ لَيْسَ بِوَاسِطَةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بَلْ بِكُلِّ مَا هُوَ مُوجُودٌ فِي قُلُوبِنَا. فِي مَا يَلِي، نَجِدُ مِثَالًا عَنْ كَيْفِيَّةِ اسْتِخْدَامِ الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي سَعْيِنَا لِصِنَاعَةِ تِلَامِيذٍ جُدِّدٍ وَزِرَاعَةِ كُنَاسٍ جَدِيدَةٍ.

«أبَانَا السَّمَاوِيِّ، نَفْرَحُ جَدًّا لِأَنَّكَ جَعَلْتَنَا أَوْلَادًا لَكَ. تَمَجِّدْ فِيْنَا وَبَوَاسِطَتِنَا، وَفِي حَيَاةِ الْآخَرِينَ أَيْضًا حَتَّى يَصِيرُوا هُمْ بِدَوْرِهِمْ أَوْلَادًا لَكَ وَيَخْتَبِرُوا صِلَاحَكَ بِوصفِكَ أَبَا سَمَاوِيًّا. سَاعِدْنَا الْيَوْمَ لِنَخْضَعَ لِكَلِمَتِكَ وَلِقِيَادَةِ رُوحِ الْقُدُّوسِ حَتَّى يَمْتَدَّ مَلَكُوتُكَ بِوَاسِطَتِنَا إِلَى عَائِلَاتِنَا وَمَحِيطِنَا وَمَدِينَتِنَا وَبَلَدِنَا. نُصَلِّي حَتَّى يَصِيرَ الْعَالَمُ الْعَرَبِيُّ وَالْعَالَمُ كُلُّهُ خَاضِعًا حَقًّا لِسَيَادَتِكَ وَسُلْطَانِكَ.

اغْفِرْ لَنَا يَا إِلَهِنَا بِسَبَبِ الْمَرَّاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي نَفْشَلُ فِيهَا فِي تَقْدِيمِ الْمَحَبَّةِ لِلْآخَرِينَ، وَامْنَحْنَا النِّعْمَةَ لِنُشَاطِبِ الرَّبَّ يَسُوعَ الَّذِي طَلَبَ الْغُفْرَانَ لِأَعْدَائِهِ. نَحْنُ نَتَعَرَّضُ إِلَى الْاضْطِهَادِ مِنَ الَّذِينَ حَوْلَنَا، أَحْمِنَا مِنَ الشُّعُورِ بِالْمَرَارَةِ وَلَكِنْ عَوِضًا عَنْ ذَلِكَ اْمْلَأْنَا بِالْمَحَبَّةِ مِنْ نَحْوِهِمْ حَتَّى يَتَمَجَّدَ اسْمُكَ وَيَأْتِي مَلَكُوتُكَ وَتَكُونْ مَشِيئَتُكَ، آمِينَ.

شَارَكَ يَسُوعُ مَعَ تَلَامِيذِهِ مَثَلَ الصَّدِيقِ الْمَحْتَاجِ (لوقا 11: 5-8) بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمْ نَمُودَجَ صَلَاةٍ لِيَتَّبِعُوهُ فِي صَلَوَاتِهِمْ، وَعَلَيْنَا أَلَّا نَنْسَى أَنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي تَعْلِيمِهِمْ عَنِ الصَّلَاةِ (وَهُوَ التَّعْلِيمُ الَّذِي أَعْطَاهُ الْمَسِيحُ بِنَاءً عَلَى طَلَبِ تَلْمِيذِهِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى). فِي هَذَا الْمَثَلِ، يَأْتِي رَجُلٌ إِلَى مَنْزِلِ صَدِيقِهِ فِي اللَّيْلِ طَالِبًا مِنْهُ خُبْزًا لِيُطْعِمَ ضَيْفَهُ الَّذِي كَانَ قَدْ وَصَلَ لِلتَّو، وَعِنْدَمَا سَمِعَ صَدِيقُهُ الْقَرَعَ عَلَى الْبَابِ، رَفَضَ أَنْ يُسَاعِدَهُ لِأَنَّ الْبَابَ مُغْلَقٌ وَأَوْلَادُهُ مَعَهُ فِي الْفِرَاشِ. قَالَ يَسُوعُ فِي الْآيَةِ 8: «أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لَا يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكُونِهِ صَدِيقَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لِبَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدَرًا مَا يَحْتَاجُ». لَمْ يَشْعُرِ الرَّجُلُ فِي الْبَيْتِ أَنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى مُسَاعَدَةِ صَدِيقِهِ فِي حَالَتِهِ الطَّارِئَةِ، وَلَكِنَّهُ سَاعَدَهُ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُعَيَّرَ فِي الْمُجْتَمَعِ وَيُشَارَ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ رَجُلٌ بَخِيلٌ، فَكَمْ سَيُعْطِي اللَّهُ مِنْ أَجْلِ مَجْدِ اسْمِهِ؟!

بَعْدَ ذَلِكَ، قَدَّمَ الرَّبُّ يَسُوعَ الْخَلَاصَةَ: «وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحْ لَهُ» (لوقا 11: 9-10). نَجِدُ الرِّجَاءَ فِي صَلَوَاتِنَا لِأَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ وَيُعْطِي وَيُسَاعِدُ وَيُفْتَحُ الْأَبْوَابَ وَيَسْتَجِيبُ لَصَرَخَاتِنَا.

وَحَتَّى إِنْ نَظَرْنَا إِلَى الْأَبَاءِ الْبَشَرِيِّينَ الْخَطَاةَ (حَيْثُ وَصَفَهُمُ الرَّبُّ يَسُوعَ بِتَعْبِيرِ «الْأَشْرَارَ»!)، نَرَاهُمْ يُقَدِّمُونَ عَطَايَا جَيِّدَةً عِنْدَمَا يَسْأَلُهُمْ أَوْلَادُهُمْ أَنْ يَعْطُوهُمْ شَيْئًا مَا، فَهُمْ لَا يَعْطُونَ أَوْلَادَهُمْ حَجَرًا عِنْدَمَا يَطْلُبُونَ خُبْرًا، أَوْ حَيَّةً عِنْدَمَا يَطْلُبُونَ بَيْضَةً. وَبَعْدَ أَنْ أَعْطَى الرَّبُّ يَسُوعَ هَذِهِ الْأَمْثَلَةَ، خَتَمَ قَائِلًا: «فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلَادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الْآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟» (لوقا 11: 13).

عِنْدَمَا نُقَدِّمُ الدُّعَاءَ إِلَى اللَّهِ وَنُصَلِّي لِلْحَصُولِ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ بَيْنَمَا نَصْنَعُ تِلَامِيذًا لَهُ، فَإِنَّا نَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ أَبَانَا السَّمَاوِيِّ عَلَى أَتَمِّ الْإِسْتِعْدَادِ وَيَرْغَبُ فِي أَنْ يَسْتَجِيبَ لَصَلَوَاتِنَا، وَأَنْ يُلَبِّيَ حَاجَاتِنَا مِنْ أَجْلِ مَجْدِ اسْمِهِ.

بواسطة مثال حياته

نَتَعَلَّمُ عَنِ الصَّلَاةِ لَيْسَ فَقَطْ بِوَسْطَةِ تَعَالِيمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، بَلْ أَيْضًا بِوَسْطَةِ مِثَالِ حَيَاتِهِ. فَالْمَسِيحُ لَمْ يُعَلِّمْ فَقَطْ عَنِ الصَّلَاةِ، بَلْ أَيْضًا مَارَسَهَا أَيَّ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي.

وَرِغْمَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ الَّذِي صَارَ بَشَرًا، فَإِنَّا نَرَاهُ، بِوَصْفِهِ إِنْسَانًا، مُعْتَمِدًا تَمَامًا عَلَى اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ. أَحَبَّ يَسُوعَ أَنْ يَخْتَلِيَ عَنِ النَّاسِ وَيُصَلِّيَ (مَتَّى 14: 22-23؛ مَرْقَسُ 1: 35-38). وَحَتَّى عِنْدَمَا كَانَتْ

الجموع تَطْلُبُ أَنْ تَرَاهُ، فَقَدْ أُعْطِيَ الْأُولَوِيَّةُ لِحَاجَتِهِ لِلصَّلَاةِ عَلَى حَاجَتِهِمْ لِلْقَائِهِ. «فَذَاعَ الْخَبْرُ عَنْهُ أَكْثَرَ. فَاجْتَمَعَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ لِكَيْ يَسْمَعُوا وَيُشْفَوْا بِهِ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ. وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْزِلُ فِي الْبَرَارِيِّ وَيُصَلِّي» (لوقا 5: 15-16). وهكذا، نَتَعَلَّمُ مِنْ يَسُوعَ أَنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُخَصِّصَ عَنْ قَصْدٍ وَقْتًا فَرْدِيًّا مِنْ أَجْلِ الصَّلَاةِ. لَا يَجُوزُ أَنْ نَسَمَحَ لِحَاجَاتِ الْآخَرِينَ الطَّارئةِ أَنْ تَمْنَعَنَا مِنَ الصَّرَاحِ إِلَى أَبِينَا السَّمَاوِيِّ فِي الصَّلَاةِ.

أَمَضَى يَسُوعُ اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلَاةِ قَبْلَ أَنْ يَخْتَارَ تَلَامِيذَهُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ. يَقُولُ الْبَشِيرُ لُوقَا: «وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلَاةِ لِلَّهِ. وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلَامِيذَهُ وَاخْتَارَ مِنْهُمْ اِثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضًا رُسُلًا» (لوقا 6: 12-13). احتاج المسيحُ نَفْسَهُ أَيْضًا إِلَى الْحِكْمَةِ وَاعْتَمَدَ عَلَى إِرْشَادِ اللَّهِ لَهُ لِيَعْرِفَ مَنْ يَجِبُ أَنْ يَخْتَارَهُمْ.

تَزُوْدُ الصَّلَاةُ الْخَادِمَ بِالْقُوَّةِ لِيَتِمَّمَ خِدْمَتُهُ. لَمْ يَسْتَطِعْ تَلَامِيذُ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئًا عِنْدَمَا أَحْضَرَ رَجُلٌ ابْنَهُ إِلَيْهِمْ لِيُخَرِّرُوهُ مِنَ الْأَرْوَاحِ الشَّرِيرةِ. وَبَعْدَ أَنْ أَخْرَجَ الرَّبُّ يَسُوعَ الشَّيَاطِينَ مِنَ الشَّابِّ؛ نَقَرْنَا عَنْ تَلَامِيذِهِ: «سَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ عَلَى انْفِرَادٍ: لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا الْجِنْسُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ» (مرقس 9: 28-29).

غَيْرَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ لَمْ يُصَلِّ حِينَ أَخْرَجَ الرُّوحَ الشَّرِيرَ، بَلِ «انْتَهَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ قَائِلًا لَهُ: أَيُّهَا الرُّوحُ الْأَخْرُسُ الْأَصَمُّ أَنَا أَمْرُكَ: اخْرُجْ مِنْهُ وَلَا تَدْخُلْهُ أَيْضًا!» (مرقس 9: 25). هَلْ قَصَدَ الرَّبُّ يَسُوعَ أَنَّهُ وَحْدَهُ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْرِجَ الشَّيَاطِينَ مِنْ دُونِ الصَّلَاةِ، بَيْنَمَا يَتَوَجَّبُ عَلَى أَتْبَاعِهِ أَنْ يُصَلُّوا لِيُخْرِجُوهُمْ؟ إِنَّ هَذَا الْاِحْتِمَالَ غَيْرُ وَارِدٍ. عَاشَ يَسُوعُ وَخَدِمَ عَلَى أَنَّهُ الْمَسِيحُ الْبَشَرِيُّ أَوْ الْإِنْسَانُ، وَكَانَ مِمْتَلِئًا مِنْ رُوحِ اللَّهِ وَشَفَى بِالْاِعْتِمَادِ

على قوّة الله، ولم يُخْرِجِ المسيحُ الشياطينَ بطريقةٍ ويتوقَّعُ من تلاميذه أنْ يَفْعَلُوا ذلكَ بطريقةٍ أُخرى.

لَمْ يَقْصِدِ الرَّبُّ يسوع من كلامه مع تلاميذه أنه كان يجدر بهم الصلاة في تلك اللحظة (على الرغم من أهميّة الأمر في مَنْحِ الدعمِ الإلهي) بل كان يُظهِرُ لهم أهميّةَ عيش حياة الصلاة. نَحْضُلُ على القوّة من الله بواسطة التواصل معه، ونقترب أكثر من الله بواسطة الصلاة ونُعَاين قُوَّتَهُ العاملة فينا. كما نَحْضُلُ على قوّة الله بواسطة الوجود في مَحْضَرِهِ.

عندما سَجَلْ مَتَّى هذه الحادثة في إنجيله، أوردَ سَبَبًا مُهمًّا إضافيًا حَوْلَ عَجَزِ تلاميذِ الرَّبِّ يسوع عن إخراج الروح النجس، إذ عندما سأله التلاميذُ عن سَبَبِ فشْلِهِمْ قال لهم: «لِعَدَمِ إِيْمَانِكُمْ. فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيْمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجَبَلِ: اُنْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلْ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرٌ مُمَكِّنٍ لَدَيْكُمْ» (متّى 17: 20). تَكَلَّمَ الرَّبُّ يسوع هُنا عن الاحتياج إلى الإيمان، بينما تَكَلَّمَ في مرقس عن الاحتياج إلى الصلاة. يسير الإيمان والصلاة جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ.

بالإيمان نُحَرِّكُ الجبالَ ولا يَصْعُبُ عَلَيْنَا أَمْرٌ (راجع أيضًا متّى 21: 21-22)، وبالإيمان نَصْنَعُ أُمُورًا عَظِيمَةً، مِثْلَ إخراج الشياطين. ولكننا نحتاج إلى الصلاة لِيَكُونََ لَنَا هذا النوع من الإيمان. يجدر بنا أنْ نُحَافِظَ على علاقةٍ بالله تَمَيِّزُ بِأَنَّهَا مُسْتَمِرَّةٌ نابضةٌ بالحياة قادرةٌ على أنْ تَبْنِيَ إِيْمَانَنَا وَتُعْزِيزَهُ وَتُقَوِّيه. عَلَّمَنَا الرَّبُّ يسوع في هذه القِصَّةِ أَنَّ القوّة لإخراج الشياطين متاحةٌ لنا بواسطة العلاقة مع الله بواسطة الصلاة. لا نحتاج إلى تلاوة صلاةٍ في وقت المعركة الروحيّة، بل إلى حياة صلاةٍ مُسْتَمِرَّةٍ قَبْلَ أَنْ نَدْخُلَ المعركة.

اِخْتَبَرَ يَسُوعُ عِلَاقَةً نَابِضَةً بِالحَيَاةِ مَعَ اللَّهِ الْآبِ بِوِاسِطَةِ الصَّلَاةِ، إِذْ كَانَ يَقْضِي الْوَقْتَ مَعَهُ. وَالْمَسِيحُ يَدْعُونَا لِنَتَمَتَّعَ بِالعِلَاقَةِ نَفْسُهَا مَعَ اللَّهِ الْآبِ، وَمَعَهُ هُوَ أَيْضًا. يَنْطَبِقُ مَبْدَأُ الدَّعَاءِ وَالصَّلَاةِ لَيْسَ فَقْطَ عَلَى صِنَاعَةِ التَّلَامِيذِ وَزَرْعِ الْكِنَائِسِ، بَلْ أَيْضًا عَلَى مُجْمَلِ حَيَاتِنَا. نَتَوَاصَلُ مَعَ اللَّهِ بِوِاسِطَةِ الصَّلَاةِ؛ حَيْثُ إِنَّ جَوْهَرَ حَيَاتِنَا هُوَ أَنْ نَعْرِفَ اللَّهَ. وَعَدَ الرَّبُّ يَسُوعَ الَّذِينَ يَثْبُتُونَ فِيهِ قَائِلًا: «إِنْ ثَبَّتُمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلَامِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تَرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ. بِهَذَا يَتِمَّجِدُ أَبِي: أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُونَ تِلَامِيذِي» (يُوحَنَّا 15: 7-8).

كَلِمَةُ تَحْذِيرِيَّةٍ

بَيْنَمَا نَرْفَعُ الدَّعَاءَ وَالصَّلَاةَ، لَا بُدَّ أَنْ نَتَوَخَّى الْحَذَرَ مِنْ تَحْوِيلِ الصَّلَاةِ إِلَى أَمْرِ نُمَارِسِهِ مِنْ أَجْلِ الخِدْمَةِ فَقْطَ. نَرِيدُ بِالتَّأَكِيدِ أَنْ نُصَلِّيَ مِنْ أَجْلِ الْآخَرِينَ وَمِنْ أَجْلِ الثَّمَرِ. لَا تُشَكِّلُ هَذِهِ النَّاحِيَةُ الْغَرَضَ الْأَسَاسَ مِنَ الصَّلَاةِ. نُصَلِّيُ لِأَنَّنَا نَرِيدُ أَنْ نَتَعَرَّفَ أَكْثَرَ إِلَى أَبِيْنَا السَّمَاوِيِّ وَأَنْ نَكُونَ فِي مَحْضَرِهِ. نُلَاحِظُ مَرَّاتٍ عَدَّةً فِي سَفَرِ أَعْمَالِ الرِّسَالَةِ أَنَّ الرِّسَالَاتِ طَلَبُوا وَجْهَ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَنْ تَكُونَ لَدَيْهِمْ أَهْدَافٌ مُرْتَبِطَةٌ بِالخِدْمَةِ. وَهُمْ طَلَبُوا وَجْهَ اللَّهِ بِوِاسِطَةِ الصَّلَاةِ لِيَكُونُوا مَعَهُ. وَلَكِنَّ اللَّهَ عَمِلَ فِي تِلْكَ الْأَوْقَاتِ الْمُعْجَزَاتِ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ تَقَدُّمِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ.

مَثَلًا، نَقْرَأُ فِي أَعْمَالِ الرِّسَالَةِ 3: 1-10 أَنَّ الرِّسُولَ بَطْرُسَ وَالرِّسُولَ يُوحَنَّا تَوَجَّهَا كِلَاهُمَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَلَمْ يَذْهَبَا مِنْ أَجْلِ شِفَاءِ الْأَعْرَجِ أَوْ لِعَمَلِ مُعْجَزَةٍ عَظِيمَةٍ تُوَدِّيُ إِلَى تَمْجِيدِ اللَّهِ مِنْ قِبَلِ كَثِيرِينَ، وَفِي أَثْنَاءِ دُخُولِهِمَا إِلَى الْهَيْكَلِ، تَقَابَلَا مَعَ مَتَسُؤْلِ أَعْرَجَ وَشَفِيَاهُ. وَنَتِيجَةً لَذَلِكَ نَقْرَأُ

أَنَّ النَّاسَ: «امْتَلَأُوا دَهْشَةً وَخَيْرَةً مِمَّا حَدَّثَ لَهُ» (3: 10). حَدَّثَتْ هَذِهِ
المعجزة في أثناء عَيْشِ كُلِّ مِنَ الرُّسُولِ بطرس والرُّسُولِ يوحَنَّا نَمَطَ حَيَاةِ
الصَّلَاةِ الْعَتِيدِيَّ. طَلَبَا بِكُلِّ بَسَاطَةٍ أَنْ يَكُونَا مَعَ اللَّهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ
يَسْتَخْدِمَهُمَا لِمَجْدِ اسْمِهِ.

لَمْ تُغَيِّرْ رِحَالَتُ الرُّسُولِ بُولَسَ التَّبَشِيرِيَّةِ الْعَالَمِ الرُّومَانِيَّ فَحَسَبَ، بَلِ
هِيَ غَيَّرَتْ الْعَالَمَ كُلَّهُ فِيمَا كَانَ يَكْتُبُ رِسَائِلَ عِدَّةٍ لِلْكَنَائِسِ الَّتِي زَرَعَهَا فِي
رِحَالَتِهِ. مَا الطَّرِيقَةُ الَّتِي دَعَاهُ اللَّهُ فِيهَا لِيلْعَبَ هَذَا الدَّوْرَ الْمُغَيِّرَ لِلتَّارِيخِ؟
فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِوَاسِطَةِ اجْتِمَاعِ صَلَاةٍ فِي كَنِيسَةٍ. «وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدُمُونَ
الرَّبَّ وَيَصُومُونَ، قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ
الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ. فَصَامُوا حِينَئِذٍ وَصَلُّوا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا الْيَدَيَّ، ثُمَّ
أَطْلَقُوهُمَا» (أَعْمَالُ الرُّسُلِ 13: 2-3). اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ بِقَصْدِ الْعِبَادَةِ
وَالصَّلَاةِ وَالصُّومِ. وَفِي أَثْنَاءِ وَقْتِ الشَّرَكَةِ هَذَا مَعَ اللَّهِ؛ أَفْرَزَ الرُّوحُ الْقُدُسُ
شَاوُلَ وَبَرْنَابَا، وَغَيَّرَ بِوَاسِطَتِهِمَا الْعَالَمَ.

لَا نُصَلِّيْ عَلَى نَحْوِ أُسَاسٍ لِنَحْصَلَ عَلَى أَشْيَاءَ مُعَيَّنَةٍ، أَوْ حَتَّى لِنَحْصَلَ
عَلَى الْأَشْيَاءِ الْجَيِّدَةِ، مِثْلَ الثَّمَرِ الرُّوحِيِّ فِي خِدْمَاتِنَا، وَلَكِنَّا نُصَلِّيْ مِنْ أَجْلِ
الشَّرَكَةِ مَعَ اللَّهِ. إِنَّنَا نُعَايِنُ اللَّهَ وَهُوَ يُحَقِّقُ الْمُسْتَحِيلَ انْطِلَاقًا مِنْ عُمُقِ
عِلَاقَتِنَا بِهِ.

خُلاصَة

إِنَّ مَبْدَأَنَا الْأَوَّلَ فِي «دَرْبِ الْإِيمَانِ» هُوَ الدَّعَاءُ وَالصَّلَاةُ. لَا يُمَكِّنُنَا
أَنْ نَزَرَعَ كَنَائِسَ مِنْ دُونِ الدَّعَاءِ وَالصَّلَاةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ مَنْ
يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ الْقُلُوبَ وَأَنْ يَجْلِبَ النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ. وَلِذَلِكَ نَتَضَرَّعُ

دَرْبُ الْإِيمَانِ

وَنَسْأَلُ وَنَتَشَفَّعُ، وَنَتَذَكَّرُ أَنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ وَيُرِيدُ. وَعَدَ اللَّهُ أَنْ يَجْلِبَ الْأُمَمَ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ خَلَقَ الْعَالَمَ مِنْ أَجْلِ مَجْدِهِ.

نَتَشَفَّعُ عَلَى نَحْوِ خَاصٍّ لِأَنَّ الْأُمَمَ تَحْتَاجُ إِلَى أَنْاسٍ يَقِفُونَ فِي الثَّغْرِ. يَبْحَثُ اللَّهُ عَنْ خُرَّاسٍ؛ أَنْاسٍ يُعْطُونَ مِنْ وَقْتِهِمْ وَمِنْ طَاقَتِهِمْ لِلتَّشَفُّعِ عِنْدَ عَرْشِهِ مِنْ أَجْلِ خِلَاصِ الْأُمَمِ وَفَرَجِهِمْ.

يُبْنَى عَمَلُ زِرَاعَةِ الْكُنَائِسِ وَصِنَاعَةِ التَّلَامِيذِ عَلَى فِعْلَيْنِ مُحَوَّرَيْنِ هُمَا: الْكَلِمَةُ وَالصَّلَاةُ. وَيَنْبَغِي أَنْ نَنْخُرْطَ فِي كُلِيهِمَا، وَأَنْ نَصْرُخَ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَمِنْ أَجْلِ اسْمِهِ نُعْلِنُ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ مَاتَ وَقَامَ ثَانِيَةً.

هَذَا هُوَ «دَرْبُ الْإِيمَانِ» لِأَنَّهُ «دَرْبُ الرَّبِّ يَسُوعَ»، وَنَحْنُ نَتَّبِعُ آثَارَ خُطَى مُخْلَصِنَا. أَحَبَّ الرَّبُّ يَسُوعَ أَنْ يَخْتَلِيَ وَحِيدًا وَأَنْ يُصَلِّيَ، وَقَدْ احْتَاجَ إِلَى الْإِخْتِلَاءِ بِنَفْسِهِ لِكَيْ يُصَلِّيَ. احْتَاجَ ابْنُ اللَّهِ الْمُتَجَسِّدِ إِلَى قِضَاءِ الْوَقْتِ فِي خُلُوعٍ مَعَ الْآبِ السَّمَاوِيِّ لِيَأْخُذَ مِنْهُ الْقُوَّةَ فِي خِدْمَتِهِ وَالْحِكْمَةَ فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارَاتِ الصَّعْبَةِ. وَبِالتَّأَكِيدِ، نَحْنُ لَسْنَا أَعْظَمَ مِنْ مُعَلِّمِنَا، وَنَحْتَاجُ أَيْضًا إِلَى قِضَاءِ الْوَقْتِ مَعَ الْآبِ السَّمَاوِيِّ.

نَسْعَى إِلَى أَنْ نَتَّبِتَ فِي الْمَسِيحِ حَتَّى يُثَبِّتَ الْمَسِيحُ وَالْآبُ السَّمَاوِيُّ الثَّمَرَ فِينَا وَبِوَاسِطَتِنَا. نَسْعَى إِلَى عَيْشِ الطَّاعَةِ لِكَلَامِهِ بِمَحَبَّةٍ حَتَّى تَسْكُنَ كَلِمَتُهُ فِينَا. وَعِنْدَمَا نَفْعَلُ ذَلِكَ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطْلُبَ مَا نُرِيدُ وَنَسْنَالَهُ وَفَقًّا لِمَشِيئَةِ اللَّهِ.

وَحَتَامًا، وَفِيمَا نَحْنُ نُصَلِّي، فَإِنَّا نُصَلِّي بِإِيمَانٍ مُتَذَكِّرِينَ أَنَّ أَبَانَا السَّمَاوِيِّ كُلُّهُ الْقُدْرَةُ. يَقُولُ الرَّسُولُ بُولُسُ: «وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا، لَهُ

الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدَّهُورِ. آمِينَ»
(أفسس 3: 20-21).

السير في «دَرْبِ الإِيمَانِ»

1. اختَرُ خَمْسَةَ أَشْخَاصٍ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ضَمْنِ دَائِرَةِ مَعَارِفِكَ
لتَبْدَأَ بِالصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِهِمْ عَلَى نَحْوِ دَوْرِي؟
2. ما الأُمُورُ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَنْمُوَ فِيهَا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ
بِوَاسِطَةِ الصَّلَاةِ؟
3. ما التَّغْيِيرَ البَسِيطَ الَّذِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْمَلَهُ لَتَنْمُوَ فِي اتِّكَالِكَ عَلَى
اللَّهِ فَتَنَالَ قُوَّتَهُ فِي حَيَاتِكَ؟
4. مَعَ مَنْ سَتُشَارِكُ الْأُمُورَ الَّتِي تَعَلَّمْتَهَا عَنِ الدَّعَاءِ وَالصَّلَاةِ؟

الفصل الثاني

روح الله يملؤنا

استيقظت أمُّ يعقوب فجأةً من نومها وهي تُفكِّرُ بِاسْمِ سناء. وقد حَدَّثَ ذلك في الليلة التي سبقتِ التحضيرَ لإقامة عيادةٍ طبيَّةٍ منزليَّةٍ تحت إشرافها مع زوجها في بيت إحدى العائلات السوريَّة. وقد وَجَدَتْ أمُّ يعقوب وزوجها، مِنْ ضَمَنِ مشروع العيادات الطبيَّة، عائلةً تَرغِبُ في استضافة العيادة الطبيَّة في مَنْزِلِهِمْ، ثُمَّ أَحْضَرَا طبيبةً في اليوم المُخَصَّصَ لَتُجَرِّيَ الكشوفات الطبيَّة. دَعَتِ العائلةُ المستضيفة كُلَّ مَنْ يَحْتَاجُ إلى علاجٍ مِنْ ضَمَنِ دائرة معارفهم. عايَنَتِ الطبيبةُ المرضى مَجَّانًا وَقَدَّمُوا الدواءَ لِكُلِّ مَنْ كان يحتاجه. سعت أمُّ يعقوب مع زوجها إلى إيجاد فرصٍ سانحةٍ لِمُشارَكةِ الأخبارِ السارَّةِ مع المرضى بواسطة تلبية احتياجاتهم الطبيَّة.

سناء! لَمْ تَعْرِفْ أمُّ يعقوب أَحَدًا بهذا الاسم، وَفَكَّرَتْ في نَفْسِها أَنَّهُ مُمَكِّنٌ أَنَّ اللَّهَ قد أَرْشَدَهَا إلى هذا الاسم لأنَّها تحتاج إلى الصلاة في أثناء زيارتها إلى العيادة الطبيَّة. وَقَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ الدَّوامُ في العيادة، تَحَدَّثَتْ أمُّ يعقوب إلى الطبيبة وإلى النساء اللواتي يَقُومْنَ بِالمُساعدَةِ وَطَلَبَتْ مِنْهُنَّ البَحْثَ عن أَيْةِ امرأةٍ تُدعى سناء.

ومع تَقَدُّمِ الوقتِ في أثناء النهار، عالجوا المرضى واحداً تلو الآخر من دُونَ أَنْ تَظْهَرَ امرأةٌ تَحْمِلُ هذا الاسم. وكان ذلك إلى أَنْ حَضَرَتْ امرأةٌ تَحْمِلُ اسماً مُشابهاً، حيث كان اسمها هناء. وكانت تعاني مشكلاتٍ صَحِيَّةٍ كثيرة لَمْ تستطع الطيبَةُ أَنْ تُعالِجَها. أَخْبَرَتْها أُمُّ يَعْقُوبَ أَنَّه على الرغم من عدم قدرة الطيبَةِ على مُساعدَتِها، فَإِنَّ اللَّهَ يستطيع أَنْ يَشْفِيَهَا بِاسْمِ يَسُوعَ. وحيث إِنَّ اسمها كان مُشابهاً للاسم الذي سمعته في أثناء نومها، شاركتْ أُمُّ يَعْقُوبَ معها أَنَّها استيقظتْ لَيْلاً وهي تَسْمَعُ اسمَ سناء، فَتَمَلَّكَ الذَّهْوُلُ هناءَ، وَاتَّسَعَتْ مُقْلَتَاهَا عند سماعها هذا الكلام. فقاطعتها هناء قائلة: «والدي أرادت أَنْ تُطَلِّقَ عَلَيَّ اسمَ سناء عند ولادتي، ولكنَّ والدي رَفَضَ ذلك.» صَلَّتْ أُمُّ يَعْقُوبَ مِنْ أَجْلِها وَمِنْ أَجْلِ ابنتِها التي عانت من داء الصَّرَع. وفي أثناء صلاة أُمِّ يَعْقُوبَ، كَرَّرَتْ هناء مراراً وتكراراً هذه العبارة: «أنا ذلك الشخص! أنا ذلك الشخص!».

شَفِيَتِ الفتاةُ تماماً من داء الصَّرَع. كانت تتعرَّضُ قَبْلَ الصلاة إلى نوبتين من نوبات الصَّرَع أسبوعياً. ومنذ أَنْ صَلَّتْ أُمُّ يَعْقُوبَ بِاسْمِ يَسُوعَ لَمْ تُصَبِ الفتاةُ حتَّى بنوبةٍ واحدةٍ من الصَّرَع. تابعتْ أُمُّ يَعْقُوبَ وزوجها هناء وابنتها بزياراتٍ متعدِّدة، وشاركا معهما ومع أشخاصٍ آخَرِينَ من دائرة معارفهما مزيداً من القصص.

حَصَرَ رُوحُ اللَّهِ بِقُوَّةٍ لِيَشْفِيَ ابنةَ هناء، وَقَبْلَ أَنْ يَحْضَرَ بِقُوَّتِهِ، كَشَفَ إلى أُمِّ يَعْقُوبَ اسماً مُعَيَّناً. وَمِنْ ثَمَّ، أَخَذَتْ أُمُّ يَعْقُوبَ المُبادَرةَ بالإيمان للعثور على المرأة التي كَشَفَ اللَّهُ لها عن اسمها. لَمْ يَكُنْ أَيُّ أَمْرٍ من هذه الأمور لِيَحْدُثَ لو لَمْ تُصَلِّ أُمُّ يَعْقُوبَ مع زوجها لله بِإِخْلَاصٍ لِيُطَلِّقَ قُوَّتَهُ بواسطتهما بروحه القدوس.

وقد شهدنا حقاً أننا لا نستطيع القيام بصناعة التلاميذ وزراعة الكنائس بمفردنا، فنحن نحتاج إلى إطلاق قوّة الله بواسطة الصلاة. سندُرُسُ في هذا الفصل المبدأ الثاني من «دَرْبِ الإيمان» وهو: **روح الله يملؤنا.**

كان بولس الرسول مُبَشِّرًا وزارعًا عظيمًا للكنائس. ومع ذلك، قال بوضوح إنَّ كُلَّ الأشياء العظيمة الرائعة التي قام بها لم تَعْمِدْ على قُوَّتِهِ الذاتية، بل على الربِّ يسوع وعلى العمل الذي حَقَّقَهُ الربُّ يسوع فيه بِقُوَّةِ الروح القدس، حيث قال: «لَأَنِّي لَا أَجْسُرُ أَنْ أَتَكَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا لَمْ يَفْعَلْهُ الْمَسِيحُ بِوَاسِطَتِي لِأَجْلِ إِطَاعَةِ الْأُمَمِ، بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، بِقُوَّةِ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ، بِقُوَّةِ رُوحِ اللَّهِ. حَتَّى إِنِّي مِنْ أُورُشَلِيمَ وَمَا حَوْلَهَا إِلَى الْلِيرِيكُونِ، قَدْ أَكْمَلْتُ التَّبَشِيرَ بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ» (رومية 15: 18-19).

تغيَّرت حياة كثيرين بواسطة خدمة الرسول بولس، وتحرَّروا من ملكوت الظلمة وانتقلوا إلى ملكوت ابن الله الحبيب. وهكذا اكتمل زَرْعُ الكنائس، وأكْمَلَ الرَسُولُ بولس خدمةَ إنجيل المسيح من «أُورُشَلِيمَ وَمَا حَوْلَهَا إِلَى الْلِيرِيكُونِ» (أي كرواتيا وسلوفينيا حاليًا). حَدَّثَتْ كُلُّ هذه الأمور المُدهِشة بواسطة الرسول بولس وبواسطة تَعَبِ يَدَيْهِ. لَمْ يَكُنِ الرسول بولس خاملًا أو كسولًا، بل أَعْلَنَ الإنجيلَ، ولَبَّى احتياجاتِ الناسِ وَخَدَمَهُمْ بِكُلِّ مَحَبَّةٍ. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ وَاضِحًا، إِذْ لَمْ يَنْسِبِ الْفَضْلَ فِي ذَلِكَ لِنَفْسِهِ بَلْ أَعْطَى الْفَضْلَ كُلَّهُ لِلْمَسِيحِ: «لَأَنِّي لَا أَجْسُرُ أَنْ أَتَكَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا لَمْ يَفْعَلْهُ الْمَسِيحُ بِوَاسِطَتِي». لَا شَكَّ أَنَّ الرسول بولس قد لَعِبَ دورًا مُهمًّا، ولكنَّ التَّغْيِيرَ جاء بواسطة يسوع المسيح.

حَقَّقَ الْمَسِيحُ هذه الأمور بِقُوَّةِ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ. ومُثِيرٌ للاهتمام أَنَّ الرَسُولَ بولس لَمْ يَقُلْ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ أَنْجَزَ هذه الأمور بِقُوَّتِهِ الْخَاصَّةِ، وَلَكِنْ بِقُوَّةِ رُوحِ اللَّهِ (رومية 15: 19). وهو الأمر الذي نراه بِكُلِّ وضوحٍ في

أثناء حياة يسوع وخدمته الأرضية، فقد صنع يسوع الأعمال العظيمة بقوة الروح القدس.

قُوَّةُ اللَّهِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ فِي حَيَاةِ يَسُوعَ

نُلاحِظُ الرابِطَ ما بين روح الله وقُوَّةَ الله من لحظات حياة يسوع الأولى. عندما ظهرَ المَلَكُ جبرائيل لمريم وأخبرها عن الابن الذي سيولد، سألتها العذراء: «كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟ فَأَجَابَ الْمَلَكُ وَقَالَ لَهَا: الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ، فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمُؤَلُّودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ» (لوقا 1: 34-35).

تَكَلَّمَ الْمَلَكُ عن حدوث أمرين مع العذراء، وهذان الأمران هما: سَيَحِلُّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهَا، وَتُظَلِّلُهَا قُوَّةُ الْعَلِيِّ. عندما حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ على مريم، ظَلَّلَتْهَا قُوَّةُ الْعَلِيِّ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ. حَلَّ رُوحُ اللَّهِ وَحَلَّتْ قُوَّةُ اللَّهِ جَنبًا إِلَى جَنبٍ على مريم العذراء.

وَنَقْرَأُ أَيْضًا فِي تَجَرِبَةِ الشَّيْطَانِ لِيَسُوعَ: «أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الْأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ» (لوقا 4: 1). بَعْدَ انتصار يسوع على تجارب الشيطان والنجاح الذي حَقَّقَهُ يسوعُ فِي مَوَاجَهَةِ تِلْكَ التَّجَارِبِ، يُخْبِرُنَا الْبَشِيرُ لُوقَا عَنْ يَسُوعَ مَا يَلِي: «رَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَلِيلِ» (لوقا 4: 14). ذَهَبَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَرَجَعَ بِقُوَّةِ الرُّوحِ. مَهَّدَ الرُّوحُ الْقُدُسُ الطَّرِيقَ لخدمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ، الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُ بِسُلْطَانٍ وَيُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ وَيُشْفِي الْمَرْضَى، وَيُثَبِّتُ الْأَمْوَاتَ أَيْضًا. تُسَاعِدُنَا الْعِبَارَةُ الْوَارِدَةُ فِي إِنْجِيلِ لُوقَا 4: 14 عَلَى فَهْمِ أَنَّ

كُلُّ الْأُمُورِ الَّتِي تَصَمَّنَتْهَا خِدْمَةُ يَسُوعَ هِيَ بِسَبَبِ كَوْنِ يَسُوعَ قَدْ «رَجَعَ... بِقُوَّةِ الرُّوحِ».

شَدَّدَ يَسُوعُ نَفْسَهُ عَلَى دَوْرِ رُوحِ اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ (فِي إِنْجِيلِ لُوقَا 4: 18-21)؛ إِذْ مُبَاشَرَةً بَعْدَ انتصارِهِ عَلَى الشَّيْطَانِ، رَجَعَ الرَّبُّ يَسُوعَ إِلَى الْجَلِيلِ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَذَهَبَ إِلَى النَّاصِرَةِ يَوْمَ السَّبْتِ. وَمِنْ ثَمَّ، أَخَذَ سِفْرَ إِشْعِيَاءَ وَقَرَأَ مِنْهُ: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لِأُنَادِيَ لِلْمَأسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعُمَى بِالْبَصَرِ، وَأَرْسَلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرَزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ» (لُوقَا 4: 18-19). ثَمَّ جَلَسَ وَقَالَ: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ» (لُوقَا 4: 21). وَبِكَلِمَاتٍ أُخْرَى؛ قَدْ أَتَى الشَّخْصَ الْمَوْعُودَ بِهِ الَّذِي يَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، حَيْثُ إِنَّ تَعْلِيمَ الْمَسِيحِ وَكُلَّ أَعْمَالِ الشِّفَاءِ الَّتِي قَامَ بِهَا هِيَ تَأْكِيدَاتٌ أَنَّ رُوحَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ قَدْ مَسَحَ يَسُوعَ لِيَفْعَلَ هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا.

أَوْضَحَ الرَّبُّ يَسُوعَ مَرَّةً جَدِيدَةً دَوْرَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي خِدْمَتِهِ عِنْدَمَا قَالَ: «وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللَّهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ» (مَتَّى 12: 28). وَلَئِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ الْمُتَجَسِّدَةِ، فَإِنَّ لَهُ السُّلْطَانَ وَالْقُوَّةَ عَلَى الشَّيَاطِينِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُخْرِجْهَا بِقُوَّتِهِ وَسُلْطَانِهِ بَلْ أَخْرَجَهَا «بِرُوحِ اللَّهِ».

أَوْضَحَ الرَّسُولُ بَطْرُسُ أَيْضًا الرِّابِطَ مَا بَيْنَ رُوحِ اللَّهِ وَقُوَّةِ اللَّهِ فِي حَيَاةِ يَسُوعَ، وَعِنْدَمَا التَقَى بِكَرْنِيلْيُوسَ وَالْمُجْتَمِعِينَ مَعَهُ فِي مَنْزِلِهِ، قَالَ عَنْ يَسُوعَ: «... الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللَّهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ، الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، لِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مَعَهُ» (أَعْمَالُ الرُّسُلِ 10: 38). كَانَتْ لِيَسُوعَ الْقُدْرَةُ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ

والشفاء، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْتَمِدْ عَلَى قُوَّتِهِ، بَلْ خَدَمَ بَقُوَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي مَسَحَهُ اللَّهُ الْآبَ بِهِ.

كان روح الله على يسوع منذ الحبل به وفي أثناء حياته. عند معمودية يسوع، نقرأ أنه «...نَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جَسَمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ» (لوقا 3: 21-22). تَجَلَّى رُوحُ اللَّهِ فِي الْقُوَّةِ الَّتِي رَافَقَتْ يَسُوعَ فِي معجزاته، كما يُشير البشير لوقا في إنجيله: «وَكَاثَتْ قُوَّةُ الرَّبِّ لِشِفَائِهِمْ» (لوقا 5: 17).

كان روح الله نَشِطًا وحاضرًا في حياة يسوع للشفاء، لدرجة أننا نقرأ عنه ما يلي: «وَكُلُّ الْجَمْعِ طَلَبُوا أَنْ يَلْمِسُوهُ، لِأَنَّ قُوَّةً كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَشْفِي الْجَمِيعَ» (لوقا 6: 19). وَعَمِلَ الرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا بِقُوَّةٍ بِوَاسِطَةِ يَسُوعِ حَتَّى عندما كان منشغلًا، بينما الجموع تحيط به، بكُلِّ ما يدور من حوله. ذات مَرَّةٍ، اقْتَرَبَتْ مِنْ يَسُوعِ امْرَأَةٌ «بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةِ سَنَةً»، وَلَمَسَتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ بِإِيمَانٍ لَتَحْصُلَ عَلَى الشِّفَاءِ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي تَحَقَّقَ لَهَا حَقًّا. شَعَرَ الرَّبُّ يَسُوعَ فُورًا بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ (لوقا 8: 46).

ما أَهْمِيَّةُ فَهْمِنَا أَنَّ يَسُوعَ قَدْ أَتَمَّ خِدْمَتَهُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَلَمْ يَعْتَمِدْ عَلَى قُوَّتِهِ الذَّاتِيَّةِ؟ الْإِجَابَةُ: لِأَنَّنا لَا نَمْلِكُ الْقُوَّةَ؛ فَأَيُّ رَجَاءٍ لَنَا فِي أَنْ نُنْجِزَ أَيَّ أَمْرٍ إِنْ حَقَّقَ يَسُوعُ كُلَّ مَا حَقَّقَهُ بِقُوَّتِهِ؟ وَحَيْثُ إِنَّ يَسُوعَ كَانَ إِنْسَانًا بِكُلِّ مَا تَحْمِلُ الْكَلِمَةُ مِنْ مَعْنَى، وَخَدَمَ بِقُوَّةِ الرُّوحِ، فَإِنَّا نَتَّقُ بِأَنَّنا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَخْدُمَ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ رَغْمَ كَوْنِنَا مَجْرَدَ بَشَرٍ. نَحْنُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَخْدُمَ تَمَامًا كَمَا خَدَمَ يَسُوعُ.

القوة والروح في حياة التلاميذ

عندما أُرْسِلَ الربُّ يسوع تلاميذه، أعطاهم القوة والسلطان، تمامًا كما أعطاه الله القوة والسلطان. يقول البشير لوقا عن المسيح: «دَعَا تَلَامِيذَهُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَانًا عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ وَشِفَاءِ أَمْرَاضٍ، وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى» (لوقا 9: 1-2).

عائِنَ التلاميذُ الربَّ يسوع وهو يَصْنَعُ الآيات والعجائب العظيمة بقوة تَفُوقُ تَصَوُّرَهُمْ. وَمِنْ ثَمَّ، أعطاهم الربُّ يسوع القوة لإخراج الشياطين وشفاء الأمراض. رَجَعَ التلاميذُ بفرح بعدما أُرْسَلَهُم المسيح في إنجيل لوقا الأصحاح 10 وقالوا له: «يَا رَبِّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ!» (لوقا 10: 17)، فاختَبَرَ التلاميذُ قُوَّةَ اللَّهِ العاملة بواسطتهم. قادت قُوَّةُ الروح إلى تحقيق المعجزات: التحرير من الأرواح الشريرة والشفاء من الأمراض. نلاحظُ أَنَّ البشير لوقا لَمْ يُكَلِّفْ نَفْسَهُ في إنجيله عناء استخدام كلمة «معجزة» للإشارة إلى المعجزات، بل استخدَمَ كلمة «قَوَاتٍ»: «ابْتَدَأَ كُلُّ جُمْهُورِ التَّلَامِيذِ يَفْرَحُونَ وَيُسَبِّحُونَ اللَّهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، لِأَجْلِ جَمِيعِ الْقَوَاتِ الَّتِي نَظَرُوا» (لوقا 19: 37).

واصلَ التلاميذُ إظهارَ قُوَّةِ اللَّهِ بواسطة الآيات والمعجزات بَعْدَ صعود الربِّ يسوع إلى السماء. وعندما ذَهَبَ الرسول بطرس والرسول يوحنا إلى الهيكل، كما نقرأ في سفر أعمال الرسل الأصحاح 3، قاما بشفاء الرَّجُلِ الأعرج الذي كان يستعطي. نَطَقَ الرسول بطرس بكلمات بسيطة: «بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ قُمْ وَامْشِ!» (أعمال الرسل 3: 6)، فمشى الرَّجُلُ الأعرج. وبواسطة إظهار هذه القوة، أفسَحَ في المجال أمام الرسول بطرس ليعْلِنَ مَرَّةً جديدةً الأخبارَ السارة عن يسوع، وليدعوَ النَّاسَ إلى التوبة والإيمان.

وعندما استمَعَ الرؤساء والشيوخ إلى الرسول بطرس والرسول يوحنا وهما يُجاهران بقيامة الربِّ يسوع من بين الأموات، ألقوا القبض عليهما واستجوبوهما قائلين: «بِأَيَّةِ قُوَّةٍ وَبِأَيِّ اسْمٍ صَنَعْتُمَا أَنْتُمَا هَذَا؟» (أعمال الرسل 4: 7). لَمْ يَسْتَطِعِ الَّذِينَ عَارَضُوا رسالةَ الربِّ يسوع أَنْ يُنْكِرُوا الْقُوَّةَ الَّتِي ظَهَرَتْ بِوَاسِطَةِ شِفَاءِ الرَّجُلِ الْأَعْرَجِ.

وَبَعْدَ أَنْ تَعَرَّضَا إِلَى التَّهْدِيدِ، أُطْلِقَ سَرَاحُهُمَا فَاجْتَمَعَا مَعَ بَقِيَّةِ شُعْبِ اللَّهِ وَرَفَعُوا مَعًا الدُّعَاءَ وَالصَّلَاةَ، وَلَمْ يَطْلُبُوا الْحِمَايَةَ مِنْ تَهْدِيدَاتِ الشُّيُوخِ، بَلْ طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ قَائِلِينَ: «وَأَمْنَحْ عَيْدَكَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلَامِكَ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ، بِمَدِّ يَدِكَ لِلشِّفَاءِ، وَلْتُجَزَّ آيَاتُ وَعَجَائِبُ بِاسْمِ فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ» (أعمال الرسل 4: 29-30). وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا حَدَّثَ. لَخَصَّ لَوْحًا هَذِهِ الْأُمُورَ فِي خَاتَمَةِ الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ فَنَقْرَأُ: «وَبِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ الرَّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ، وَنِعْمَةً عَظِيمَةً كَانَتْ عَلَى جَمِيعِهِمْ» (أعمال الرسل 4: 33).

الوعد: سَتَنَالُونَ قُوَّةَ

أَدْرَكَ التَّلَامِيذُ أَنَّ رُوحَ اللَّهِ قَدْ حَلَّ عَلَى يَسُوعَ، وَقَدْ عَايَنُوهُ وَهُوَ يَصْنَعُ الْمَعْجَزَاتَ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، كَمَا اخْتَبَرُوا قُوَّةَ الرُّوحِ بِأَنْفُسِهِمْ عِنْدَمَا أَرْسَلَهُمُ الرَّبُّ يَسُوعَ لِيُعْلِنُوا اقْتِرَابَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَفَهِمُوا مَا هِيَ قُوَّةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ الَّتِي تَكَلَّمَ عَنْهَا الرَّبُّ يَسُوعَ فِي سَفَرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ 1: 8 حِينَما قَالَ: «لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهَدَاءَ فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ». تَبَيَّنَ التَّلَامِيذُ، عِنْدَمَا سَمِعُوا كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ هَذِهِ، أَنَّ هَذِهِ الْقُوَّةَ لَيْسَتْ

فقط لإعلان الأخبار السارة عن يسوع بجرأة، بل أيضًا للقيام بالآيات والعجائب، ولطرْد الشياطين، ولشفاء الأمراض.

لا تُوجَد قوَّة مِن دُون الروح القدس. يَجْلِب روحُ الله معه قوَّة الله، وكما نَجِدُ أَنَّ كُلَّ مِن روح الله وقوَّة الله ارتبطا معًا في حياة الربِّ يسوع، فإنَّهما سيرتبطان أيضًا في حياة أتباعه. وينطبق هذا الأمر علينا اليوم أيضًا، حيث يُرسل اللهُ روحه ليعيشَ فينا عندما نُؤمِّنُ بيسوع المسيح، فنصير شهودًا للربِّ يسوع بواسطة قوَّة روحه. إِنَّ القوَّة للشهادة في سَفَر أعمال الرسل تَصَمَّنَتْ أيضًا القوَّة لصُنْع المعجزات.

لِمَنْ أُعْطِيَ هذا الوعد؟

هل أُعْطِيَ وَعْدُ القوَّة بالروح القدس للرسل فقط، أَمْ أَنَّهُ وَعْدٌ لَنَا جميعًا، نحن الذين نُؤمِّنُ بيسوع على أَنَّهُ المسيح؟ إِنَّهُ سَوَالٌ في غاية الأهميَّة. نسعى في هذا الكِتَاب إلى فَهْم عشرة مبادئٍ رئيسةٍ ترتبط بعملية صناعة التلاميذ وزراعة الكنائس. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ الإيمانُ بأنَّ مبدأ «روح الله يملؤنا» هو لجميع المؤمنين، فلن أستطيع حينها أَنْ أَقَدِّمَ هذا الكِتَاب لجميع المؤمنين.

بَعْدَ أَنْ امتلأَ التلاميذ بالروح القدس، تَكَلَّمُوا بلغاتٍ أجنبيَّة، واستطاع بسبب ذلك كثيرون مِن خَلْفِيَّاتٍ كثيرةٍ أَنْ يَفْهَمُوا كلامهم، فَسَبَّحُوا اللهَ، كُلُّ مجموعةٍ بُلِّغَتْهَا (أعمال الرسل 2: 4-6). اتَّهَمَهُم بعض الذين كانوا بين الحشد الكبير بالشُّكْر (أعمال الرسل 2: 13)، فوقف عندها الرسولُ بطرس أمامَ الجموع وأَعْلَنَ الحقَّ، وشَهِدَ عن الربِّ يسوع وعن وَعْدِ حلولِ الروح القدس.

أَخْبَرَ الرُّسُولُ بطرسُ الجموعَ أَنَّ التَّلَامِيذَ لَمْ يَكُونُوا سَكَارَى (مِنْ شَرْبِ الخمر)، بل أشار إلى أَنَّ معجزةَ التَّكَلُّمِ بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ لَمْ تَكُنْ سَوَى تَتْمِيمِ نَبْوَةِ النَّبِيِّ يُوْنِىلِ القَائِلَةِ: «وَيَكُونُ فِي الْآيَّامِ الْآخِرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤَى وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَخْلَامًا. وَعَلَى عَبِيدِي أَيْضًا وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الْآيَّامِ فَيَتَنَبَّأُونَ» (أعمال الرسل 2: 17-18).

سَكَبَ اللَّهُ رُوحَهُ عَلَى الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّالِ، وَلَمْ يَعِدِ اللَّهُ بِهِمَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ لَهُمْ فَقَطْ، بَلِ لِلْبَنَاءِ وَلِلبَنَاتِ، وَلِلشَّبَابِ وَلِلشُّيُوخِ، وَلِلخُدَّامِ وَلِلخَادِمَاتِ. لَمْ يُخَصَّصِ اللَّهُ مُوهَبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ لِلَّذِينَ فِي مَوْقِعِ الْقِيَادَةِ أَوْ السُّلْطَةِ، بَلِ أَعْطَاهَا اللَّهُ لِلْجَمِيعِ، سَوَاءً أَكَانُوا رِجَالًا أَمْ نِسَاءً، وَصَغَارًا أَمْ بِالْغِنِ، وَأَغْنِيَاءَ أَمْ فَقَرَاءَ.

وَفِي وَاقِعِ الْأَمْرِ، كَانَ بِإِمْكَانِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا إِلَى رِسَالَةِ بطرسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنْ يَنَالُوا الْهَبَةَ نَفْسَهَا. عِنْدَمَا سَمِعَ الْحَاضِرُونَ كَلِمَاتِ الرُّسُولِ بطرسِ، وَخَزَنَتْهُمْ قُلُوبُهُمْ وَقَالُوا لِلتَّلَامِيذِ: «مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِخْوَةُ؟ فَقَالَ لَهُمْ بَطْرُسُ: ثَوَّبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِعُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. لِأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلِأَوْلَادِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ، كُلٌّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلَهُنَا» (أعمال الرسل 2: 37-39). حَرَصَ اللَّهُ عَلَى أَنْ يُعْطِيَ هَذِهِ الْهَدِيَّةَ لِكُلِّ الَّذِينَ سَمِعُوا الرِّسَالَةَ عَنِ الْمَسِيحِ وَآمَنُوا بِهِ، فَأَعْطَاهَا لَهُمْ وَلِأَوْلَادِهِمْ.

قَبْلَ رِسَالَةِ الرُّسُولِ بطرسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ نَفْسٍ وَاعْتَمَدُوا. وَحَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ وَحَصَلُوا عَلَى الْقُوَّةِ لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ لِلربِّ يَسُوعَ. إِنَّ هَبَةَ الْإِيمَانِ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مُوجَّهَةٌ إِلَى «كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلَهُنَا» (أعمال الرسل 2: 39). لَمْ يَحْدُثْ أَيُّ اسْتِثْنَاءٍ؛ فَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْهَبَةُ

لرسل ولكل الذين آمنوا في ذلك اليوم. وهي لي ولك أيضاً. يقول الرسول بولس: «لأنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَشَلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ» (2 تيموثاوس 1: 7).

نتيجة الوعد

ابتدأ التلاميذ بالتحدُّث بلُغاتٍ جديدةٍ وبتسبيح الله عند امتلائهم بالروح القدس (أعمال الرسل الأصحاح 2). تكلَّم أيضاً كرنيليوس وأفراد عائلته باللسنة الجديدة وسبَّحوا الله عندما ملأهم الروح القدس (أعمال الرسل 10: 44-48). لم تكلَّم فقط بعض الأشخاص في أفسس باللسنة عندما حلَّ الروح القدس عليهم، بل تنبَّأوا أيضاً (أعمال الرسل 19: 2-6).

ومع ذلك، فإنَّ التكلُّم باللسنة ليس هو العلامة الوحيدة على الامتلاء بالروح القدس. تذكِّروا قول الربِّ يسوع إنَّ أتباعه سينالون قوَّةً متى حلَّ الروح القدس عليهم وإنَّهم سيكوْنون شهوداً له، ولكنَّه لم يقلَّ إنَّهم سيشهدون عنه دائماً بالطريقة نفسها. قدَّم التلاميذ الشهادة في بعض الأحيان بواسطة معجزة التكلُّم باللسنة، كما قدَّموا الشهادة في أوقاتٍ أخرى بطُرُقٍ مُختلفة. فمثلاً، تكلَّم الرسول بطرس بكُلِّ جرأةٍ أمام الرؤساء والشيوخ عندما امتلأ من الروح القدس (أعمال الرسل 4: 13-15). كما تكلَّم المؤمنون برسالة الله بجرأةٍ بعد صلاتهم وامتلائهم من الروح القدس (أعمال الرسل 4: 31).

كان استفانوس رجلاً ممتلئاً من الروح القدس، وقد صنَّع العجائب والآيات العظيمة، وتكلَّم بحكمةٍ كبيرةٍ لم يستطع مُقاوموه الصمود أمامها (أعمال الرسل 6: 5-10)، وفي أثناء رجمه بالحجارة، امتلأ من الروح

القدس وَنَتَجَ عنه فيضٌ من المَحَبَّةِ والرحمة، مثلما فَعَلَ الرَّبُّ يسوع الذي طَلَبَ من الله الأب أن يَغْفِرَ لِلَّذِينَ صَلَبُوهُ (أعمال الرسل 7: 55-60).

كان برنابا أيضًا رَجُلًا ممتلئًا من الروح القدس، وقد شَجَّعَ الْمُؤْمِنِينَ الجُدد على أَنْ يَبْقُوا مُخْلِصِينَ لِلرَّبِّ من كُلِّ قلوبهم (أعمال الرسل 11: 21-24). عندما امتلأتِ الكنيسةُ من الروح القدس؛ امتلأَ الْمُؤْمِنُونَ أيضًا من الفرح، حتَّى في أثناء الاضطهاد (أعمال الرسل 13: 49-52).

يأمرنا بولس الرسول أَنْ نمتلئَ من الروح حتَّى نَزِيدَ من عبادتنا لله وَنُشَجِّعَ الْآخَرِينَ وَنُبْنِيَهُمْ، لذلك قال: «وَلَا تَسْكُرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلَاعَةُ، بَلْ اامتَلِئُوا بِالرُّوحِ، مَكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحٍ وَأَغَانِيٍّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرْتَلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ» (أفسس 5: 18-19).

عندما يمتلئ المؤمنون بالروح القدس، فَإِنَّ نتيجة الامتلاء قد تَخْتَلِفُ مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَى آخَرَ، على الرغم من أَنَّ هذا الملاء يُوَدِّي في نهاية المطاف إلى الهدف ذاته. قال الربُّ يسوع إِنَّنا سَنَحْضُلُ على القُوَّةِ «متى حَلَّ الروحُ القدس» علينا وسَنَكُونُ شُهودًا له. يملؤنا الروحُ القدس وَيُزَوِّدُنَا بالقُوَّةَ لنشهدَ عن الربِّ يسوع أمام الْآخَرِينَ. وتُعَلِّنُ هذه القُوَّةُ عن ذاتها بِطَرِيقٍ مُخْتَلِفَةٍ. عندما نمتلئ من الروح القدس، قد نَتَكَلَّمُ في بعض الأحيان بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، أو نَتَكَلَّمُ بِجَرَأَةٍ أمام أَشْخَاصٍ لَهُمْ مَكَانَتُهُمْ وَسُلْطَتُهُمْ في هذا الْعَالَمِ، أو نُشَجِّعُ الْآخَرِينَ أو نمتلئ من الرحمة لنغفرَ لِلْآخَرِينَ، أو قد نَصْنَعُ آيَاتٍ وَمُعْجَزَاتٍ، أو نمتلئ من الفرح. وبغضِّ النظر عن التعبير الذي يَظْهَرُ فيه الملاء، فَإِنَّنا في كُلِّ مَرَّةٍ نختبره، نشهد عن حقيقة الربِّ يسوع وعمَّا فَعَلَهُ مِن أَجْلِنَا.

كان عبد الرحمن في السادسة والعشرين من عُمره، وكان رجلاً مُلتزمًا بتعاليم دينه طوال حياته، إلّا أنَّ الشكَّ ابتدأ يراوده في الشهرين الأخيرين؛ فلمْ يُعُدْ مُتيقِّناً من صحَّة معتقداته وابتدأ في رحلة البحث عن الحقيقة، ما قاده إلى الكنيسة. دعا عمادُ عبد الرحمن إلى الدخول وشارك معه رسالة الإنجيل، وشرحَ له حقيقة أنَّ المسيح يقودنا إلى الله. أدركَ عبد الرحمن فوراً صحَّة الرسالة التي سمِعَها، فأَمَنَ بها وصَلَّى مع عماد.

وبينما كانا يُصَلِّيان، لاحظَ عمادُ حمامةً بيضاء اللون تتصرَّف بغرابة خارج النافذة. وشعَرَ بنارٍ تضطرم في داخله، فتفكَّر فوراً في قصَّة معموديَّة يسوع وتوقَّف عن الصلاة. استدار ناحية عبد الرحمن وسأله: «ما هو شعورك الآن؟»، فردَّ عليه عبد الرحمن وهو يرتجف: «أشعُرُ بنارٍ في داخلي».

حتَّى تلك اللحظة، لمْ يذكُرْ عمادُ أيَّ شيءٍ بتاتاً عن الروح القدس، لكنَّه بدأ في الصلاة لكي يَحِلَّ الروحُ القدس على عبد الرحمن ويملأه. استمرَّ عبد الرحمن بالارتجاف والشعور بفرحٍ عظيم، ومن ثَمَّ ابتدأ يتكلَّم بالسنة، وعند مُغادرتَهما، التقيا براعي الكنيسة فسألَهما: «ماذا حَدَثَ؟».

سألَ عماد الراعي عن سَبَبِ سؤالِه، فأجاب: «أرى أنَّ وجهيكما يلمعان».

قد حلَّ الله الروح القدس ليَشْهَدَ عن حقيقة الربِّ يسوع في حياة عبد الرحمن، وعندما آمَنَ، نال الروحُ القدس والقوَّة التي تُرافقُه.

عندما نمتلئ من الروح القدس، نَقْبَلُ قوَّةَ الله ونَشْهَدُ عن الربِّ يسوع. قد يَحْدُثُ هذا الأمرُ بواسطة اسمٍ يُنطَقُ به في حُلْمٍ وشفاء، كما حَدَثَ مع أُمِّ يعقوب، وقد يَحْدُثُ في لحظة الخلاص مع موهبة التكلُّم بالسنة، أو بواسطة الآيات والعجائب التي يُجرِيها الله حتَّى يومنا هذا،

وقد يَحْدُثُ بواسطة إعلان رسالة الإنجيل بَكلِّ جَرَأَةٍ، أو بالإدارة الإلهيَّة للبرامِج، أو بالقيادة الممسوحة بالروح. قد يتغيَّر الإعلان عن قوَّة الروح القدس في هيئته في كُلِّ مَرَّةٍ ولكِنَّه يُنتِجُ دائماً الشهادة عن الربِّ يسوع.

يُعْطِي الآبُ السماويُّ موهبةَ الروح القدس لجميع أبنائه في اللحظة التي يُؤْمِنُونَ بها. ويُزَوِّدُهم بواسطة الروح القدس بمجموعةٍ متنوِّعةٍ من المواهب للشهادة عن الربِّ يسوع، ولبناء كنيسته، كما يملأنا أيضاً من روحه القدُّوس في أثناء حياتنا. نَرى مَثَلًا في سِفْرِ أعمال الرسل الكيفيَّة التي امتلأ بها الرسول بطرس من الروح القدس وتكلَّم بلُغَةٍ أُخرى (أعمال الرسل 2: 4). وامتلاً أيضاً من الروح القدس وتكلَّم بجرأةٍ وثقةٍ أمام قادة الشَّعْب والشيوخ (أعمال الرسل 4: 8). وَبَعْدَ ذلك، امتلأ مَرَّةً أُخرى، مع الذين معه، من الروح القدس وتكلَّم بجرأةٍ، وَقَدَّمَ الشهادة بقوَّةٍ عظيمةٍ عن قيامة الربِّ يسوع من بين الأموات (أعمال الرسل 4: 31-33).

امتلاً الرسولُ بطرس من الروح القدس مَرَّاتٍ عدَّة، وَقَدَّمَ الشهادة في كُلِّ مَرَّةٍ عن الربِّ يسوع بطريقةٍ مُختلِفةٍ. لا يقتصر الامتلاء من الروح القدس على حادثةٍ واحدةٍ في حياة المُؤْمِنين، فنحتاج إلى الملء المتكرَّر وأنْ نُطِيعَ أَمْرَ الرسول بولس: «امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ» (أفسس 5: 18).

كيف نمتلئ من الروح القدس

نَعْلَمُ أَنَّ الروح القدس هو مَصْدَرُ القوَّة لنَصِيرَ شهودًا للربِّ يسوع. يُزَوِّدُنَا هذا الملء بالقوَّة لإجراء الآيات والعجائب، واختبار الفرح العظيم، وللتشجيع، وللشهادة بجرأةٍ. نحتاج إلى هذه القوَّة العاملة فينا في عمليَّة زراعة الكنائس. ومن هُنا يبرز السؤال: «كيف نمتلئ من الروح القدس؟»

في سفر أعمال الرسل الأصحاح 2، قام الرسول بطرس- في سياق كلامه عن الوعد بحلول الروح القدس- بإخبار الجمع الغفير عن الشرط الأول الذي هو: التوبة والإيمان. نحصلُ على الروح القدس بالإيمان، في بادئ الأمر، في لحظة الخلاص. إلا أنَّ الرسول بولس يُعلِّمُ أيضًا أنَّ كُلَّ قبولٍ مُستمرٍّ للروح القدس لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أيضًا بالإيمان. كَتَبَ الرسول بولس إلى أهل غلاطية قائلاً: «أَيُّهَا الْغُلَاطِيُّونَ الْأَغْبِيَاءُ، مَنْ رَفَاكُم حَتَّى لَا تُدْعِيُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمْ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوبًا! أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكُمْ هَذَا فَقَطُّ: أَبَاعُمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمْ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الْإِيمَانِ؟ أَهَكَذَا أَنْتُمْ أَغْبِيَاءُ! أَبَعَدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تَكْمَلُونَ الْآنَ بِالْجَسَدِ؟ أَهَذَا الْمِقْدَارَ اخْتَمَلْتُمْ عَبَثًا؟ إِنْ كَانَ عَبَثًا! فَالَّذِي يَمْنَحُكُمُ الرُّوحَ، وَيَعْمَلُ قُوَّاتٍ فِيكُمْ، أَبَاعُمَالِ النَّامُوسِ أَمْ بِخَبَرِ الْإِيمَانِ؟ كَمَا «أَمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحَسِبَ لَهُ بَرًّا» (غلاطية 3: 1-6).

أَمَنْ أَهْلُ غَلَاطِيَّةَ يَسُوعَ وَاثِقِينَ أَنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ. وَنَالُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ بِالْإِيمَانِ وَلَيْسَ بِالْأَعْمَالِ، لَكِنَّهُمْ وَاجَهُوا مُشْكَلَةً بَعْدَ ذَلِكَ. إِذْ مَعَ أَنَّهُمْ ابْتَدَأُوا مَسِيرَتَهُمْ مَعَ الْمَسِيحِ بِالْإِيمَانِ، فَإِنَّهُمْ تَوَصَّلُوا إِلَى الْإِعْتِقَادِ بَأَنَّ بَعْضَ الْأُمُورِ بَعْدَ الْخَلَاصِ لَا يُمْكِنُ تَحْقِيقُهَا إِلَّا بِوَاسِطَةِ الْأَعْمَالِ، وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ رَغْمَ أَنَّ الْإِيمَانَ بِيَسُوعَ هُوَ الْبَدَايَةُ الصَّحِيحَةُ، فَإِنَّهُ يَجْدُرُ بِهِمْ أَنْ يَضِيفُوا أَعْمَالَهُمْ لَاحِقًا.

وَبَخَّهَمُ الرُّسُولُ بُولَسُ عَلَى هَذَا الْمُعْتَقَدِ قَائِلًا: «أَهَكَذَا أَنْتُمْ أَغْبِيَاءُ؟» لَا يَسْتَطِيعُ الْمُؤْمِنُ أَنْ يَبْدَأَ عِلَاقَتَهُ مَعَ الْمَسِيحِ بِالْإِيمَانِ ثُمَّ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُكْمِلَ مَسِيرَتَهُ بِقُوَّتِهِ. يُزَوِّدُنَا اللَّهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَيَصْنَعُ الْمَعْجَزَاتِ؛ لَيْسَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ بَلْ بِالِاسْتِمَاعِ إِلَى الْأَخْبَارِ السَّارَةِ

بِإِيمَانٍ. وَكَمَا أَنَّنَا حَصَلْنَا عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ كُلُّ حَالَاتِ الْمَلَأِ اللَّاحِقَةِ بِالْإِيمَانِ أَيْضًا.

لَا بُدَّ أَنْ نُؤْمِنَ لِنَمْتَلِئَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَالسُّؤَالُ هُوَ: «بِمَاذَا نُؤْمِنُ؟». نُؤْمِنُ بِأَحْتِيَاجِنَا إِلَى قُوَّةِ اللَّهِ، وَبِأَنَّ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحِبَّ اللَّهَ وَأَنْ نَطِيعَهُ - فَضْلًا عَنْ مَحَبَّتِنَا لِلْآخَرِينَ - بِالاعْتِمَادِ عَلَى قُوَّتِنَا الذَّاتِيَّةِ. نُؤْمِنُ بِأَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ هُوَ كُلُّ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، وَبِأَنَّهُ سَيُرَوِّدُنَا بِكُلِّ أَحْتِيَاجَاتِنَا وَأَنَّهُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ كَامِلٍ لِلْعَمَلِ نِيَابَةً عَنَّا. نُؤْمِنُ أَنَّهُ سَيَحْرِصُ عَلَى الْاسْتِمَاعِ إِلَى صَلَوَاتِنَا وَأَنَّهُ سَيُعْطِينَا الْقُوَّةَ لِلْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِ وَأَنَّهُ يُغَيِّرُ الْقُلُوبَ وَالْحَيَاةَ. يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَحْفَظُ وَعُودَهُ كُلَّهَا مَعَنَا بِوَاسِطَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

إِظْهَارُ الْقُوَّةِ

ابْتَدَأْنَا فِي هَذَا الْفَصْلِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى إِنْجَازَاتِ الرُّسُولِ بُولَسَ الْكَثِيرَةِ، وَهِيَ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ مَا أَنْجَزَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ بِوَاسِطَتِهِ. وَقَدْ شَرَحَ الرُّسُولُ بُولَسَ هَذَا الْأَمْرَ قَائِلًا: «لَأَنِّي لَا أَجْسُرُ أَنْ أَتَكَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا لَمْ يَفْعَلْهُ الْمَسِيحُ بِوَاسِطَتِي لِأَجْلِ إِطَاعَةِ الْأُمَمِ، بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، بِقُوَّةِ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ، بِقُوَّةِ رُوحِ اللَّهِ» (رُومِيَّة 15: 18-19). تَمَحَّوَرَتْ مَهْمَةُ الرُّسُولِ بُولَسَ حَوْلَ إِحْضَارِ إِطَاعَةِ الْإِيمَانِ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَحَوْلَ مُسَاعَدَتِهِمْ عَلَى اخْتِبَارِ قُوَّةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الْمُغَيِّرَةِ لِلْحَيَاةِ بِوَاسِطَةِ الْإِيمَانِ. وَعِنْدَمَا رَأَى إِتِمَامَ إِرْسَالِيَّةِ حَيَاتِهِ، عَلِمَ أَنَّهَا لَمْ تَتَحَقَّقْ بِقُوَّتِهِ بَلْ بِسَبَبِ الرَّبِّ يَسُوعَ. فَقَدْ أَنْجَزَ الرَّبُّ يَسُوعَ عَمَلَهُ الْعَظِيمَ بِوَاسِطَةِ الرُّسُولِ بُولَسَ مُعْتَمِدًا عَلَى قُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَلَيْسَ عَلَى قُوَّةِ الرُّسُولِ بُولَسَ. شَكَّلَ الْاعْتِمَادُ عَلَى الرَّبِّ يَسُوعَ وَعَلَى رُوحِهِ الْقُدُّوسِ حَجَرَ أَسَاسٍ خِدْمَةِ الرُّسُولِ بُولَسَ.

أَخْبَرَ الرَّسُولُ بُولُسَ أَهْلَ كورنثوس قائلاً: «وَأَنَا لَمَّا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ أَتَيْتُهَا الْإِخْوَةُ، أَتَيْتُ لَيْسَ بِسْمُو الْكَلَامِ أَوْ الْحِكْمَةِ مُنَادِيًا لَكُمْ بِشَهَادَةِ اللَّهِ، لِأَنِّي لَمْ أَعْزِمُ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلَّا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا. وَأَنَا كُنْتُ عِنْدَكُمْ فِي ضَعْفٍ، وَخَوْفٍ، وَرَعْدَةٍ كَثِيرَةٍ. وَكَلَامِي وَكِرَارَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلَامِ الْحِكْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ، بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ، لِكَيْ لَا يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللَّهِ» (1 كورنثوس 2: 1-5). لَمْ يَهْتَمَّ الرَّسُولُ بُولُسُ بِالْكَلَامِ الْبَلِغِ أَوْ بِالْحِكْمَةِ الْبَشَرِيَّةِ، بَلْ رَكَزَ عَلَى نَحْوِ رَئِيسٍ عَلَى يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَحَقِيقَةِ صَلْبِهِ وَقِيَامَتِهِ وَعَلَى رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ. وَهَكَذَا عَايَنَ أَهْلُ كورنثوس قُوَّةَ اللَّهِ بِوَاسِطَةِ رِسَالَتِهِ هَذِهِ. وَقَدْ شَارَكَ الرَّسُولُ بُولُسُ الرِسَالَةَ مَعَهُمْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَقُوَّتِهِ، وَهَكَذَا تَيَقَّنَ أَهْلُ كورنثوس مِنْ أَنَّهُمْ التَّقُوا بِاللَّهِ الْحَيِّ.

رَبَطَ الرَّبُّ يَسُوعُ فِي إِنْجِيلِ لُوقَا 11: 13 عَلَى نَحْوِ رَائِعِ الْمَبْدَأَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ - وَهُمَا «دَعَاءٌ وَصَلَاةٌ» وَ«رُوحُ اللَّهِ يَمْلُؤُنَا» - بِوَاسِطَةِ تَعْلِيمِهِ قَائِلًا: «فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تَعْطُوا أَوْلَادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الْأَبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ؟» (لُوقَا 11: 13). يَخْرُصُ الْأَبُ السَّمَاوِيُّ عَلَى أَنْ يُعْطِيَنا الرُّوحَ الْقُدُسَ عِنْدَمَا نَطْلُبُهُ.

لَا شَكَّ أَنَّهُ تَكْمُنُ صُعُوبَةٌ كَبِيرَةٌ فِي عَمَلِيَّةِ صِنَاعَةِ التَّلَامِيذِ وَزِرَاعَةِ الْكِنَائِسِ، وَقَدْ تَبَدُّوْا لَنَا الْعَمَلِيَّةُ مُسْتَحِيلَةٌ. أَمَّا لِلأَبِ السَّمَاوِيِّ، الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ يَسْتَجِيبُ بِسُرُورٍ لَصَلَوَاتِنَا وَيَمْلُؤُنَا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ حَتَّى نَشْهَدَ عَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ، سَوَاءً أَكَانَ ذَلِكَ بِوَاسِطَةِ الْآيَاتِ وَالْعَجَائِبِ، أَوْ بِالْبَشَارَةِ الْجَرِيئَةِ، أَوْ بِالْحِكْمَةِ الْفَائِقَةِ لِلطَّبِيعَةِ، أَوْ بِالتَّشْجِيعِ الْعَظِيمِ أَوْ الْفَرَحِ الْعَمِيقِ، أَوْ بِوَاسِطَةِ آلَافِ الطَّرِيقِ الْأُخْرَى الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ.

السير في «دَرْبِ الْإِيمَانِ»

1. اطلبِ الآنَ من الله الآب أنْ يملأكَ من الروح القدس. كَرِّرْ طلبَكَ في الغد، وفي كُلِّ يومٍ.
2. ما الأمور التي تشابهتَ بها مع أَهْلِ غلاطِيَّة، فاعتمدتَ على قُوَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ على إطاعة الربِّ يسوع وخدمة الآخرين (راجع غلاطِيَّة 3: 1-6)؟ التزمِ مجدِّداً بالسير بالإيمان.
3. ما التغييرات التي تستطيع أنْ تَقُومَ بها لتعيشَ على نحوٍ أَفْضَلَ بالروح، ولتسير مع الروح جَنْباً إلى جَنْبٍ (غلاطِيَّة 5: 25)؟
4. مع مَنْ سَتُشَارِكُ الأمورَ التي تَعَلَّمْتَهَا عن مِلءِ الروح القدس؟ هل تستطيعُ أنْ تَلْتَزِمَ مع الشخص الآخر لِيُسَاعِدَ واحِدُكُم الآخرَ على السلوك بالروح (غلاطِيَّة 5: 16)؟

الفصل الثالث

بادِرْ في اكتشاف الاحتياج

«اللَّهُ أَكْبَرُ». كلماتٌ مديحٍ عفوِيَّةٍ نَطَقَ بها محمودٌ بينما كان علاء وأبو يوسف يقرآن الأصحاحَ الثالث والخمسين من سفر إشعياء معه. حاولَ محمود أن يفهم الكيفيَّةَ التي يُمكنُ بها للخادم أن يموتَ (الآيتين 8-9) وفي الوقت نفسه أن تطولَ أياَّمُهُ (الآية 10)، فافتَرَضَ في البداية أنَّ المقصود من «الموت» هنا المعنى المجازي، أي أنَّ الخادم لم يَمُتْ حرفيًّا بل قَبَعَ في السجن. فَحَنَّهُ أبو يوسف على قراءة المَقْطَعِ مَرَّةً أُخْرَى.

«مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدِّينُونَةِ أَخَذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الْأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبٍ شَعْيِي؟ وَجُعِلَ مَعَ الْأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيِّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. أَمَّا الرَّبُّ فَسَرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسُهُ ذَبِيحَةً إِنْ يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّهُ الرَّبُّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ» (إشعياء 53: 8-10).

طَرَحَ أبو يوسف على محمودِ سؤالا؛ فقال: «كيف يُمكنُ للخادم أن يموتَ حقًّا، ومع ذلك أن تطولَ أياَّمُهُ؟».

أجاب محمود: «لا بُدَّ أَنْ يُقِيمَهُ اللَّهُ من بين الأموات». وفي الحال فَهَمَّ المقصود فتابع قائلاً: «إِنَّ هذا الشرح هو عن عيسى! فهو الوحيد الذي حَدَّثَ له ذلك».

أعاد محمودُ قراءةَ الأصحاح كُلِّه مَرَّةً أُخْرَى. قرأ الآية السابعة: «ظَلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٌ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكُنْعَجَةٌ صَامِتَةٌ أَمَامَ جَارِيزِهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.» فَتَوَقَّفَ محمودٌ وصرخ: «اللَّهُ أَكْبَرُ!». لَمْ يَذْكُرْ أَبُو يوسُفَ أو علاءُ أيَّ أَمْرٍ عن يسوع في أثناء قراءة النصِّ.

كيف تَوَصَّلَ هؤلاء الرجال إلى هذا الاستنتاج؟ قَبْلَ سَنَةٍ من قراءة محمودٍ لهذا الفصل من سِفْرِ إِشْعِيَاءَ، هَرَبَ من سوريَّةٍ وصار لاجئًا. سَمِعَ من جيرانه عن كنيسةٍ محلِّيَّةٍ تُسَاعِدُ اللاجئين فَسَجَّلَ اسمَه فيها للحصول على المُسَاعَدَةِ. وقد كان واضحًا لأبي يوسف في أثناء الزيارة الأولى التعب الشديد الذي اجتاز فيه محمود. لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَدْخُلَ أولاده إلى المدرسة، وكان عاطلاً عن العمل. شَارَكَ أَبُو يوسُفَ من إنجيل متى عن وَعْدِ المسيح بأنه يستطيع أَنْ يعطيَ الراحةَ للمُتَعَبِينَ، ما قاد الحديث إلى مناقشة مواضيعٍ رُوحِيَّةٍ أُخْرَى.

بَعْدَ أسبوعٍ، عاد أبو يوسف برفقة علاء لتلبية الاحتياجات التي لَاحَظَهَا لدى عائلة محمود. قَدَّمَا صندوقًا من الطعام و فراشين وسجادةً، إضافةً إلى الحليب وحفّاضاتٍ للأطفال. لَمْ يَكُنْ محمودٌ في البيت، فَقَدَّمَا الأغراضَ لَزَوْجَتِهِ وطلَبَا منها أَنْ تَنْقُلَ له تحيَّاتِهِما.

في اليوم التالي، اتَّصَلَ محمودٌ بأبي يوسف لِيُعَبِّرَ عن شُكْرِهِ له. وقد تأثَّرَ بسخاء الكنيسة معه وبأنَّهَما رجعا وأحضرا معهما المُسَاعَدَةَ التي وَعَدَا بها. كان محمودٌ قد سَجَّلَ اسمَه في جمعِيَّاتٍ خيريَّةٍ كثيرةٍ مِنْ دُونِ أَنْ تُتَابِعَ آيَةٌ واحدةٍ منها معه أو أَنْ تَفَيَّ بوعدِها، أو حتَّى أَنْ تَزُورَهُ في بيته. عندها سأل محمودٌ قائلاً: «هل يُمكنُنِي أَنْ أَطْلُبَ مِنْكَ أَمْرًا؟».

أجاب أبو يوسف قائلاً: «طبعًا، تَفَضَّلْ»، مُتَوَقِّعًا مِنْ محمودٍ أَنْ يَطْلُبَ - كما يَفْعَلُ كثيرون - غَسَّالَةً أو ثَلَاجَةً أو مَالًا لدفع إيجار المَنْزِلِ.

طَلَبَ محمودٌ قائلاً: «هل مُمَكِّنُ أَنْ أُحْصَلَ على نسخةٍ من الإنجيل؟»

قادهم هذا الطلب إلى اجتماعٍ دوريٍّ لدراسة الكتاب المقدس معاً باستخدام أسئلةٍ بسيطةٍ لفهم المعنى. وَبَعْدَ أسابيعٍ من القراءة، وَصَلُوا إلى إشعياء الأصحاح 53، حين هتف محمودٌ بكُلِّ عَفْوِيَّةٍ مادحاً الله فقال: «اللهُ أَكْبَرُ». صار كُلُّ هذا مُمَكِّناً بواسطة تلبية احتياجات محمود. لَبَّى علاء وأبو يوسف ليس فقط احتياجات محمودِ الجسدية، بل لَبَّى أيضاً احتياجه إلى أَنْ يُعَامَلَ باحترامٍ واهتمام، فقد احتاج إلى وجود أشخاصٍ أَمَناءٍ يحترمون وعودهم.

كان يسوع أَكْثَرَ من مجرد مُعَلِّمٍ، حيث كان رَجُلًا مليئًا بالرحمة، فلمْ يَمْكُثْ في بيتٍ أو في مدينةٍ متوقِّعًا من الناس أَنْ يأتوا إليه ليستمعوا إلى تعليمه، بل ذَهَبَ هو إلى الناس من بلدةٍ إلى أخرى ومن شَخْصٍ إلى آخَرٍ. تَوَاصَلَ يسوع مع الناس في أماكن وجودهم، وقام- إضافةً إلى تعليمهم- بتلبية احتياجاتهم.

لا ينتبه الناس إلى احتياجاتهم إلى الله لِيَغْفِرَ لهم خطاياهم ويمحوها أو لِيَسْتُرَ عَارَهُم، لكنهم ينتبهون تمامًا عندما يَجُوعُونَ أو يَحْزَنُونَ أو يمرضون. ماذا نَقْصِدُ يا تُرى مِنْ كلامنا عن عنوان هذا الفصل: «بادِرْ في اكتشاف الاحتياج»؟ الإجابة: نَقْصِدُ أَنْ نَلْتَقِيَ بالأشخاص في المكان الذي يُوجَدُونَ فيه، وأنْ نبدأً باحتياجاتهم وليس رغباتنا، وبفهمهم وليس معرفتنا. نبدأً بما يَعْرِفُونَ ويهتمُّون به وليس بما نَعْرِفُهُ ونهتمُّ به، أي باختصارٍ أَنْ نُحِبَّهُمْ كما نُحِبُّ أَنْفُسَنَا.

نُعاني جميعًا من الضَّعْف والاحتياج؛ وذلك لأنه، بوصفنا بشرًا، لنا احتياجاتٌ متنوِّعةٌ مثل الاحتياجات الجسدية العاطفية الروحية الطَّبيَّة

النفسية العلائقية وغيرها. ولكي نستطيع أن نَصْنَع التلاميذ، لا بُدَّ أنْ نُفَكِّرَ بطريقة شمولية وأنْ نَخْدُمَ الشخصَ بكلِّ احتياجاته، تمامًا كما فعلَ الربُّ يسوع.

خدمة الربِّ يسوع

نقرأ في لوقا 4: 31-44 أنْ يسوعَ نَزَلَ إلى كفرناحوم لِيُعَلِّمَ وَيَكْرَزَ (الآيتان 21 و44). لاحظوا أيضًا ما فعله؛ فَبَعْدَ أنْ وَصَلَ المسيح إلى كفرناحوم، زار المَجْمَع (الآية 31) وزار العائلات في بيوتهم (الآية 38) وَأَخْرَجَ الشياطين (الآيتان 35 و41) واستمَعَ إلى الاحتياجات (الآية 38) واستَقْبَلَ المرضى (الآية 40) وشفاهم (الآيتان 39 و40). وفي اليوم التالي، ذَهَبَ إلى مكانٍ مُقْفَرٍ وَصَلَّى (الآية 42).

كان الوعظ والتعليم أمرين أساسيين في إرسالِية الربِّ يسوع، وقد حافظَ على وضوح هدفٍ مجيئه وخدمته. وعندما أراد الناس في كفرناحوم أن يبقى فترةً أطول، رَفَضَ لأنَّه كان ينبغي أنْ يَكْرَزَ ببشارة الملكوت في المدن الأخرى أيضًا (الآية 43). لَمْ تَقْتَصِرْ خدمةُ الربِّ يسوع على التعليم والوعظ فقط، بل استجاب أيضًا لطلِّبات الناس وَفَقًا لاحتياجاتهم. طَلَّبَ التلاميذ أنْ يشفي حَمَاءَ سمعان، فَفَعَلَ ذلك (الآية 39). وَبَعْدَ أنْ سَمِعَ كثيرون عن قُدْرَتِهِ على الشفاء، قَدَّمُوا إليه المرضى فَقَبِلَهُمْ وَصَرَفَ الوقتَ بوضع يديه على كُلِّ واحدٍ منهم وشفاهم. أَخَذَ الربُّ يسوع الوقتَ اللازمَ لِيُلبِّي كُلَّ احتياجٍ نفسيٍّ وطبيٍّ وإنسانيٍّ.

كان الرب يسوع مُقتدِرًا في الفعل والقول

بَعْدَ صَلَبِ يسوع، سار تلميذان من أورشليم إلى عمواس؛ فانضمَّ إليهما شَخْصٌ غريب، ولم يَعْرِفَا أَنَّهُ الربُّ يسوع واندهشا عندما سألهما بشأن الأمر الذي كانا يتحدثان عنه. كيف يُمكنُ لشخصٍ أن يَكُونُ في أورشليم في ذلك الوقت مِن دُونِ أَنْ يَسْمَعَ عن يسوع، «الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللَّهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ» (لوقا 24: 19)؟!

كان الربُّ يسوع مُعَلِّمًا عَظِيمًا لَأَنَّهُ عَلَّمَ بِسُلْطَانٍ، وَلَمْ يَعْتَمِدْ عَلَى تَعَالِيمِ الْآخَرِينَ بَلْ تَكَلَّمَ مُبَاشَرَةً كَمَا أَعْلَنَ لَهُ الْآبُ السَّمَاوِيُّ، وَقَدْ جَرَى التَّأَكِيدُ عَلَى سُلْطَانِهِ بِوَاسِطَةِ إِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ (مرقس 1: 27). اسْتَطَاعَتِ الْجُمُوعُ الْغَفِيرَةُ الَّذِينَ حَضَرُوا لِلِاسْتِمَاعِ إِلَى تَعَالِيمِ الرَّبِّ يسوع وَوَعَظِهِ أَنْ يُعَايِنُوا حِكْمَتَهُ وَرَحْمَتَهُ، وَذُهِلُوا مِنْ تَعَالِيمِهِ (مَتَّى 22: 33) لَأَنَّهُ أَرْبَكَ الْقَادَةَ الدِّينِيِّينَ وَمُعَلِّمِي الشَّرِيعَةِ (مَتَّى 22: 22 و 46). انجذبتِ الْجُمُوعُ إِلَى هَذَا الْمُعَلِّمِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَمِعُوا إِلَى تَعْلِيمٍ مُشَابِهِ مِنْ قَبْلُ.

كان الربُّ يسوع مُقْتَدِرًا لَيْسَ فَقَطْ فِي الْأَقْوَالِ، بَلْ كَانَ مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ أَيْضًا. انْتَشَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنِ الرَّبِّ يسوع بَيْنَمَا كَانَ النَّاسُ يُشَارِكُونَ مَنْ يَعْرِفُونَهُمْ عَنْ تَفَاصِيلِ أَعْمَالِهِ الْعَظِيمَةِ. وَبَعْدَ أَنْ عَبَّرَ الْمَسِيحُ بَحْرَ الْجَلِيلِ، يُخْبِرُنَا مَرْقُسُ مَا يَلِي: «وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ لِلْوَقْتِ عَرَفُوهُ. فَطَافُوا جَمِيعَ تِلْكَ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ، وَأَبْتَدَأُوا يَحْمِلُونَ الْمَرَضَى عَلَى أَسِرَّةٍ إِلَى حَيْثُ سَمِعُوا أَنَّهُ هُنَاكَ. وَحَيْثُمَا دَخَلَ إِلَى قَرْيٍ أَوْ مَدِينٍ أَوْ ضِيَاعٍ، وَضَعُوا الْمَرَضَى فِي الْأَسْوَاقِ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمَسُوا وَلَوْ هُدْبَ ثَوْبِهِ. وَكُلُّ مَنْ لَمَسَهُ شَفِيَ» (مرقس 6: 54-56).

عَلَّمَ الرَّبُّ يَسُوعَ فِي الْمَجَامِعِ وَأَعْلَنَ بَشَارَةَ مَلَكُوتِ اللَّهِ، لَكِنَّهُ أَيْضًا شَفَى كُلَّ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ الَّتِي فِي النَّاسِ، فَهُوَ عَلَّمَ وَلَبَّى الْاِحْتِيَاجَاتِ فِي آنٍ وَاحِدٍ. فَانْتَشَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْهُ وَتَبِعَتْهُ جَمَاهِيرُ كَثِيرَةٌ (مَتَّى 4: 23-25). عِنْدَمَا سَأَلَ يُوْحَنَّا الْمَعْدَمَانِ إِنْ كَانَ يَسُوعُ هُوَ الْمَسِيحُ، أَجَابَهُ الرَّبُّ يَسُوعُ: «إِنَّ الْعُمَى يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجَ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصَ يُطَهَّرُونَ، وَالْصَّمَّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينَ يُبَشِّرُونَ» (لُوقَا 7: 22). أَكَّدَ يَسُوعُ أَنَّهُ الْمَسِيحُ الْمُنْتَظَرُ بِوَاسِطَةِ تَلْبِيَةِ الْاِحْتِيَاجَاتِ وَالْكَرَازَةِ بِالْأَخْبَارِ السَّارَةِ.

وَيَسْتَمِرُّ الرَّبُّ يَسُوعُ حَتَّى الْيَوْمِ فِي كَوْنِهِ مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ بِوَاسِطَةِ شَعْبِهِ. كَتَبَ الرَّسُولُ بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ رُومَا قَائِلًا: «لَأَنِّي لَا أَجْسُرُ أَنْ أَتَكَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا لَمْ يَفْعَلْهُ الْمَسِيحُ بِوَاسِطَتِي لِأَجْلِ إِطَاعَةِ الْأُمَمِ، بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ» (رُومِيَّةُ 15: 18). يَتَطَلَّبُ إِحْضَارُ الْأُمَمِ إِلَى إِطَاعَةِ اللَّهِ كُلًّا مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. لَا يُمَكِّنُ لِهَذَا التَّحَوُّلِ أَنْ يَخْدُثَ مِنْ دُونِ الْإِعْلَانِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ مَا يَلِي: «الْإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ» (رُومِيَّةُ 10: 17). نَحْتَاجُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِلَى أَنْ نَفْعَلَ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنَ الْكَرَازَةِ لِنُظْهَرَ مَحَبَّةَ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ. قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ إِنَّ الْعَالَمَ سَيَعْلَمُ أَنَّنَا تَلَامِيذُهُ، لَيْسَ بِأَقْوَالِنَا، بَلْ إِنْ أَحْبَبْنَا بَعْضُنَا بَعْضًا (يُوحَنَّا 13: 35). الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ كِلَاهُمَا ضَرُورِيَّانِ. لِذَلِكَ عَلَيْنَا أَلَّا نَفْاجَأَ عِنْدَمَا نَضْطَرُّ فِي عَالَمِنَا الْمَحْتَاجِ إِلَى أَنْ نَفْتَتِحَ بَابَ الْكَرَازَةِ بِوَاسِطَةِ اكْتِشَافِ الْاِحْتِيَاجَاتِ وَتَلْبِيَتِهَا أَوَّلًا.

التقى أبو ليث بخديجة عندما بدأ في إدارة مركز خدمة مسيحيي للأرامل والأيتام، وخديجة هي أرملة تعيش مع ابنها وابنتها، الأرملة أيضًا، وحفيدتيها. دعا أبو ليث حفيدتي خديجة إلى نادٍ صيفي للأطفال. كما

أَظْهَرَ هو وعددٌ من الأشخاص المُساعِدِين في المركز اهتمامًا بتعليم نُور، ابنة خديجة، اللغة الإنجليزية، ورفَعوا الدعاء لها بالنجاح.

بَعْدَ بضعة زيارات، عَلِمَ أبو ليث وَزَوْجَتُهُ أَنَّ خديجة مريضةٌ وتُعاني من نزيف. زار أبو ليث - ورفقته عائلةٌ أخرى - خديجة وسألها إِنْ كانت تَسْمَحُ لهم بالصلاة مِنْ أَجْلِ شفاؤها. أَخْبَرَ الطبيبُ خديجةَ أَنَّها تحتاج إلى إجراءِ عمليةٍ جراحيةٍ لاستئصال الرحم. فَوَضَعَتْ زوجةُ أبي ليث والمرأة الأخرى أَيْدِيَهُنَّ على بطنِ خديجة وَصَلَّى الجميعُ مِنْ أَجْلِ شفاؤها بِاسْمِ يسوع. وَبَعْدَ مرور أسبوعٍ، اتَّصَلَتْ خديجة بأبي ليث وَشَكَرَتْهُ على صلواتهم لها، حيث أَخْبَرَهَا الطبيبُ أَنَّها لن تحتاجَ إلى عمليةٍ جراحيةٍ بَعْدَ أَنْ أَجْرَى الفحوصاتِ الطبيَّةَ اللازمة.

في أثناء ذلك الوقت، لَبَّى أبو ليث وفريقُه احتياجاتٍ أخرى أيضًا، فَأَخْضَرُوا لِلأُسْرَةِ صناديقَ طعامٍ ومدفأةً وألعابًا للأطفال، وساعَدُوا في إصلاحِ عمود المروحة. وعلى مدى سنةٍ ونصف، واطَبَتْ خديجةُ على حضور كُلِّ دَرْسٍ أو مُحَاضَرَةٍ أُقِيمَتْ في المركز، كما حَضَرَتْ حفيداتها في كُلِّ نشاطٍ خاصٍّ بنادي الأطفال، وشَمَلَ ذلك دروسَ اللغة الإنجليزية ودروسَ التقوية المختصة بمادة الرياضيات.

اِخْتَبَرَتْ عائلةُ خديجة رحمةَ اللَّهِ بواسطة المَحَبَّةِ التي أَظْهَرَهَا كُلُّ مَنْ أَبِي ليث وَزَوْجَتُهُ، وساهمتَ مَحَبَّةُ اللَّهِ التي ظَهَرَتْ لتلك العائلة بواسطة شَعْبِهِ في أَنْ يَنْفَتَحُوا على الأحاديثِ عن اللَّهِ بِحُرِّيَّةٍ، وفي أَنْ يَسْتَمِعُوا إلى قصصِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

وفي ذات يومٍ، طَلَبَتْ خديجةُ مِنْ أَبِي ليث وَزَوْجَتِهِ الصلاةَ حَتَّى يَتِمَكَّنُوا مِنَ السَّفَرِ إلى بلدٍ جديدٍ ليستقروا فيه. صَلَّى أبو ليث لهم بِكُلِّ سرور، وفي

غَضُونِ شَهْرٍ حَصَلَتِ الْعَائِلَةُ عَلَى إِذْنِ السَّفَرِ إِلَى بَرِيطَانِيَا. أَقَامَ أَبُو لَيْثٍ وَآخَرُونَ حَفْلَةً وَدَاعٍ فِي الْمَرْكَزِ لِيَتَنَاوَلُوا الطَّعَامَ مَعًا قَبْلَ سَفَرِ الْعَائِلَةِ. رَغِبَتْ ابْنَتَانُ نُورٌ فِي تَنَاوُلِ وَجِبَةٍ مِنَ الدَّجَاجِ مِنْ كُنْتَاكِي فَرَايدِ تَشِيكِنِ، فَكَانَ لِهَمَّا مَا أَرَادَتَا، وَهَكَذَا وَدَّعُوا خَدِيجَةَ وَعَائِلَتَهَا وَاسْتَوْدَعُوهُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ. وَقَبْلَ أَنْ تُسَافِرَ خَدِيجَةُ، عَرَفَتْ نَسِيبَتَهَا إِلَى أَبِي لَيْثٍ وَإِلَى الْعَامِلِينَ فِي الْمَرْكَزِ. وَقَدْ أَدْرَكَ أَقْرَبَاءُ خَدِيجَةَ أَنَّ أَبَا لَيْثٍ وَالْعَامِلِينَ مَعَهُ هُمْ أَنَاسٌ مُحْتَرَمُونَ صَالِحُونَ بِسَبَبِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَظْهَرُوهَا نَحْوَ خَدِيجَةَ وَعَائِلَتِهَا، لَذَا دَعَتْ أَبَا لَيْثٍ وَالْعَامِلِينَ مَعَهُ مُبَاشَرَةً لَتَنَاوُلِ طَعَامِ الْغَدَاءِ مَعَ عَائِلَتِهَا وَأَقْرَبَائِهَا.

احتياجات لا حصر لها

لَبَّى أَبُو لَيْثٍ وَزَوْجَتُهُ احتِياجاتِ خَدِيجَةَ عَلَى مُسْتَوِيَاتٍ عَدَّةٍ؛ إِذْ وَقَفَا إِلَى جَانِبِهَا لَيْسَ عَنْ اضْطِرَارٍّ بَلْ لِأَنَّهُمَا أَرَادَا فِعْلَ ذَلِكَ، وَلِأَنَّهُمَا أَحَبَّاهَا بِكُلِّ صِدْقٍ وَأَرَادَا الْخَيْرَ لَهَا، وَقَدْ قَدَّمَا مِنْ نَفْسَيْهِمَا عَنْ طَيِّبِ خَاطِرٍ لِيَلْبِيَا احتِياجاتِهَا وَيُبَارِكَا نَهَا. أَوَّلًا، لَبَّى أَبُو لَيْثٍ وَزَوْجَتُهُ احتِياجاتِ خَدِيجَةَ الْعِلَاقِيَّةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ بِوَاسِطَةِ دَعْوَةِ حَفِيدَتِهَا لِلخُرُوجِ وَالتَّرْفِيهِ عَنْ نَفْسَيْهِمَا، وَاهْتِمًا بِدِرَاسَةِ نُورٍ، وَأَظْهَرَا اهْتِمَامًا حَقِيقِيًّا بِالْعَائِلَةِ كُلِّهَا، كَمَا لَبَّىا الاحتِياجاتِ الرُّوحِيَّةَ بِوَاسِطَةِ الصَّلَاةِ لَهُمْ وَمُشَارَكَتِهِمْ عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الاسْتِجَابَةِ لِلصَّلَاةِ. كَمَا لَبَّى أَبُو لَيْثٍ وَزَوْجَتُهُ الاحتِياجاتِ الْمَادِّيَّةَ الْمُرْتَبِطَةَ بِالطَّعَامِ وَالتَّنْفِثَةِ، إِضَافَةً إِلَى الاحتِياجاتِ الْعَمَلِيَّةِ، مِثْلَ تَصْلِيحِ عَمُودِ الْمَرْوَحَةِ. وَلَبَّىا احتِياجَ الصَّدَاقَةِ الَّتِي كَانَتْ خَدِيجَةُ وَعَائِلَتِهَا فِي احتِياجٍ لَهَا، وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِوَاسِطَةِ زِيَارَتِهِمْ عَلَى نَحْوِ مُتَوَاصِلٍ وَإِقَامَةِ حَفْلَةِ الْوَدَاعِ قَبْلَ مُغَادَرَةِ الْعَائِلَةِ إِلَى بَرِيطَانِيَا.

اتَّبَعَ أبو ليث ورفاقه في الخدمة آثارَ خطوات ربِّنا يسوع، الذي أتى ليس فقط لتلبية احتياجنا إلى الخلاص، بل أيضًا ليلبِّي الاحتياجات الكثيرة من حَوْل هذا الخلاص. لَبَّى الربُّ يسوع على مدى صفحات الأناجيل مجموعةً من الاحتياجات، فنقرأ في إنجيل لوقا 19: 1-10 عن زَكَّا وعن الكيفيَّة التي لَبَّى الربُّ يسوع بها احتياجه إلى القبول. رَفَضَ المُجْتَمَعُ آنذاك زَكَّا وَنَبَذَهُ وَحَسَبَهُ خَائِنًا لَأَنَّهُ عَمَلَ في وظيفة جابي ضرائب لمصلحة الإمبراطوريَّة الرومانيَّة. أمَّا الربُّ يسوع، فرآه ابنًا لإبراهيم، ودعاه بِاسْمِهِ، وزاره في بيته.

ونقرأ في إنجيل لوقا 5: 17-26 عن الكيفيَّة التي لَبَّى الربُّ يسوع بها احتياجَ الرَّجُلِ المشلول إلى الشفاء وإلى غفران الخطايا، وعندما أُنْزِلَهُ أصدقاؤه أمام يسوع من بين الطوب في السقف، لَمْ يَقُلِ الربُّ يسوع له في البداية: «قُمْ وَاحْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» (لوقا 5: 24)؛ بل قال له أَوَّلًا: «أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (لوقا 5: 20). قد يَكُونُ الاحتياجُ في بعض الأحيان ظاهرًا، مِثْلَ احتياج هذا الرَّجُلِ إلى الشفاء، وهو ما لَحَظَهُ الآخَرُونَ مِنْ حَوْلِهِ. ولكنْ عَلِمَ الربُّ يسوع عن وجود احتياجاتٍ أُخْرَى أَعَمَقُ؛ إذ احتاج هذا الرَّجُلُ إلى مغفرة الخطايا قَبْلَ الشفاء. واهتمَّ الربُّ يسوع بِكُلِّ الاحتياجات.

نَجِدُ في إنجيل مرقس الأصحاح 5 قِصَّةَ المرأة التي كانت تنزف دمًا وَسَعَتْ للحصول على الشفاء من الربِّ يسوع، وقد أَنْفَقَتْ كُلَّ أموالها على الأطبَّاءِ مِنْ دُونِ أَنْ تَشْعُرَ بِأَيِّ تَحَسُّنٍ، بل إنها ازدادت فقرًا. وقد حُسِبَتْ تلك المرأة نجسَةً بسبب نَزْفِ الدَّمِ ذاك، فكانت منبوذةً في أثناء مرضها الذي امتدَّ اثنتي عشرة سنة، فَرَفَضَ الناسُ أَنْ يلمسوها لئلاَّ يَصِيرُوا نَجَسِينَ بدورهم. ونتيجةً لذلك، عاشت المرأة وحيدةً مُتَعَبَةً بلا أمل.

ولكن عندما سَمِعَتْ تلك المرأة عن الربِّ يسوع، عَلِمَتْ أَنَّهَا سَتُشْفَى حَتَّى لو لَمَسَتْ ثِيَابَهُ فقط. إِلَّا أَنَّهَا واجهَتْ مُشكلةً أُخرى: كيف يُمكن أَنْ تَلْمَسَ ثِيَابَ الْمُعَلِّمِ؛ إذِ إِنَّهَا اعتقدَتْ أَنَّ فِعْلَهَا هذه ستجعله نجسًا؟ لذا قَرَّرَتْ التصرُّفَ في الخفاءِ حَتَّى لا يَعْرِفَ وَيَغْضَبَ منها.

اقتربتِ المرأةُ من يسوع في وسط الجموع، ومدَّت يدها ولمَسَتْ ثيابه. وأَحَسَّتْ مُباشرةً في جسمها بأنَّها شُفِيَتْ، وشَعَرَ يسوع أيضًا بذلك، «فَلِلْوَقْتِ التَّفَتَ يَسُوعُ بَيْنَ الْجَمْعِ شَاعِرًا فِي نَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي حَرَجَتْ مِنْهُ، وَقَالَ: مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي؟» (مرقس 5: 30).

أَدْرَكَتِ المرأةُ أَنَّهُ اكْتَشَفَ أَمْرُهَا، فماذا سيقول المُعَلِّمُ لها؟ وما التوبيخ الذي سيُوجَّهُ لها؟ فجاءت مرتعشةً وارتمت أمامه وأخبرتَه بالحقيقة كُلِّها، وبأنَّها- وفقًا لاعتقادها- جَعَلَتْ المُعَلِّمَ نجسًا، ومن ثَمَّ انتظرتِ المرأةُ رَدَّةَ فِعْلِهِ من نحوها. مُمَكِّنٌ أَنَّ المرأةَ شَعَرَتْ بالخوفِ وهي تنتظر توبيخًا قاسيًا؛ وهو الأمر الذي لَمْ يَحْدُثْ. عَوَضًا عن ذلك، قال لها الربُّ يسوع: «يَا ابْنَتُهُ»، فهو لَمْ يَرَفُضْهَا بل قَبَّلَهَا وَأَحَبَّهَا. يا للعجب، إذ بدلًا من أَنْ يُصبح الربُّ يسوع نجسًا قام بتطهير تلك المرأة، فَلَئِي الربُّ يسوع أيضًا بواسطة شفاء تلك المرأة احتياجَها العميق إلى القبول والمَحَبَّةِ.

نقرأ في إنجيل يوحنا الأصحاح 2 كيف لَبَّى الربُّ يسوع احتياجًا بسيطًا عندما حَضَرَ مع تلاميذه وأُمَّهُ حفلَ زفاف. وَنَقَدَ النُبِيذُ من المضيفين في أثناء الحفل، وَتَخَيَّلْ معي، عزيزي القارئ، مدى خوف الخدام واضطرابهم عندما فَكَّرُوا في إخبار المسؤول عن الاحتفال بشأن نفاذ النُبِيذ، ثُمَّ كيف يا تُرى سيُخبر المسؤول الضيوفُ بأنَّه لَمْ يَعُدْ لديه ما يُقدِّمُه لهم؟ سَيَجْلِبُ هذا الأمرُ العارَ للعريس أمام المُجْتَمَعِ كُلِّه. عندما حَوَّلَ الربُّ يسوع الماءَ إلى نُبِيذ، كان بذلك يُلَبِّي ليس فقط الاحتياجَ إلى الشرب، بل أيضًا كان

يحافظُ على كرامة العائلة، فقد حَمَى العريسَ من الشعور بالخجل. وفي المقابل، نرى ليس فقط أَنَّ الربَّ يسوع جَنَّبَ العريسَ العارَ، بل أيضاً أَكْسَبَهُ شَرَفًا إضافيًا بسبب نوعيَّة النبذ الجيدة. نَعَمْ، كان الربُّ يسوع مُقْتَدِرًا في الفعل والقول.

يدعونا الربُّ يسوع إلى الانضمام إليه في تلبية الاحتياجات

إِنَّ الأمرَ الملفت للانتباه في الربِّ يسوع هو أَنَّهُ يدعونا لننضمَّ إليه في تلبية احتياجات الناس، فهو يُقَرِّبنا منه ويستخدمنا لِيُبَارِكَ الآخرين. يُوضِّحُ إنجيل لوقا 9: 10-17 هذا المبدأ. في بداية هذا الأصحاح، دعا الربُّ يسوع تلاميذه الاثني عشر، «وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَانًا عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ وَشِفَاءِ أَمْرَاضٍ»، وَمِنْ ثَمَّ أَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِالْإِنْجِيلِ وَيُقَدِّمُوا الشِّفَاءَ لِلْمَرْضَى وَلِيَفْعَلُوا الْأُمُورَ الَّتِي رَأَوْا يَسُوعَ يَفْعَلُهَا.

ونقرأ في الآية العاشرة عن رجوع التلاميذ إلى الربِّ يسوع، فانسحب معهم حَتَّى يَتِمَكَّنَ من التحدُّث إليهم والاستماع إلى اختباراتهم. أراد أن يمنحهم الفرصة لمشاركة ما حَدَّثَ معهم من أمورٍ جيِّدةٍ أو سيِّئةٍ، وأن يأخذ الوقت لتشجيعهم ومَنحهم الراحة.

لكنَّ جموع الناس لَمْ تَسْمَحْ له بالحصول على الوقت للانفراد بتلاميذه كما أراد. عَلِمَتِ الجموعُ عن مكان المسيح فتبعوه، وبدلاً من أن يَصْرِفَهُمْ، نَرَى أَنَّهُ «قَبِلَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ عَنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ، وَالْمُحْتَاجُونَ إِلَى الشِّفَاءِ شَفَاهُمْ» (لوقا 9: 11)، فرحَّبَ المسيحُ بهم وعَلَّمَهم ولَبَّى احتياجاتهم.

وفي نهاية اليوم، عندما حان وقت عودة الجموع إلى بيوتهم، لَمْ يَكُونُوا قد أَكَلُوا طَعَامًا حَتَّى ذَلكَ الوقت، وبالتأكيد كانوا جائعين، فأراد الاثنا عشر تلميذًا أَنْ يَصْرِفُوا الجموع، فأتوا إليه وقالوا ليسوع: «أَصْرِفِ الْجَمْعَ لِيَذْهَبُوا إِلَى الْقَرَى وَالضِّيَاعِ حَوَالَيْنَا فَيَبِيتُوا وَيَجِدُوا طَعَامًا، لِأَنَّا هَهُنَا فِي مَوْضِعٍ خَلَاءٍ» (الآية 12).

كان اقتراح التلاميذ منطقيًا لأنَّ جموع الناس كانت تحتاج إلى طعام، وإلى مكانٍ تنام فيه. فَمِنْ وجهة النظر البشرية، كان لا بُدَّ لجموع الناس أَنْ تُغَادَرَ ولكن كانت عند يسوع خُطَّةٌ مختلفة. قال لتلاميذه: «أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا» (الآية 13). كيف يُعْقَل ذلك؟ لَمْ يَكُنْ لدى التلاميذ أيُّ شيءٍ لِيَقْدُمُوهُ. كان هناك نحو خمسة آلاف رَجُلٍ فَضْلًا عن النساء والأطفال. وَلَمْ يَكُنْ مع التلاميذ سوى خمسة أرغفةٍ وسمكتين. أَوْضَحَ كُلُّ مِنَ البشير مرقس والبشير يوحنا في إنجيليهما أَنَّ الأمر كان سَيُكَلِّفُ أَكْثَرَ مِنْ مِئَتِي دينارٍ على الأقلِّ لإطعام كُلِّ هؤلاء الناس (مرقس 6: 37؛ يوحنا 6: 7). يُعَادِلُ هذا المبلغ تقريبًا أَجْرَةَ عاملٍ على مدى ثمانية أشهر. يا له من أمرٍ مُستحيل! كيف يُمَكِّنْ لاثني عشر رَجُلًا لا يملكون شيئًا أَنْ يُطْعِمُوا أَكْثَرَ مِنْ عشرة آلاف أو ربَّما عشرين ألفَ شَخْصٍ؟ إِنَّهُ أَمْرٌ يستحيل القيام به من وَجْهَةِ نَظَرِ التلاميذ لكنَّه مُمَكِّنٌ للربِّ يسوع.

لَمْ يَكُنْ لدى التلاميذ ما قد يُلَبِّي احتياجَ الأعداد الغفيرة من الناس، لكنَّهم أعطوا ليسوع كُلَّ ما لديهم. لا بُدَّ أَنْ نَتَعَلَّمَ هذا المبدأ. لا يَطْلُبُ مِنَّا الربُّ يسوع أَنْ نَحْمِلَ احتياجات العالم على كواهلنا، ولا يَطْلُبُ مِنَّا تلبية احتياجات كُلِّ شَخْصٍ. بل يَطْلُبُ مِنَّا أَنْ نَنْضَمَّ إِلَيْهِ بواسطة تقديم ما لدينا بِكُلِّ بساطةٍ وَأَنْ نَتَّقَ به، وَأَنْ نَتَّقَ بِأَنَّهُ سِيَهْتُمُ بِكُلِّ التفاصيل الأخرى.

أَخَذَ يَسُوعُ مَا قَدَّمَهُ الْاثْنَا عَشَرَ؛ وَقَدْ حَسَبَهُ كَافِيًا. وَمِنْ ثَمَّ، طَلَبَ مِنْ تَلَامِيذِهِ أَنْ يُجْلِسُوا النَّاسَ فِي مَجْمُوعَاتٍ، ثُمَّ شَكَرَ اللَّهُ مِنْ أَجْلِ الْخُبْزِ وَالسَّمَكِ وَطَلَبَ مِنْ تَلَامِيذِهِ تَوَظُّعَ الطَّعَامِ عَلَى النَّاسِ، وَهَكَذَا دَعَا الرَّبُّ يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ أَنْ يَنْضَمُّوا إِلَيْهِ فِي تَلْبِيَةِ احْتِيَاجِ الْجُمْهُورِ الْغَفِيرِ. كَانَ بَاسِطَاعَةِ يَسُوعُ أَنْ يُطْعِمَ الْأَلْفَ مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ الْخُبْزُ وَالسَّمَكُ. كَانَ بَاسِطَاعَتِهِ بِكُلِّ بَاسَاطَةٍ أَنْ يَضَعَ الطَّعَامَ فِي أَيْدِي النَّاسِ، لَكِنَّهُ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، دَعَا التَّلَامِيذَ لِمُشَارَكَتِهِ فِي تَلْبِيَةِ ذَلِكَ الْاحتِيَاجِ.

وَبَعْدَ أَنْ أَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا، جَمَعَ التَّلَامِيذُ اثْنَيْ عَشَرَ سَلَّةً مَمْلُوءَةً بِالْكَسْرِ. إِنَّ يَسُوعَ لَمْ يُبَيِّنْ فَقْطَ احْتِيَاجَ النَّاسِ، بَلْ هُوَ لَبَّاهُ بِوَفْرَةٍ.

عِنْدَمَا نُلَاحِظُ مِنْ حَوْلُنَا عِدَدَ الْاحتِيَاجَاتِ الَّتِي لَا يُحْصَى، جَيِّدٌ أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ لَا يَرْغَبُ فَقْطَ فِي أَنْ يُلَبِّيَ الْاحتِيَاجَاتِ، بَلْ هُوَ أَيْضًا قَادِرٌ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ. وَجَيِّدٌ أَنْ نَتَذَكَّرَ أَيْضًا أَنَّهُ يَدْعُونَا إِلَى الْانْضِمَامِ إِلَيْهِ فِي تَلْبِيَةِ الْاحتِيَاجَاتِ. وَلَا يَعْنِي هَذَا الْأَمْرُ أَنَّهُ يَتْرَكُنَا نَعْمَلُ فِي سَبِيلِ تَلْبِيَةِ الْاحتِيَاجَاتِ وَحْدَنَا، لَكِنَّهُ يَرِيدُنَا أَنْ نُقَدِّمَ لَهُ مَا لَدَيْنَا، وَأَنْ نُطِيعَهُ بَيْنَمَا يُرْشِدُنَا إِلَى الْخُطُواتِ الْآتِيَةِ.

فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، لَا نَمْلِكُ شَيْئًا لِنُقَدِّمَهُ سِوَى الْوَقْتِ وَاسْتِعْدَادِنَا الْقَلْبِيِّ. هَرَبَ جَمَالٌ مَعَ زَوْجَتِهِ لِيَدِيَا مِنَ الْعِرَاقِ بِسَبَبِ تَنْظِيمِ دَاعِشٍ، وَتَوَاصَلَا مَعَ كَنِيسَةٍ فُورَ وَصُولِهِمَا إِلَى الْأُرْدُنِّ وَتَطَوُّعًا فِي خِدْمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. بَدَأَ جَمَالٌ بِمُسَاعَدَةِ رَايِ الْكَنِيسَةِ فِي الزِّيَارَاتِ وَسَاعَدَتْ لِيَدِيَا فِي خِدْمَةِ الْأَطْفَالِ.

فِي أَثْنَاءِ تَنْظِيمِ لِيَدِيَا لِبَرْنَامِجٍ خَاصٍّ لِلْأَطْفَالِ الْعِرَاقِيِّينَ اللَّاجِئِينَ مَعَ وَالِدَيْهِمْ، تَعَرَّفْتُ عَلَى وَلَدَيْنِ رَغَبَا فِي الْحُضُورِ لَكِنَّهُمَا كَانَا يَتِيمَي الْأَبِ.

اقترحتُ ليديا أَنْ يَصْطَحِبَ جَمَالَ الْوَلَدَيْنِ إِلَى الْبِرْنَامِجِ لِيَكُونَا نَائِبًا عَنِ وَالِدَهُمَا الْمَتَوَفَّى.

لَمْ يَتَعَرَّفْ هَذَانِ الْوَلَدَانِ عَلَى جَمَالٍ مِنْ قَبْلُ لَكِنَّهُمَا اخْتَبَرَا كَيْفِيَّةَ اهْتِمَامِهِ بِهِمَا وَوَقُوفَهُ إِلَى جَنْبِهِمَا، وَشَعَرَا بِمَحَبَّتِهِ لَهُمَا. فَنَشَأَتْ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ عِلَاقَةٌ خَاصَّةٌ مَا بَيْنَ جَمَالٍ مِنْ جِهَةٍ، وَالْوَلَدَيْنِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. نَمَتْ هَذِهِ الْعِلَاقَةُ لِتَشْمَلَ أَيْضًا لِيدِيَا وَوَالِدَةَ الْوَلَدَيْنِ. يَلْتَقِي جَمَالٌ بِالْوَلَدَيْنِ تَقْرِيْبًا فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ وَيَأْخُذُهُمْ إِلَى أَمَاكِنَ مُمْتَعَةٍ لِلْعَبِّ أَوْ يَسْمَحُ لَهُمَا بِزِيَارَتِهِ فِي بَيْتِهِ.

أَعْرَبَتِ وَالِدَةُ الْوَلَدَيْنِ عَنْ امْتِنَانِهَا وَشُكْرِهَا مِنْ نَحْوِ جَمَالٍ. وَقَدْ تَقَبَّلَتْ بِدَوْرِهَا مَحَبَّةَ اللَّهِ لَهَا لِأَنَّهَا عَايَنْتْ مَحَبَّةَ جَمَالٍ الصَّادِقَةِ لَوْلَدِيهَا.

يُحِبُّ اللَّهُ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلَ، وَقَدْ جَعَلَ جَمَالٌ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ مَرْئِيَّةً، وَأَصْبَحَ جَمَالٌ يَدِي الرَّبِّ يَسُوعَ وَقَدَمَيْهِ لِهَذِهِ الْعَائِلَةِ بِمَجْرَدِ أَنَّهُ أَعْطَى مِنْ وَقْتِهِ، وَبِسَبَبِ اسْتِعْدَادِهِ الْقَلْبِيِّ.

الْكَلِمَاتُ مُهِمَّةٌ وَضَرْوْرِيَّةٌ، فَنَحْنُ نُعْلِنُ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ بِالْكَلِمَاتِ. وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، قَدْ يَسْتَصْعِبُ بَعْضُ النَّاسِ إِدْرَاكَ مَعَانِي كَلِمَاتِنَا مَا لَمْ يَشْعُرُوا أَوَّلًا بِمَحَبَّتِنَا لَهُمْ. نُظْهِرُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ بِأَفْعَالِنَا؛ فَصَوْتُ أَفْعَالِنَا أَلْبَغُ مِنْ صَوْتِ أَقْوَالِنَا. عَلَّمَنَا يَسُوعُ بِمِثَالِ حَيَاتِهِ كَيْفِيَّةَ مَحَبَّةِ الْآخَرِينَ. «بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نَفُوسَنَا لِأَجْلِ الْإِخْوَةِ. وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرُ أَخَاهُ مُحْتَاجًا، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِيهِ؟ يَا أَوْلَادِي، لَا نُحِبُّ بِالْكَلَامِ وَلَا بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ!» (1 يوحنا 3: 16-18).

السير في «دَرْبِ الإيمان»

1. مَنْ هُمْ المحتاجون مِنْ حَوْلِكَ؟ حَدِّدِ احتياجَ شَخْصٍ ما (هل هو مالي، أم علائقي، أم عاطفي... إلخ) وحاولْ أَنْ تُلبِّيَه في أثناء هذا الأسبوع.
2. اقرأْ إنجيلَ يوحنا الأصحاح 4، وهو الأصحاح الذي يُسجِّلُ حادثةَ لقاء يسوع مع المرأة السامريَّة. ما الذي احتاجت إليه المرأة السامريَّة؟ ما الذي احتاج إليه يسوع؟ كيف لَبَّى يسوع أَشَدَّ احتياجاتها؟ كيف أثَّرَ ذلك في المرأة؟
3. فَكِّرْ في مَنْ هُمْ حَوْلَكَ، ماذا يَعْرِفُونَ حَقًّا عن الله أو عن الإنجيل؟ كيف تستطيع أَنْ تبدَأَ بما يَعْرِفُونَهُ لتقودَهُم إلى فَهْمٍ أَعْظَمَ حَوْلَ هُويَّةِ الرَّبِّ يسوع وعمَّا فَعَلَهُ مِنْ أَجْلِنَا؟
4. مع مَنْ سَتُشاركِ الأمورَ التي تَعَلَّمْتَها بشأنِ اكتشافِ احتياجاتِ الناسِ وتلبيَّتِها؟

الفصل الرابع الجزء الأول

إيضاح رسالة الإنجيل

التقى كمال مع أبي رامي من دُونِ سابقِ معرفة، وشارك كمال همومه بِحُرِّيَّةٍ مع أبي رامي، وحَدَّثَهُ عن مدى صعوبة إعالة أُسْرَتِهِ. فقد تَعَرَّضَ كمال في مرحلةٍ سابقةٍ إلى حادثٍ جَعَلَ إحدى رِجْلَيْهِ أَقْصَرَ من الأُخْرَى، ونتيجةً لذلك، لَمْ يَعُدْ باستطاعته أَنْ يمشي بسهولة، وَلَمْ يَعُدْ قادراً على العمل وإعالة زَوْجَتِهِ وأطفاله الخمسة.

بادَرَ أبو رامي بالمُشاركة مع كمال حَوْلَ حقيقة قيام الله بتزويدنا باحتياجاتنا. ولاحظَ أبو رامي التقبُّلَ الروحيَّ لكلامه من قِبَلِ كمال، فتحدَّثَ معه ليس فقط عن قيام الله بتزويدنا باحتياجاتنا المادِّية، بل أيضاً عن كَوْنِهِ يَمُكِّنُ على تغطية عارنا وخطيئتنا أيضاً. ثُمَّ شاركَ أبو رامي الأخبارَ السَّارَةَ مع كمال، ابتداءً من قِصَّةِ الخليفة وصولاً إلى المسيح، مُتَّبِعاً موضوعي الذبائح الحيوانية والتدبير الإلهيَّ من آدم وحواء في البداية، ثُمَّ إبراهيم وموسى، وصولاً إلى الربِّ يسوع.

شدَّدَ أبو رامي، في كلامه مع كمال، على كَيْفِيَّةِ تحقيق الربِّ يسوع للنبوءات المكتوبة في العهد القديم ورَبَطَ جميعَ القصص معاً. وعندما

وَصَلَا إِلَى قِصَّةِ الصَّليبِ، بدأتِ العواطف الجيَّاشة في التحرك داخلَ كمال، ولا سيَّما عند الحديث عن قيامة الربِّ يسوع من بين الأموات. شَعَرَ أَبُو رامي بحضور الله الواضح معهما في أثناء مُشاركته للأخبار السارَّة. تَحَدَّثَ الرَّجُلَانِ عَنِ الْإِيمَانِ واعترف كمال بأنَّه رَجُلٌ آثِمٌ ويحتاج إلى مُخْلِصٍ، وَأَعْلَنَ إِيْمَانَهُ بِصدقِ الرسالة التي تقول إنَّ يسوع مات مِن أَجلِهِ وقام من بين الأموات، فَتَكَلَّمَ أَبُو رامي معه عن الصلاة، ودعاه لِيُصَلِّيَ وَلِيُخْبِرَ اللَّهَ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ عَنِ الْأُمُورِ التي فَكَّرَ فيها وشَعَرَ بها. رَفَعَ كمال يديه، وابتدأ يَشْكُرُ اللَّهَ على إرسال يسوع ليموتَ على الصليب، وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَى صَلَاتِهِ شَارَكَ بِأَنَّهُ شَعَرَ بِإحساسٍ عميقٍ بالسَّلام. بقي شعور السَّلام هذا مع كمال على مدى الأشهر الكثيرة التالية التي كان أبو رامي يُتَلِمِذُهُ في أَثْنائها.

يتصارع كثيرون حَوْلَ مُشاركة رسالة الإنجيل بجرأةٍ كما فَعَلَ أَبُو رامي. وَيَشْعُرُ بعض الناس بالخوف الشديد، في حين يَجْهَلُ آخَرُونَ كَيْفِيَّةَ الْقِيَامِ بِذَلِكَ. وَمُؤَسَّفٌ أَنَّ كَثِيرِينَ مِمَّنْ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ أَتْبَاعُ لِيَسُوعَ يَشْعُرُونَ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ بِأَنَّهُمْ لَا يَزْعُبُونَ فِي مُشاركة الأخبار السارَّة مع الْآخَرِينَ، وَلَا سِيَّما مع أولئك الذين ينتمون إلى خَلْفِيَّاتٍ دِينِيَّةٍ أُخْرَى.

إِنْ كُنْتَ تَقْرَأُ هَذَا الْكِتَابَ، فَإِنَّا نَفْتَرِضُ أَنَّ السَّبَبَ الْأَخِيرَ لَا يَصِحُّ لَكَ، بَلْ إِنَّكَ تَرْغَبُ فِي أَنْ تُشَارِكَ الْأَخْبَارَ السارَّةَ، لِأَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ تَلَامِيذَ وَأَنْ تَزْرَعَ كُنَائِسَ. ومع ذلك، فقد تُراودك مشاعرُ الخوف والقلق عندما تُشَارِكُ الْأَخْبَارَ السارَّةَ. فَضْلاً عَنِ ذَلِكَ، قَدْ لَا يَكُونُ وَاضِحاً لَكَ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ رِسَالَةُ الْإِنْجِيلِ فِعْلاً أَوْ الْكَيْفِيَّةَ التي يُمَكِّنُكُ بِهَا أَنْ تُقَدِّمَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِأَفْضَلِ طَرِيقَةٍ مُمَكِّنَةٍ.

قُمْنَا بِتَجزئة هذا المبدأ الذي يَحْمِلُ عَنَوانَ: «إيضاح رسالة الإنجيل» لِنَدْرُسَهُ على مدى فصلَيْن. لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَنْجَحَ فِي صِنَاعَةِ التَّلَامِيذِ مَا لَمْ

نَعْرِفُ جوهرَ الإنجيل. لذا نَهْدَفُ من الجزء الأول أَنْ نُوضِّحَ رسالةَ الإنجيل المكتوبة في الكتاب المقدَّس. وسنَدْرُسُ في الجزء الثاني كَيْفِيَّةَ كِرَاةِ الرسل بِأَسَالِيِبٍ مُخْتَلِفَةٍ للوصول إلى مُسْتَمْعِينَ مُخْتَلِفِينَ مع المُحَافَظَةِ على الرسالة نَفْسُهَا. سَيُسَاعِدُنَا هَذَا الأمرُ على التفكير بِطَرِيقَةٍ كِتَابِيَّةٍ حَوْلَ أَسَالِيِبِ مُشَارَكَةِ رسالة الإنجيل مع أَشْخَاصٍ من خَلْفِيَّاتٍ مُتَنَوِّعةٍ.

لست أستحي

قَبْلَ أَنْ نَعُوضَ في استكشاف الموضوعَيْن، فَلتَتَحَدَّثْ بِإِيجَازٍ عن الخوف والقلق، وعن الأمور الأخرى التي تمنعنا من مُشَارَكَةِ الأخبار السارة عن الربِّ يسوع. كَتَبَ الرسول بولس في رومية 1: 16-17 الكلمات الآتية: «لَأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحْيِ بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لِأَنَّهُ قُوَّةُ اللَّهِ لِلْخَلَاصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ. لِأَن فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللَّهِ بِإِيْمَانٍ، لِإِيْمَانٍ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَمَّا الْبَارُّ فَبِإِلِيْمَانٍ يَحْيَا.»» قد تَكُونُ لَنَا في بعض الأوقات تَجَرِبَةٌ مُشَابِهَةٌ لِكَلَامِ الرسول بولس الوارد في هَذَا المَقْطَعِ الكِتَابِيِّ، وَلَكِنْ إِنْ كُنَّا صَادِقِينَ مع أَنْفُسِنَا، فَسَنَعْتَرِفُ أَنَّنا قَدْ نَشْعُرُ في أَوَاقَاتٍ أُخْرَى بِالخَجَلِ من مُشَارَكَةِ الإنجيل أَوْ قَدْ نَخْشَى من مُشَارَكَتِهِ مع آخَرِينَ.

يَخَافُ بَعْضُ النَّاسِ مِمَّا قَدْ يَحْدُثُ لَهُمْ، وَقَدْ يَعْتَقِدُ آخَرُونَ أَنَّ الإنجيل غير مُنَاسِبٍ لَزَمَنَاتِنَا فِي الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ. بَيْنَمَا قَدْ يَقَاقُ آخَرُونَ بِشَأْنِ إِعْلَانِ الرَّبِّ يسوع عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ إِلَى اللَّهِ فِي وَسْطِ عَالَمٍ تَتَرَاوَدُّ فِيهِ التَّعَدُّدِيَّةُ.

مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ من مُشَارَكَةِ الإنجيل؟ مَا الَّذِي تَخْشَى حَدُوثَهُ عِنْدَمَا تَتَحَدَّثُ عَنِ يسوع مع الْآخَرِينَ؟ هَلْ تَخَافُ مِنَ الرَّفْضِ أَوْ الْإِهَانَةِ؟ رُبَّمَا

تخاف ممّا قد يقوله الآخرون عنك. قد نشعُر بالخجل من مُشاركة الإنجيل في العمل لأنّنا نخشى إزعاج ربّ العمل أو خسارة وظيفتنا. يَخْتَرِ الْمُؤْمِنُونَ بالمسيح القادمون من خلفيّاتٍ مُختلفةٍ على نحوٍ خاصٍّ الخوفَ الشديد. قد يَخشى الشخصُ المُسلم الذي آمَنَ بالربِّ يسوع ليس فقط الإهانة، بل قد يخاف أيضًا من الاضطهاد والطرْد من المُجتمع أو حتّى القتل.

وممّا لا شكّ فيه أنّ كُلَّ هذه الاحتمالات في زمن الرسول بولس كانت حقيقةً أيضًا؛ فعندما كُتِبَتِ الرسالةُ إلى أهل رومية، كان قد قُتِلَ كُلُّ من استفانوس (أعمال الرسل 7: 58) ويعقوب (أعمال الرسل 12: 2) بسبب إيمانهم بيسوع. وقد عاش الرسولُ بولس في زمنٍ اختَبَر فيه أتباعُ يسوع الذين كَرَّزوا به لآخرين عواقبَ حقيقة، وتعرَّضَ الناسُ إلى الإهانة والافتراء والضرب وخَسِرُوا مَصَادِرَ رِزْقِهِمْ بسبب إيمانهم بيسوع، بينما فَقَدَ آخَرُونَ حياتَهُمْ.

والسؤال الذي يَطرحُ نَفْسَهُ: لماذا لَمْ يَخْجَلِ الرسولُ بولس؟ هل لأنّه كان بكلِّ بساطةٍ أَقْوَى وَأَشَجَعَ مِنّا؟ ربّما كان كذلك، لكنّ هذا ليس السبب الذي قَدَّمَهُ. فهو لَمْ يَقُلْ: «لَسْتُ أُسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لَأَنِّي قَوِيٌّ وَشَجَاعٌ»، بل قال: «لَأَنِّي لَسْتُ أُسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ لَأَنَّهُ قُوَّةُ اللَّهِ لِلْخَلَاصِ». لَمْ يَسْتَمِدَّ الرسولُ بولس شجاعته من ذاته بل من الإنجيل نَفْسَهُ.

إنَّ الإنجيل هو قُوَّةُ اللَّهِ، وهو لبسٌ مجرَّد أداة تُظهِرُ قُوَّةَ اللَّهِ (لأنّه ليس قنّةً لتمرير قُوَّةِ اللَّهِ)؛ بل هو حقًّا قُوَّةُ اللَّهِ ذاتها. حيث قال الرسول بولس في 1 كورنثوس 1: 18 ما يلي: «فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّليْبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ». لَمْ يَخْجَلِ الرسولُ بولس بالإنجيل لأنّه كان على درايةٍ بِقُوَّتِهِ، فأدركَ قُوَّةَ الإنجيل من جهة أنَّ الإنجيل مَنَحَ

الرسول بولس الخلاص من الخطيئة وتبعاتها، وأنَّ الإنجيل مَنْحَ الرسول بولس الحياة الأبدية. كما أدرك الرسول بولس قوَّة الإنجيل لخلاص كُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ؛ سواءً أكان يهودياً أم يونانياً، وعَبْدًا أم حُرًّا، وَذَكَرًا أم أنثى.

نَحْصُلُ على الشجاعة من قوَّة الإنجيل للخلاص لأنَّنا قد تَيَقَّنَّا أنَّنا قد خَلَصْنَا تمامًا. يقول الرسول بولس: «فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رومية 5: 1). إِنَّ الشَّوْقَ الْحَقِيقِيَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ هو في الحصول على السلام مع الله، فنحن نريد أن نَكُونَ على وفاقٍ مع الله، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَجْتَهِدُ لِكَسْبِ رِضَاهِ عَلَيْنَا وَالْوَصُولِ إِلَيْهِ. لَكِنَّا نَجْهَلُ ما إذا كانت أعمالنا الصالحة كافية، وهكذا نبقي في حالةٍ من الخوف من أن نَكُونَ غير مقبولين لدى الله.

هنا يأتي دور الإنجيل؛ إذ هو يُحَرِّرُنَا من إلزام أنفسنا بالقيام بأعمالٍ صالحةٍ نعتقد بأنَّها سَتُبَرِّرُنَا أمام الله. نحن مرتبطون- بواسطة الإيمان- بموت يسوع وقيامته، لذلك حَصَلْنَا على الغفران والطهارة وَأَصْبَحْنَا مُقَدَّسِينَ وبلا لوم أمام الله، فَصِرْنَا مقبولين لدى الله ونحظى بالسلام معه. وهكذا يُلَبِّي أَعْظَمَ احتياجٍ في حياة الإنسان، فلا يستطيع أَحَدٌ أَنْ يَنْزِعَ خَلاصَنَا مِنَّا، لأنَّه لا يستطيع أَحَدٌ أَنْ يَخْطِفَنَا مِنْ يَدِ اللَّهِ (يوحنا 10: 28-29). كما لا يُوجَدُ في ما بَعْدُ مُبَرَّرٌ للخوف من الموت لأنَّنا نَعْلَمُ يَقِينًا أنَّنا سنعيش إلى الأبد.

لَمْ يَخْجَلِ الرسول بولس بالإنجيل لأنَّه اختَبَرَ قُوَّتَهُ في الخلاص من الخطيئة، والإنقاذ من غَضَبِ اللَّهِ، والغفران من الذنوب، والتطهير من النجاسة، والحصول على الحياة الأبدية. عَلِمَ الرسول بولس أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ، وَمِنْ ثَمَّ أَدْرَكَ أَنَّهُ ما مِنْ إِنْسَانٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَسَبَّبَ بِأَذِيَّتِهِ مِنْ دُونِ سَمَاحِ اللَّهِ بِذَلِكَ. لَمْ يَخَفْ بولس الرسول مِنْ أَيِّ أَمْرٍ؛ حيث إنَّ أسوأ ما قد يَحْصُلُ

له هو أَنْ يَقُومَ شَخْصٌ مَا بَقْتَلَهُ، مَا يَعْنِي أَنَّهُ سَيَكُونُ مَعَ الْمَسِيحِ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ جَدًّا.

إِنَّ الْمَخَاطِرَ الَّتِي قَدْ نَوَاجَهَهَا فِي أَيْامِنَا هَذِهِ عِنْدَ مُشَارَكَةِ الْإِنْجِيلِ، لَيْسَتْ أَكْثَرُ مِنَ الْمَخَاطِرِ الَّتِي وَاجَهَهَا الرَّسُولُ بُولُسُ؛ كَمَا أَنَّ مُكَافَأَتَنَا لَيْسَتْ أَكْثَرُ مِنْ مُكَافَأَتِهِ. إِنَّ كُنَّا صَادِقِينَ مَعَ أَنْفُسِنَا، فَسَنَعْتَرِفُ أَنَّ مُعْظَمَنَا لَمْ يُوَاجِهْ مَخَاطِرَ كَبْرَى وَلَنْ يُوَاجِهَهَا عَلَى الْأَرْجَحِ، وَلَنْ يُقْتَلَ مُعْظَمُنَا إِنْ شَارَكُنَا الْأَخْبَارَ السَّارَّةَ عَنْ يَسُوعَ مَعَ جِيرَانِنَا. وَلَنْ يَتَعَرَّضَ مُعْظَمُنَا إِلَى الْاضْطِهَادِ الشَّدِيدِ أَوْ إِلَى الضَّرْبِ أَوْ إِلَى السَّجْنِ. قَدْ يَتَعَرَّضُ بَعْضُ مَنْآ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَلَكِنَّ مُعْظَمَنَا لَا نَتَعَرَّضُ لَهَا. قَدْ نَخْتَبِرُ الرِّفْضَ وَالْإِهَانَةَ، وَهِيَ أُمُورٌ لَا قِيَمَةَ لَهَا عِنْدَ مُقَارَنَتِهَا بِقُوَّةِ الْإِنْجِيلِ الَّتِي تَشُقُّ الطَّرِيقَ أَمَامَنَا لَنَحْصُلَ عَلَى مَجْدٍ أَبَدِيٍّ لَا يُحَدُّ.

لَا يُوجَدُ إِنْجِيلٌ آخَرُ

إِنَّ الْإِنْجِيلَ هُوَ الْأَخْبَارُ السَّارَّةُ لِأَنَّهُ قُوَّةُ اللَّهِ لِلْخَلَاصِ؛ أَيِ الْقُوَّةِ الْوَحِيدَةِ لِلْخَلَاصِ. لَا تُوجَدُ طَرِيقَةٌ أُخْرَى، لِأَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ إِلَى اللَّهِ. وَلَا يُوجَدُ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ (أَعْمَالُ الرِّسَالَةِ 4: 12). لِذَلِكَ، يَجْدُرُ بِنَا التَّأَكُّدُ مِنْ أَنَّنا نُبَشِّرُ بِالْإِنْجِيلِ الْحَقِيقِيِّ - كَمَا كُتِبَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ - الَّذِي بَشَّرَ بِهِ الرَّسُلُ.

عَبَّرَ الرَّسُولُ بُولُسُ عَنْ قَلْقِهِ هَذَا فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةَ:

«إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هَكَذَا سَرِيعًا عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ. لَيْسَ هُوَ آخَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ

يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ. وَلَكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلَكَ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمًا. كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ الْآنَ أَيْضًا: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمًا!» (غلاطية 1: 6-9).

إِنَّ الانتقالَ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ هُوَ أَمْرٌ بِالْغُيُورَةِ. قَالَ الرُّسُولُ بُولُسُ إِنَّ أَهْلَ غَلَاطِيَّةٍ قَدْ تَرَكُوا اللَّهَ عِنْدَمَا لَجَأُوا إِلَى إِنْجِيلٍ مُخْتَلِفٍ. وَقَدْ حَسَبَ الرُّسُولُ بُولُسُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَكْرِزُ بِإِنْجِيلٍ يَتَعَارَضُ مَعَ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ هُوَ «أَنَاثِيمًا» أَيَّ أَنَّهُ مَلْعُونٌ؛ حَتَّىٰ لَوْ كَانَ مَنْ يُبَشِّرُ بِهَذَا الْإِنْجِيلِ الْكَاذِبِ مَلَكَ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ حَتَّىٰ الرُّسُولُ بُولُسُ نَفْسَهُ.

قَدْ نَشِئَهُ الْإِنْجِيلَ أَوْ نَحَرِّفُهُ بِطَرِيقٍ مُخْتَلِفَةٍ. قَدْ نُضِيفُ شُرُوطًا (مِثْلُ: حُضُورِ اجْتِمَاعَاتِ الْكَنِيسَةِ أَوْ عَدَمِ التَّدْخِينِ) أَوْ نُضِيفُ فَوَائِدَ (مِثْلُ: الثَّرْوَةِ وَالشِّفَاءِ الْكَامِلِ). يَعْتَقِدُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ اللَّهَ سَيِّدٌ قَاسٍ يَصْعُبُ إِرْضَاؤُهُ، بَيْنَمَا يَعْتَقِدُ آخَرُونَ أَنَّ اللَّهَ مِثْلُ الْجَدِّ الْعَجُوزِ الَّذِي لَا يَأْبَهُ إِذَا أَخْطَأْنَا. وَقَدْ يَشْعُرُ كَثِيرُونَ بِبَسَاطَةٍ أَنَّهُمْ أَشْخَاصٌ صَالِحُونَ، فَمَا مِنْ دَاعٍ لِلْقَلْقِ لَا سِيَّما عِنْدَمَا يَنْخَرِطُونَ فِي اهْتِمَامَاتِ الْعَالَمِ.

لَيْثُ هُوَ لَاجئٌ عِرَاقِيٌّ اسْتَقَرَّ فِي أَسْتْرَالِيَا، وَقَدْ وَصَفَ إِيمَانَهُ عِنْدَمَا كَانَ فِي الْعِرَاقِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَسِيحِيًّا اسْمِيًّا فَقَطْ، وَلَمْ يُدْرِكْ حِينَهَا أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ ابْنًا لِلَّهِ وَأَنْ يَنَالَ رِضَاهُ. وَلَمْ يُدْرِكْ أَنَّ اللَّهَ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَيْثُ عَلَى عِلَاقَةٍ حَقِيقِيَّةٍ بِهِ. رَكَزَ لَيْثُ فَقَطْ عَلَى وَظِيفَتِهِ وَالسَّعْيِ وَرَاءَ مِلْدَّاتِ الْعَالَمِ وَرَفَاهِيَّاتِهِ، وَلَمْ يَسْتَمِعْ عَلَى نَحْوٍ وَاضِحٍ إِلَى رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ وَلَمْ يَفْهَمْ تَأْثِيرَاتِهَا.

ثُمَّ جَاءَ «تَنْظِيمُ دَاعِشٍ»، فَفَرَّ لَيْثُ هَارِبًا مِنْ قَرْيَتِهِ وَصَعَدَ إِلَى الْجِبَالِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَطْفَالِهِ الْخَمْسَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ يَشْمُلُ ابْنَهُ الْبَالِغَ مِنَ الْعُمُرِ سَبْعَةَ

أَيَّامٍ فقط. وفي لحظةٍ واحدة، فَقَدْ لَيْثٌ مَنَزَلَهُ ووظيفته وكُلُّ ما كان يسعى وراءه في حياته، وابتدأ يسأل الله عن السبب الذي جَعَلَهُ يأخذ منه كُلُّ شيء؛ هل كان شَخْصًا شَرِيرًا اسْتَحَقَّ أَنْ تَحْدُثَ كُلُّ هذه الأمور السيئة له؟ صَلَّى إلى الله قائلاً: «لماذا يا الله؟ ماذا فَعَلْتُ؟» ولكن من دُونِ أَنْ يَحْصُلَ على جوابٍ منه.

كانت الحياة قاسيةً في مُخَيِّم اللاجئين، وَلَمْ تتوافر لديهم المياه الساخنة، حتَّى في فَصْلِ الشتاء، فكان لَيْثٌ يضع الماء مع عائلته في أوانٍ تحت أشعة الشمس لتدفئته قليلًا قَبْلَ الاستحمام. شَعَرَ لَيْثٌ بالقلق الشديد من نحو زَوْجَتِهِ وأولاده.

وذات يوم، جاء رَجُلٌ إلى المُخَيِّم من قريةٍ مجاورةٍ وشارك مع لَيْثٍ رسالةَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وبينما كان يَتَكَلَّمُ معه ويُجِيبُ عن أسئلته، خَطَرَتْ على بال لَيْثٍ فكرةُ الذهابِ إلى كنيسةِ ذلك الرَّجُلِ، على الرغم من أَنَّها كنيسةٌ تَتَّبِعُ تقليدًا مُخْتَلِفًا عن تقليدِ كنيسته.

ابتدأ لَيْثٌ بحضور دراسةٍ أسبوعيةٍ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، واكتشف أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ قد أجاب مُسَبِّقًا عن الأسئلة الكثيرة التي كان يطرحها. عَرَفَ سابقًا أَنَّ يَسُوعَ مات مِن أَجْلِ الْخَطَايَا، لكنَّه كان يَجْهَلُ أَيْةَ خَطَايَا مات مِن أَجْلِهَا وَمَنْ تَخَصَّ. أمَّا الآن، فقد فَهِمَ لَيْثٌ أَنَّ يَسُوعَ مات مِن أَجْلِ خَطَايَاهُ لِيُصَالِحَهُ مع الله الذي أراده أَنْ يَكُونَ ابْنًا له وليس عبدًا. تَعَلَّمَ لَيْثٌ أَنَّ اللهَ هو أبونا السماوي، وكما أَنَّهُ كانت لدى لَيْثٍ علاقةٌ مُميَّزةٌ تربطه بأولاده، هكذا يريد الله أَنْ يَبْنِيَ علاقةً أقوى به بوصفه ابنًا له. ابتدأ لَيْثٌ يشعر براحةٍ خاصَّةٍ من الله، عَرَفَ في ما بَعْدُ أَنَّها الولادة الجديدة.

غَادَرَ لِيْثُ وعائلته العراقَ إلى الأردنِّ لتقديم طلبات الهجرة إلى أستراليا. وفي أثناء انتظاره هناك، ابتداءً يَحْدُثُ مع كنيسةٍ محلّية، وانخرط في زيارة المحتاجين والصلاة من أجلهم، ومُشاركة الأخبار السارة ذاتها التي أدخلت الفرحَ إلى قلبه. وأدركَ لِيْثُ أهميّة علاقته الشخصية بالله وتقرّب منه يوميًا، واستمتع بدعوة الآخرين لكي يَختبروا العلاقة نفسها.

وبينما كان لِيْثُ يتأمل في محبة يسوع الأكيدة لنا حتّى في وسط ضَعْفنا ونجاستنا وعيوبنا وخطايانا، ازداد اقتناعًا بضرورة محبة الآخرين بالطريقة نفسها؛ حتّى من نحو الذين يختلفون عنّا. ابتداءً يَستمتع بزيارة اللاجئين السوريين على نحوٍ خاصّ - وكانوا جميعًا من المسلمين - ليُخبرهم عن محبة يسوع. كما فرحَ جدًّا عندما كان يتناول الطعام على مائدة الإفطار مع أصدقائه المسلمين في شهر رمضان.

ومنذ أن استقرَّ لِيْثُ مع عائلته في أستراليا، ما زال يَختبرُ المحبة نفسها ليسوع ويرغبُ في خدمته. كما أنّه يلتقي مع مجموعة من المؤمنين للصلاة. ويضعون معًا الترتيبات لزيارة أشخاص آخرين ومُشاركة الأخبار السارة معهم، وزرع كنيسة ناطقة باللغة العربيّة.

أدركَ لِيْثُ الآن أنّه في خِصَمِّ كُلِّ الصعوبات التي واجهها، كانت لدى الربِّ خطةٌ لحياته. أراد الله أن يُرجِعَ شَعْبَهُ إليه. وقد استخدَمَ الله «تنظيم داعش» لجذب انتباه كثيرين إلى محبته فيرجعوا إليه. وبسبب «تنظيم داعش»، سمِعَ لِيْثُ رسالة الإنجيل وفهمها، ورغم أنّه اختبرَ خسارةً ماديّة كبيرة، لكنّه تعرّف إلى الله؛ إله التعويضات. يؤمن لِيْثُ بأنّه مقبولٌ أن يخسرَ المالَ عندما يَربحُ في المقابل الحياة الأبدية.

أَوْصَلَ اللَّهُ إِلَى لَيْثٍ وعائلته رسالةَ الإنجيل الحقيقيةِ في خِصْمِ الاضطراباتِ الهائلةِ والمعاناةِ الشديدةِ. وحيثُ إِنَّ لَيْثًا وعائلتهِ يتحدثون من خلفيّةٍ مسيحيّةٍ، فقد استمعوا في فتراتٍ سابقةٍ إلى أجزاءٍ مشوّهةٍ من الأخبارِ السارّةِ. تَعَلَّمُوا حينها أَنَّهُمْ يحتاجون إلى أَنْ يَعْمَلُوا أَعْمَالًا صالِحَةً لِيَحْضُلُوا على قبولِ الله، وهو التشويهِ نَفْسُهُ الذي حَدَرَ الرسولُ بولسُ أَهْلَ غلاطيّةٍ بِشَأْنِهِ.

نحتاج اليوم إلى الإصغاء إلى التحذيرِ نَفْسِهِ، وَأَنْ نَتَأَكَّدَ من أَنَّنا نتمسّك بقوةِ الإنجيلِ الحقيقيِّ. قد يَسْهُلُ علينا وعلى كنائسنا تشويهُ إنجيلِ يسوع المسيح، فقد نَسْمَعُ في بعض الأحيان أَنَّنا نحتاج إلى أَنْ نَكُونُ صالحين إلى درجةٍ تكفي لنوالِ بَرَكَاتِهِ، أو أَنَّ الإنجيلَ يَعِدُ ليس فقط بمغفرةِ الخطايا، بل يَعِدُ أيضًا بالصحّةِ والثروة. نحتاج إلى رَسْمِ صورةٍ واضحةٍ في أذهاننا في ما يتعلّقُ بحقيقةِ مضمونِ رسالةِ الإنجيل، كما يَجِبُ أَنْ نُحَامِيَ عنه وَأَنْ نَضْمَنَ نقاوةَ مضمونه. وللقيامِ بذلك، ضروريٌّ أَنْ نَعْرِفَ الإنجيلَ جيّدًا.

رسالة الإنجيل

نستطيع أَنْ نَجِدَ مَقَاطِعَ كثيرةً في الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ تَتَحَدَّثُ عن الإنجيل، لكننا نَجِدُ أَوْضَحَ إعلَانٍ لرسالةِ الإنجيلِ وأَكْثَرَهَا إيجازًا في 1 كورنثوس 15: 1-8. ولكن، قَبْلَ أَنْ نَتعمَّقَ في تلكِ الآياتِ، لِنُعَايِنَ بإيجازٍ طريقةَ تفكيرِ الرَّبِّ يسوع بشأنِ الإنجيل. عندما نُفَكِّرُ في الأسفارِ الأربعةِ الأولى من العهدِ الجديدِ، لا نُفَكِّرُ فقط في «الأناجيل» الأربعة - أي متى ومرقس ولوقا ويوحنا - بل نَتَكَلَّمُ عن الإنجيلِ وَفَقًا للبشيرِ متى أو الإنجيلِ وَفَقًا للبشيرِ لوقا. يُوجَدُ لدينا أربعة «أناجيل»، وهي في الحقيقة ليست

«أناجيل» مُخْتَلِفَة، بل هي أربع «رواياتٍ» مُخْتَلِفَة عن إنجيلٍ واحدٍ هو «إنجيل يسوع المسيح».

ذَكَرَ البشير متى في مُناسبتين أَنَّ الربَّ يسوع كان يُعَلِّمُ في مَجَامِعِ المدن والقرى «وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ» (متى 4: 23؛ 9: 35). قال الربُّ يسوع أيضًا: «وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الْأُمَمِ» (متى 24: 14). يُوجَدُ ارتباطٌ ما بين الإنجيل والملوك لأنَّ الإنجيل هو إنجيل الملوك.

يَتَضَحُّ هذا الارتباط أَكْثَرَ في إنجيل مرقس. حيث يبدأ البشير مرقس إنجيله على النحو الآتي: «بَدَأَ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ» (مرقس 1: 1). إِنَّ إِنْجِيلَ مَرْكُسَ كُلُّهُ هُوَ «إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»؛ ولكن ما جوهر هذا الإنجيل؟ يُخْبِرُنَا البشير مرقس في الآيتين 14 و15 قائلًا: «وَبَعْدَ مَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللَّهِ وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَأَقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالْإِنْجِيلِ»».

أَعْلَنَ يَسُوعُ الْإِنْجِيلَ، وَأَخْبَرَنَا مَرْكُسُ بِالتَّحْدِيدِ بِشَأْنِ مَا هِيَ هَذَا الْإِعْلَانُ: مَلَكُوتُ اللَّهِ قَرِيبٌ. إِنَّ إِنْجِيلَ اللَّهِ هُوَ الْبِشَارَةُ أَنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ قَدْ أَتَى؛ فَقَدْ جَرَى افْتِتَاحُ الْمَلَكُوتِ. أَتَى الْمَلَكُوتُ بِسَبَبِ حُضُورِ الرَّبِّ يَسُوعَ، مَلِكِهِ. إِنَّ حُكْمَ الْمَلِكِ - الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ - الَّذِي عَيَّنَهُ اللَّهُ وَسَيَادَةُ ذَلِكَ الْمَلِكِ، يُمَثِّلَانِ الدَّلِيلَ عَلَى اقْتِرَابِ مَلَكُوتِ اللَّهِ. شَهِدَ مَرْكُسُ فَوْرًا عَنْ حُكْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ بِتَسْلِيْطِ الضَّوْءِ عَلَى السُّلْطَانِ الَّذِي رَافَقَ تَعْلِيمَ الرَّبِّ يَسُوعَ (مرقس 1: 22 و27)، وَعَلَى سُلْطَانِهِ عَلَى الْأَرْوَاحِ الشَّرِّيرَةِ (مرقس 1: 23-26)، وَعَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى الشِّفَاءِ (مرقس 1: 30-34).

الإنجيل إذًا هو الخبر السارُّ الذي يقول إنَّ ملكوت الله قد أتى، لأنَّ مَلِكَهُ قد جاء. إنَّها الأخبارُ السارَّةُ المختصَّةُ بحقيقة أنَّ المَلِكَ سَيَمْلِكُ وَيَحْكُمُ، وَيُبَدِّدُ قُوَى الشَّرِّ وَيَجْلِبُ الْبِرَّ إِلَى الْأَرْضِ. وبطبيعة الحال، يَبْلُغُ كُلُّ مِنَ الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ ذُرُوتَهُ عِنْدَ مَوْتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَقِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. لَا يَأْتِي مَلَكُوتُ اللَّهِ بِمَجْرَدِ حُضُورِ يَسُوعَ الْجَسَدِيِّ، بَلْ يَأْتِي عَلَى نَحْوٍ وَاضِحٍ بِوَاسِطَةِ مَوْتِهِ عَنِ الْخَطِيئَةِ وَقِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ؛ أَيِ الْإِنْتِصَارِ عَلَى الْمَوْتِ.

وقد أَوْضَحَ الرَّسُولُ بُولُسُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فِي رُومِيَّةِ 1: 1-4، حِينَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ: «الْمُفَرِّزُ لِأَنْجِيلِ اللَّهِ... عَنِ ابْنِهِ. الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ، وَتَعَيَّنَ ابْنُ اللَّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبَّنَا». كَانَ يَسُوعُ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ ابْنُ دَاوُدَ الْمَوْعُودِ بِهِ الَّذِي سَيَقِيُمُهُ اللَّهُ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ (مزمور 2)، وَقَدْ تَبَرَّهَنَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ الْحَقِيقِيُّ بِقِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. فَهُوَ ابْنُ دَاوُدَ وَابْنُ اللَّهِ الَّذِي سَيُثَبِّتُ مُلْكُهُ إِلَى الْأَبَدِ (2 صموئيل 7: 14-16).

وَالآنَ، نَسْتَطِيعُ الرُّجُوعَ إِلَى 1 كُورِنْثُوسِ الْأَصْحَاحِ 15 لِنَتَكْوِينَ الْمَفْهُومَ الْمُتَكَمِّلَ عَنِ صِيَاجَةِ الرَّسُولِ بُولُسِ الْوَاضِحَةِ الْمَوْجِزَةِ لِلْإِنْجِيلِ.

«وَأَعْرِفُكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقَوَّمُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيَّ كَلَامٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثًا! فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الْأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ. وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِيَصِفَا نَحْنُ لِلْإِثْنَيْنِ عَشَرَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ

ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لَأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَحْ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الْآنَ. وَلَكِنَّ
بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا. وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ. وَآخِرَ
الْكُلِّ - كَأَنَّهُ لِلْسَّقَطِ - ظَهَرَ لِي أَنَا. 1 كورنثوس 15: 8-1

نستطيع المشاركة بالكثير من التفاصيل استنادًا إلى هذه الفقرة الكتابية، لكن سنقتصر في شرحنا على سبع حقائق أساس:

1. **الإنجيل يُخَلِّصُ.** سبق أن رأينا هذا الأمر في رومية 1: 16 كما نلاحظه هنا أيضًا. يُذَكِّرُ الرسولُ بولس أهل كورنثوس بالإنجيل الذي «بِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ» (1 كورنثوس 15: 2)، فقد خَلَّصْنَا بالإيمان؛ وخلصنا كامل. ولكن يَتَّضِحُ لنا في هذا المَقْطَعِ، أَنَّ الفعل المُسْتخدَمَ هو في صيغة المضارع وليس صيغة الماضي. لا يقول الرسول بولس هنا، إِنَّا قَدْ خَلَّصْنَا بِالْإِنْجِيلِ (كما قال في أفسس 2: 9)، بل إِنَّا نَخْلُصُ بِالْإِنْجِيلِ.

كَتَبَ الرسولُ بولس هذه الرسالة إلى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ احتاجوا إلى الإنجيل في كُلِّ يوم. ونحن أَيْضًا نحتاجه في كُلِّ يوم. يُخَلِّصُنَا الْإِنْجِيلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ ليس فقط يوم الدينونة، بل أَيْضًا يُخَلِّصُنَا مِنْ فَشَلِنَا اليوميِّ فِي الْعِيشِ مِنْ أَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ، أَيِ مَنْ فَشَلْنَا فِي الْخُضُوعِ الْكَامِلِ لِمَسِيحِ اللَّهِ، مَلِكِنَا. يُخَلِّصُنَا الْإِنْجِيلُ مِنْ إِنْسَانَا الْعَتِيقِ الَّذِي يَسْعَى إِلَى إِفْسَادِنَا (أفسس 4: 22) بواسطة إغرائنا لانتزاع عرش المسيح (الذي في قلوبنا) فِي اسْتِقْلَالِيَّةٍ مُتَمَرِّدَةٍ. لا ينبغي أَنْ نُؤْمِنَ بِالْإِنْجِيلِ ثُمَّ نَضَعَهُ جَانِبًا لِأَنَّا نَضْجُنَا أَوْ لِأَنَّا نحتاج إلى أَمْرٍ آخَرَ. الْإِنْجِيلُ يُخَلِّصُنَا، الْيَوْمَ! نحتاج جميعًا إلى الْإِنْجِيلِ فِي هذه اللحظة، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَقُومُ فِيهِ وَنَتَمَسَّكُ بِهِ.

2. **لِلْإِنْجِيلِ أَهْمِيَّتُهُ الْأُولَى.** إِنَّ كُلَّ مَا قَدْ كَتَبَهُ الرَّسُولُ بُولُسَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الرِّسَالِاتِ مُهِمٌّ، لَكِنَّ الرَّسُولَ بُولُسَ أَرَادَ هُنَا أَنْ يُوضِّحَ لِأَهْلِ كُورِنْثُوسَ أَنَّ الْإِنْجِيلَ يَنْتَمِي إِلَى فِتْنَةٍ خَاصَّةٍ. وَمَا يَقُولُهُ الرَّسُولُ بُولُسَ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ هُوَ لَيْسَ فَقَطْ أَنَّ الْإِنْجِيلَ مُهِمٌّ، بَلْ أَيْضًا أَنَّ لَهُ الْأَهْمِيَّةَ الْأُولَى (1 كُورِنْثُوسَ 15: 3). لِلْإِنْجِيلِ الْأَهْمِيَّةُ الْأُولَى، لَيْسَ فَقَطْ لِأَنَّهُ الْأَخْبَارُ السَّارَّةُ، بَلْ أَيْضًا لِأَنَّهُ أَفْضَلُ خَبَرٍ سَارٍّ بَلَا اسْتِثْنَاءٍ، فَقَدْ جَاءَ مَلَكُوتُ اللَّهِ، وَتَوَجَّحَ مَلِكُهُ، وَهَذَا الْمَلِكُ يَمْلِكُكَ عَنْ يَمِينِ الْآبِ. سَبَقَ أَنْ لَاحَظْنَا أَهْمِيَّةَ الْإِنْجِيلِ فِي الرِّسَالَةِ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةَ، لِأَنَّهُ إِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِإِنْجِيلٍ آخَرَ غَيْرِ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَسَيَكُونُ مَلْعُونًا. وَلَئِنْ لِلْإِنْجِيلِ الْأَهْمِيَّةَ الْأُولَى، فَإِنَّ فَهْمَنَا لَهُ عَلَى نَحْوِ صَحِيحٍ أَوْ خَاطِئٍ هُوَ أَمْرٌ مُهِمٌّ جَدًّا.

نَجِدُ الْكَثِيرَ مِنَ الْعُقَائِدِ الْآخَرَى الْمُهِمَّةِ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ لَهَا الْأَهْمِيَّةُ الْأُولَى. مَثَلًا، إِنْ كُنَّا يَجِبُ أَنْ نَعْمَدَ الْأَطْفَالَ أَمْ نَعْمَدَ فَقَطِ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ أَمْرٌ مُهِمٌّ، وَلَكِنَّا لَا نُعْطِيهِ الْأَهْمِيَّةَ الْأُولَى. لِلْإِنْجِيلِ أَهْمِيَّتُهُ الْأُولَى لِأَنَّ الْكَثِيرَ يَقَعُ عَلَى الْمَحْكِّ نَتِيجَةً لَذَلِكَ.

3. **الْإِنْجِيلُ هُوَ الْأَخْبَارُ السَّارَّةُ عَنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.** نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْجِيلَ هُوَ الْأَخْبَارُ السَّارَّةُ وَالْمَعْنَى الْحَقِيقِيُّ لِكَلِمَةِ «الْإِنْجِيلِ» هُوَ: الْبَشَارَةُ (الْبُشْرَى). مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، قَامَ الرَّسُولُ بُولُسَ لَيْسَ فَقَطْ بِالتَّعْلِيمِ عَنْ الْإِنْجِيلِ أَوْ التَّكَلُّمِ عَنْهُ، بَلْ أَيْضًا بِبَشَرِهِ. تَتَمَحَوَّرُ الْأَخْبَارُ السَّارَّةُ هَذِهِ حَوْلَ يَسُوعَ، بِنَاءً عَلَى قَوْلِ الرَّسُولِ بُولُسَ فِي الْآيَتَيْنِ 3 وَ4: «فَإِنِّي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الْأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ... وَأَنَّهُ دُفِنَ وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ.» يَخْتَصُّ الْإِنْجِيلُ بِيَسُوعَ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ خَبَرٍ سَارٍّ يُمَكِّنُ أَنْ نَحْصَلَ عَلَيْهِ. قَدْ جَاءَ مَلِكُنَا وَانْتَصَرَ.

4. **الإنجيل هو حَدَثٌ تاريخيٌّ.** أي أنَّ أحداث الإنجيل قد حَدَثَتْ حقًّا؛ فقد مات يسوع ودُفِنَ وقام من بين الأموات، كما ظهرَ الربُّ يسوع لكثيرين. قد يقول بعض الناس إنَّ يسوعَ لم يَمُتْ، ولكن بدا ظاهريًّا فقط أنَّه مات. وقد يقول آخرون إنَّه لم يَقُمْ جسديًّا من القبر، بل قام روحيًّا فقط. ولكن لكي يَكُونُ الإنجيلُ إنجيلًا، فهو يَتطلَّبُ أن يَكُونَ موْتُ يسوع حقيقيًّا وأن تَكُونَ قيامته من بين الأموات حقيقيَّةً أيضًا. لقد مات يسوع حقًّا وقام حقًّا! نَسْجُلُ الأناجيل أحداثًا تاريخيَّةً وليس مجرد قصصٍ خياليَّةٍ، وسواء أصدَّقها شخصٌ ما أم لم يُصدِّقها، فهذا لا يغيِّرُ مِنْ حقيقة حدوثها.

وحيث إنَّ الإنجيلَ تاريخيٌّ، فإنَّنا نستطيع أن نتحقَّقَ من دقَّة تلك الأحداث وحقيقة حدوثها، كما هي الحال مع أيِّ حَدَثٍ تاريخيٍّ، إذ نستطيع أن نَدْرُسَه ونَجِدَ الأدلَّةَ على حدوثه. عَرَضَ الرسول بولس دفاعه عن صحَّة الإنجيل عندما ذَكَرَ جميعَ الأشخاص الذين ظهرَ لهم الربُّ يسوع بَعْدَ قيامته، ويَشْمَلُ ذلك مؤمنين آخرين غير الرسل بلَغَ عَدَدُهُم خمسمئة شخص، كان مُعظَمُهُم على قَيْدِ الحياة عندما كَتَبَ الرسول بولس رسالته إلى أهل كورنثوس (الآية 6). لماذا ذَكَرَ الرسول بولس أنَّ أولئك الإخوة كانوا ما زالوا على قَيْدِ الحياة آنذاك؟ الإجابة: لأنَّه بهذه الطريقة، كان يَتحدَّى الذين شَكَّكوا في صحَّة الإنجيل أن يَبْحَثُوا عن أيِّ شخصٍ منهم ليسألوه. لا شكَّ أنَّ شهودَ العيان جميعهم قد أَصْبَحُوا أمواتًا اليوم، لكنَّنا ما زلنا نحفظ بشهاداتهم، فنحن نَمْلِكُ السجَّلات التي تُدَوِّنُ رواياتهم بصفتهم شهودَ عيانٍ في الأناجيل وفي رسائل الرسول بولس.

5. **الإنجيل حقيقةٌ لاهوتيَّة.** هذه الحقيقة هي أنَّ «المسيح مات مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا» (الآية 3). إنَّها خمسُ كلماتٍ فقط، لكنَّها تَحْمِلُ معنًى أَعْمَقَ ممَّا قد يَعْرِفُه مُعظَمُنا. وقد سَمِعَ ليثُ هذه العبارة مِنْ قَبْلُ، ومع

ذلك لَمْ يُدْرِكْ معناها. عندما نفهم هذه الكلمات الخمس في ضوء ما يقوله الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عن الخطيئة والموت، يَتَّضِحُ لنا الأمر؛ فقد دخلتِ الخطيئة إلى الْعَالَمِ بواسطة آدَمَ وَحَوَّاءَ، ومع الخطيئة جاء الموت. لهذا كان لازماً على المسيح أَنْ يَمُوتَ، حيث لَمْ يَكُنْ مُمَكِّناً أَنْ يَرْفَعَ عقوبةَ خطيئتنا عَنَّا مِنْ دُونِ أَنْ يَتَحَمَّلَ هو بِنَفْسِهِ هذه العقوبة. إِنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هي موت (رومية 6: 23)، وَمِنْ ثَمَّ، كان لا بُدَّ للمسيح أَنْ يَمُوتَ.

تُظْهِرُ هذه العبارة البسيطة- «الْمَسِيحُ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا»- أَنَّنَا خطاة، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا يستحقُّ الموتَ بسبب خطاياه، كما أَنَّهَا تَتَطَرَّقُ إلى طبيعة الكفَّارة، وتُشِيرُ إلى مَقَاطِعِ رِئِيسَةِ في العهد القديم مثل اللاويين في الأصحاحين 4 و16، كما تُشِيرُ على نحوٍ خاصٍّ إلى إشعياء 53: 6 الذي يقول: «وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ أَثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبُخْبَرُهُ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا».

هَزَمَ الرَّبُّ يَسُوعَ- بموته وقيامته- قوَى الظلام، وانتَصَرَ على كُلِّ مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ ضِدَّ اللَّهِ. إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ هو المنتصر النهائي والغالب الأعظم. صحيحٌ أَنَّ يَسُوعَ وَضَعَ لَنَا بموته مِثَالاً لِنَسِيرَ فِيهِ، وَلَكِنْ بِنَاءً عَلَى قول الرسول بولس في 1 كورنثوس 15: 3، فَإِنَّ مَوْتَ الْمَسِيحِ يَحْمِلُ أَبَداً أَعَمَّقَ بكثير؛ إذ هو مات بدلاً مِنَّا لِيَتَحَمَّلَ عقوبةَ خطايانا. هذا هو جوهر الإنجيل. ولا يُوجَدُ إنجيلٌ مِنْ دُونِ مَوْتِ الْمَسِيحِ وقيامته مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا.

6. **الإنجيل شخصي.** لَمْ يَمُتِ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا عَمُومًا، بل ماتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا. يجدر بنا عدم التغاضي عن هذه الحقيقة. إِنَّ رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ هي لك ولكُلِّ الْخَطَاةِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. اصرِفِ الْوَقْتَ لِإِضْفَاءِ

الطابع الشخصي على الإنجيل، وأَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ خطاياك قد سُمِّرَتْ على الصليب. فقد مات يسوعُ الموتَ الذي كُنْتَ أَنْتَ سَتَمُوتُهُ، ودَفَعَ ثَمَنَ عقوبتك وتَحَمَّلَ عَارَكَ. غَفَرَ اللَّهُ خطاياك وليس ذلك فقط، بل إِنَّكَ أَصْبَحْتَ ابْنًا لِلَّهِ بالتبني، وبات الروح القدس يحيا فيك. مات المسيح مِنْ أَجْلِكَ لأنه يريدك ولأنَّه يُحِبُّكَ، وتستطيع أَنْ تنضمَّ إلى الرسول بولس الذي قال: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَا الْآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَا فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لَأَجْلِي» (غلاطية 2: 20).

7. **الإنجيل كتابي.** يقول المَقْطَعُ الكتابي في 1 كورنثوس 15 إِنَّ «الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ... وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ» (الآيتان 3 و4). لَمْ يَجْلِسْ يسوعُ مع تلاميذه للتوصل إلى خُطَّةٍ جَيِّدَةٍ للخلاص. فقد تَنَبَّأتِ الْأَسْفَارُ الْمُقَدَّسَةُ عن موت المسيح وقيامته من بين الأموات منذ قديم الزمان، وَقَبْلَ أَنْ يَصِيرَ «الكلمة» الإلهي إنسانًا، كما أَعْلَنْتْ تلك الأسفار عن انتصار مسيحِ اللَّهِ، ابنِ داود، على أعدائه.

انضمَّ الربُّ يسوع، بَعْدَ قيامته، إلى اثنين من تلاميذه بينما كانا يسيران من أورشليم في اتجاه عمواس. كان التلميذان مَكْتَبَيْنِ وَحَزِينَيْنِ لأنَّ يسوع- الذي اعتقد الجميع أَنَّهُ المسيحُ الموعود به- قد مات، وَأَنَّهُ قد قُتِلَ. عندما رآهما الربُّ يسوع، لَمْ يصرخ: «مرحبًا يا رفاق، هذا أنا!» كما أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ لهما: «أيُّها الغبيَّان والبطيَّان القلوب في الإيمان بجميع ما تكلَّمْتُ به عندما كنْتُ معكم. إِذْ قُلْتُ لَكُمْ حينها إِنِّي سَأَمُوتُ، ثُمَّ سَأَقُومُ من بين الأموات بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ».

ولكنه قال لهما: «أَيُّهَا الْغَيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟». ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ (لوقا 24: 25-27). وَبَخَّ الرَّبُّ يَسُوعَ التَّلَامِيذِينَ بِسَبَبِ عَدَمِ إِيْمَانِهِمَا بِالْكَتَبِ الْمُقَدَّسَةِ، أَيْ بِمَا سَبَقَ أَنْ أَعْلَنَهُ الْأَنْبِيَاءُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، ثُمَّ قَادَهُمَا بِوَسْطَةِ الْكَتَبِ الْمُقَدَّسَةِ لِيَفْهَمَا كُلَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كُتِبَتْ عَنْهُ.

نستطيع قول الكثير عن الإنجيل، لكننا رَكَّزْنَا فِي كَلَامِنَا هُنَا عَلَى أَنَّ الْإِنْجِيلَ:

1. يُخَلِّصُ
2. لَهُ الْأَهْمِيَّةُ الْأُولَى
3. هُوَ الْأَخْبَارُ السَّارَّةُ عَنْ يَسُوعَ
4. حَدَّثَ تَارِيخِي
5. حَقِيقَةُ لَاهُوتِيَّةٍ
6. شَخْصِيٌّ
7. كِتَابِيٌّ

ما جوهر الإنجيل؟ الإجابة: الإنجيل هو الأخبار السَّارَّةُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ الْمَوْعُودُ بِهِ الَّذِي مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا، وَقَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ وَفَقًّا لِلْكَتَبِ الْمُقَدَّسَةِ حَتَّى يَنَالَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ الْخَلَاصَ، وَيَرِثَ مَلَكُوتَ اللَّهِ (1 كورنثوس 15: 50).

كيف نتجاوب مع الإنجيل؟

يستخدم الرسول بولس في 1 كورنثوس 15: 1-8 عددًا من الأفعال المختلفة للإشارة إلى أن الإنجيل يأتي إلينا ويخرج منا. يَجِبُ أَنْ يُبَشَّرَ بِهِ (الآية 1) وَأَنْ يُسْتَقْبَلَ (الآيتان 1 و3) وَأَنْ نَثْبُتَ أَوْ نَقُومَ فِيهِ (الآية 1) وَأَنْ نَتَمَسَّكَ بِهِ (الآية 2) وَأَنْ نُصَدِّقَهُ (الآية 2) وَأَنْ يُسَلَّمَ إِلَى الْآخَرِينَ (الآية 3).

كيف نتجاوب إذاً مع الإنجيل؟ أولاً يجدر بنا أن نَسْتَقْبِلَهُ وَنُؤْمِنَ بِهِ. بناءً على رومية 10: 9-13، فَإِنَّهُ حَتَّى نَخْلُصَ، لَا بَدَّ لَنَا مِنَ الاعتراف بأنَّ يسوعَ هو الربِّ، وَأَنْ نُؤْمِنَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. إِنَّ الِاسْتِجَابَةَ الْأُولَى هِيَ الْإِيمَانُ. لَا نَحْصُلُ عَلَى الْإِنْجِيلِ بِأَعْمَالِنَا الصَّالِحَةِ، وَلَكِنْ عَلَيْنَا فَقَطْ أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ. وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِنَاءً عَلَى الْآيَةِ فِي رومية 3: 28 التي تشير إلى «... أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالْإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ». نُؤْمِنُ بِرِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ عَنْ أَنْفُسِنَا (التي تقول إِنَّا خَطَاةٌ)، وَنُؤْمِنُ بِرِسَالَتِهِ عَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ (التي تقول إِنَّهُ مُخَلِّصُنَا بِوَاسِطَةِ مَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ)، وَنَخْضَعُ بِالتَّوْبَةِ عَنْ خَطَايَانَا، وَنَضَعُ ثِقَتَنَا فِي يَسُوعَ.

بَعْدَ أَنْ نَقْبَلَ الْإِنْجِيلَ وَنُؤْمِنَ بِهِ، نَثْبُتُ فِي الْإِنْجِيلِ وَنَتَمَسَّكَ بِهِ. كَمَا لَاحِظُنَا سَابِقًا، فَإِنَّ الْإِنْجِيلَ يُخَلِّصُ (بصيغة المضارع). لَيْسَ الْإِنْجِيلُ عِلَاجًا نَتَنَاوَلُهُ مَرَّةً وَاحِدَةً وَلَا نَفْكَرُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَقْبَلَ الْإِنْجِيلَ وَنَثِقَ بِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ. هَذَا هُوَ مَعْنَى الثَّبَاتِ فِي الْإِنْجِيلِ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ. أَيُّ أَنَّنَا نَرْفُضُ فِي كُلِّ يَوْمٍ الِاعْتِمَادَ عَلَى أَعْمَالِنَا لِنَنَالَ قَبُولَ اللَّهِ لَنَا، وَلَكِنْ نَثِقُ بِمَوْتِ يَسُوعَ وَقِيَامَتِهِ، وَنَخْضَعُ لَهُ بِوَصْفِهِ رَبًّا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَثِقُ بِهِ لِلْخَلَاصِ. نَطِيعُ مَلِكَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَعِيشُ لِمَلِكُوتِهِ.

لَكُنَّا لَا نَتَمَسَّكُ بِالْإِنْجِيلِ مِنْ أَجْلِ أَنْفُسِنَا فَقَطْ، وَإِنَّمَا نُسَلِّمُهُ إِلَى الْآخَرِينَ أَيْضًا بِوِاسْطَةِ مُشَارَكَةِ الْأَخْبَارِ السَّارَّةِ. عِنْدَمَا نُوْمِنُ، نَصِيرُ خَلِيقَةً جَدِيدَةً مُتَصَالِحَةً مَعَ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ (2 كورنثوس 5: 17). وَبَعْدَ أَنْ نَخْتَبِرَ هَذِهِ الْمُصَالِحَةَ، نَصِيرُ - كَمَا قَالَ الرَّسُولُ بُولُسُ - سَفَرَاءَ الْمَسِيحِ: «كَأَنَّ اللَّهَ يَعْظُمُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللَّهِ» (2 كورنثوس 5: 20). يَصِلُ الْإِنْجِيلُ إِلَيْنَا، وَلَكِنَّهُ لَا يَبْقَى عِنْدَنَا، بَلْ يَنْتَقِلُ مِنَّا نَحْوَ الْآخَرِينَ. تُغَيِّرُنَا رِسَالَةُ الْإِنْجِيلِ بِحَيْثُ تُصَيِّحُ رَغَبَاتِ اللَّهِ هِيَ رَغَبَاتُنَا. وَاللَّهُ «يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ» (1 تيموثاوس 2: 4). إِنَّ إِحْدَى الْعَلَامَاتِ الَّتِي نَتَأَكَّدُ بِوِاسْطَتِهَا أَنَّنَا نَتَّبْتُ حَقًّا فِي الْإِنْجِيلِ هِيَ عِنْدَمَا تَكُونُ فِينَا تِلْكَ الرِّغْبَةُ نَفْسُهَا.

سَنَتَمَقَّقُ فِي الْجُزْءِ التَّالِي فِي الْكَلَامِ عَنِ الْكِيفِيَّةِ الَّتِي أَعْلَنَ بِهَا الرَّسُلُ الْإِنْجِيلَ لِلْجُمَاهِيرِ الْمُخْتَلِفَةِ حَتَّى يَتَوَضَّحَ لَهُمْ مَعْنَاهُ عَلَى نَحْوِ أَفْضَلٍ. إِنَّ الْإِنْجِيلَ هُوَ رِسَالَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنْ تُوجَدُ أَسَالِيبُ عِدَّةٌ لِإِعْلَانِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ. شَارَكُنَا فِي الْمُلْحَقِ الْأَوَّلِ أَحَدَ الْأَسَالِيبِ لِإِخْبَارِ قِصَّةِ الْإِنْجِيلِ، وَذَلِكَ بِوِاسْطَةِ تَتَبُّعِ مَوْضُوعِ الذَّبِيحَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ وَصَوْلًا إِلَى الْمَسِيحِ.

السَّيْرُ فِي «دَرْبِ الْإِيمَانِ»

1. اقْرَأُ يُوحَنَّا 14: 6 وَأَعْمَالُ الرَّسُلِ 4: 21. بِنَاءً عَلَى مَا تَعَلَّمْنَاهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ عَنِ الْإِنْجِيلِ، لِمَاذَا مِنْطَقِي أَنْ يَكُونَ الرَّبُّ يَسُوعُ الطَّرِيقَ الْوَحِيدَ لِلَّهِ؟

2. مَا الَّذِي يَعْوِّظُكَ عَنْ مُشَارَكَةِ الْإِنْجِيلِ عَلَى نَحْوِ أَكْثَرٍ مَعَ الْآخَرِينَ؟ كَيْفَ تَسْتَطِيعُ التَّغْلُبُ عَلَى هَذِهِ الْعَوَاقِقِ؟ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَاعِدَكَ؟

3. اكتبِ اختبارك أو قصة إيمانك بيسوع. كيف كانت حياتك قَبْلَ أَنْ
تَتَعَرَّفَ على يسوع؟ كيف وَصَلَتْكَ الأخبارُ السارة؟ وما الذي تَغَيَّرَ في
حياتك بَعْدَ إيمانك؟

4. مع مَنْ سَتُشَارِكِ اختبارك أو رسالة الإنجيل في هذا الأسبوع؟

الفصل الرابع الجزء الثاني

إيضاح رسالة الإنجيل

سأل عبد الرحمن: «ما هي زبدة الإنجيل؟»

عبد الرحمن رَجُلٌ مُتَدَيِّنٌ جَدًّا، وهو جادٌ في صلاته إذ كان يُصَلِّي خمس مَرَّاتٍ في اليوم في المسجد، لدرجة أنه نَقَلَ مكانَ سَكْنِهِ لِيَكُونُ أَقْرَبَ إلى المسجد. كان يستمتع بالحديث عن الإسلام مع جاره الوحيد المسيحي، أبو يوسف. تَحَدَّثَا عن جوهر الإسلام أي «الشهادتين» وهما: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ومُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ». وأراد أن يَعْرِفَ رَدَّ أبي يوسف على سؤاله: «ما هي زبدة الإنجيل؟».

لَمْ يَتَوَقَّعْ أبو يوسف مِثْلَ هذا السؤال من جاره، لكنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ عن حياة يسوع وموته، فتَدَكَّرَ أبو يوسف فورًا الشاهدَ الكتابيَّ من يوحنا 3: 16 الذي يُمَثِّلُ جوهرَ الإنجيل. وَبَرِدَ نَصُّ هذه الآية في ترجمة «الكتاب الشريف» كما يلي: «أَحَبَّ اللَّهُ كُلَّ النَّاسِ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ يَنَالَ حَيَاةَ الْخُلُودِ». عَلِمَ أبو يوسف أَنَّ عبد الرحمن لن يَتَقَبَّلَ بسهولة الإصغاء لمضمون هذه الآية، وقد أصاب في اعتقاده هذا. اعترَضَ عبد الرحمن مُباشرةً، مُشيرًا إلى أَنَّ

اللَّهُ ليس له ابنٌ، مُقْتَبِسًا من القرآن: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (سورة الإخلاص 1-4).

ومع أنَّ الأحاديث لَمْ تَنْقُطْ بين هَذَيْنِ الْجَارَيْنِ، فَإِنَّهُمَا لَمْ يُنَاقِشَا مَحَبَّةَ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ أَوْ الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي نَنْجُو بِهَا مِنَ الدِّينُونَةِ وَنَحْضُلُ عَلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَتَحَدَّثَا فَقَطْ عَمَّا إِذَا كَانَتْ تَسْمِيَةُ الرَّبِّ يَسُوعَ بَلَقِبِ «ابنِ اللَّهِ» تُحَسِّبُ تَجْدِيفًا أَمْ لَا.

إِنَّ الْإِيمَانَ بِأَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ هُوَ أَمْرٌ مَحَوْرِيٌّ لِإِيمَانِنَا. وَلَكِنْ، هَلْ هُوَ الْأَمْرُ الْأَوَّلُ الَّذِي يَجْدُرُ بِنَا مُنَاقَشَتَهُ مَعَ الَّذِينَ تَعَلَّمُوا أَنَّ الْمَسِيحِيِّينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ أَقَامَ عِلَاقَةً جَنْسِيَّةً مَعَ مَرْيَمَ الْعِذْرَاءِ فَحَبَلَتْ بِابْنٍ؟ قَدْ تَسَاهَمَ أُمُورٌ عَدَّةٌ فِي حَبْجِ حَقِيقَةِ الْإِنْجِيلِ، حَتَّى الْأُمُورِ الصَّحِيحَةِ مِنْهَا. اسْتَصْعَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، بَعْدَ سَمَاعِهِ عِبَارَةَ «ابْنِ اللَّهِ»، أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَى أَيِّ كَلَامٍ آخَرَ قَبْلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ الْحَوَارِ مَعَ جَارِهِ.

رَأَيْنَا فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ أَنَّ الْإِنْجِيلَ هُوَ الْأَخْبَارُ السَّارَّةُ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا، وَأَنَّهُ قَامَ مِنَ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ حَسَبَ الْكُتُبِ، حَتَّى يَنَالِ الْخَلَاصَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ. عِنْدَمَا نُعْلِنُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ لِلآخَرِينَ، قَدْ لَا يَفْهَمُهَا مَعْظَمُ السَّامِعِينَ. قَدْ يَتَسَاءَلُونَ: «مَنْ هُوَ يَسُوعُ؟ لِمَاذَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ؟ مَا الْمَقْصُودُ بِكَلِمَةِ «الْخَطِيئَةِ»؟ كَيْفَ قَامَ يَسُوعُ مِنَ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ؟ مَا الْكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ؟ مَاذَا يَعْنِي أَنْ تُؤْمِنَ؟ نَحْلُصُ مِنْ مَاذَا؟ قَدْ تَمَنَعُ هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ أَوْ غَيْرَهَا أَحَدَهُمْ - حَسَبَ نَوْعِيَّةِ الشَّخْصِ الَّذِي نُشَارِكُ الْإِنْجِيلَ مَعَهُ - مِنْ أَنْ يَفْهَمَ أَوْ أَنْ يَتَّخِذَ لِحَقِّهَا خُطْوَةَ الْإِيمَانِ.

كَيْفَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُشَارِكَ رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ عَلَى نَحْوٍ دَقِيقٍ وَمَفْهُومٍ؟ أَكْذُنَا فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ كَلَامَ الرِّسُولِ بُولُسَ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَا

يُوجَدُ سوى إنجيلٍ واحدٍ فقط (غلاطية 1: 7). ونرغب في أن نُضَيِّفَ في هذا الفصل أنه بينما لا يُوجَدُ سوى إنجيلٍ واحد، فإنه تُوجَدُ أساليبٌ عدَّةٌ لمُشاركة هذا الإنجيل. تَوَلَّدَ لدى الذين من خارج الكنيسة الكثير من المفاهيم الخاطئة عن يسوع وعن الإنجيل، وتكوَّنت لديهم أفكارٌ مختلفة بشأن هُويَّةِ الله وكيفية قبوله لنا. عندما نعلِنُ الإنجيلَ من دُونِ أن نُخَصِّصَ الوقتَ الكافي لتفهيمِ وجهةِ نظرٍ من هُم خارج الكنيسة، فقد يُنتِج ذلك رَفَضَهُم للرسالة، ليس بسبب يسوع ولكن بسببنا. لا تكفي الكرازة بالأخبار السارة؛ بل يَجِبُ أيضًا أن يُسْتَمَعَ إليها وأن تُصدَّقَ (رومية 10: 14). ولكن كيف يُؤْمِنُ المستمعون إذا لم يفهموا؟

لماذا مهمُّ أن تكونَ رسالةُ الإنجيل مفهومة؟

يُصِرُّ كثيرون على التركيز فقط على الكرازة بالإنجيل، أي أن نعلِنَ موتَ يسوع المسيح وقيامته من بين الأموات، وأن ندعوَ الناس إلى الإيمان. فهل هناك ما هو أكثرُ أهميَّةً من ذلك؟ نريد بالتأكيد أن نركِّزَ على إعلان الأخبار السارة لكن يجدر بنا أيضًا التركيز على أساليبِ كرازتنا وطريقتها. كَتَبَ الرسول بولس في كولوَسِّي 4: 3-4 الكلمات الآتية: «مُصَلِّينَ فِي ذَلِكَ لِأَجْلِنا نَحْنُ أَيْضًا، لِيَفْتَحَ الرَّبُّ لَنَا بَابًا لِلْكَلامِ، لِنَتَكَلَّمَ بِسِرِّ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنَا مُوثَّقٌ أَيْضًا، كَيْ أَظْهَرَهُ كَمَا يَجِبُ أَنْ أَتَكَلَّمَ.»

أراد الرسول بولس أن يُعلِنَ إنجيلَ يسوع، فطلَّبَ من المؤمنين في كولوَسِّي أن يُصَلُّوا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ بَابًا لِيُعلِنَ سِرَّ المسيح. لكن كان يُوجَدُ أيضًا لدى الرسول بولس طلبٌ آخَر: أرادهم أن يُصَلُّوا مِنْ أَجْلِهِ لِيُساعدَهُ اللَّهُ على توضيح الإنجيل وإعلانه بطريقةٍ مفهومة، فقد قال حقًّا

إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُعْلَنَ هَذَا السِّرُّ بوضوحٍ كما ينبغي. إذاً، هو أمرٌ مناسبٌ وجيدٌ وضروريٌّ أَنْ نَتَكَلَّمَ بوضوح.

نستطيع التكلّم بأسلوبٍ يُوضِّحُ مضمونَ كلامنا ويجعله مفهوماً، أو نستطيع أَنْ نُقدِّمَ رسالةً غامضةً يَصُعَبُ فَهْمُهَا. نحتاج إلى صَرْفِ الوقت في التفكير في الأمور التي تُوضِّحُ مضمونَ الإنجيل لكي نَنجَحَ في تقديم رسالة واضحة. ما الأمور التي يُساء فَهْمُهَا من قِبَلِ الذين من حَوْلنا بشأن إيماننا؟

لاحظِ الطريقةَ الرائعةَ التي كَتَبَ فيها البشيرُ لوقا عن أسلوب الرسول بولس وبرنابا في إيقونيّة: «دَخَلَا مَعًا إِلَى مَجْمَعِ الْيَهُودِ وَتَكَلَّمَا، حَتَّى آمَنَ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ» (أعمال الرسل 14: 1). تُوضِّحُ لنا الترجمةُ المُشتركةُ لِلكِتَابِ الْمُقَدَّسِ كَيْفِيَّةَ حدوثِ ذلك: «قد نطقوا بكلماتٍ جَعَلَتْ كَثِيرِينَ من اليهود واليونانيين يُؤْمِنُونَ». يُشير لوقا إلى أَنَّهُمْ لو تَكَلَّمُوا بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ أو بكلماتٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَإِنَّهُ كَانَ مُمَكِّنًا أَلَّا يُؤْمِنَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

يَعْتَمِدُ الْخَلَاصُ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ عَلَى اللَّهِ؛ فَهُوَ الَّذِي يُخَلِّصُ، لَكِنَّهُ اخْتَارَ أَنْ يُخَلِّصَ بِوَاسِطَةِ الْكَرَازَةِ بِالْإِنْجِيلِ. وَهُوَ يَدْعُونَا لِنَنْضَمَّ إِلَيْهِ فِي خُطَّتِهِ الْعَظِيمَةِ لِلْخَلَاصِ. سَيَخَلِّصُ كُلُّ مَنْ يَدْعُو الرَّبَّ، لَكِنَّهُمْ لَنْ يَدْعُوهُ مَا لَمْ يُؤْمِنُوا أَوَّلًا، وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُؤْمِنُوا مَا لَمْ يَسْمَعُوا مَضمونَ الْإِنْجِيلِ، وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَسْمَعُوا مَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ كَارِزٌ (رومية 10: 13-14). وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ، لَا يُمَكِّنُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَسْمَعَ وَأَنْ يُؤْمِنَ إِذَا كَانَ مَا يُكْرِزُ بِهِ غَيْرَ مَفْهُومٍ.

فَمِنْ نَاحِيَةٍ، تُوجَدُ أَسَالِيْبُ لِلْمُشَارَكَةِ تُسَاعِدُ عَلَى جَذْبِ انْتِبَاهِ الْأَشْخَاصِ إِلَى يَسُوعَ وَعَلَى الْإِيمَانِ بِهِ. وَلَكِنْ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، تُوجَدُ

أَسَالِيبُ أُخْرَى تَدْفَعُ النَّاسَ بَعِيدًا عَنْ يَسُوعَ وَتُفْقِدُهُمُ الشُّعُورَ بِالاهْتِمَامِ بِهِ. أَغْلَنَ الرَّبُّ يَسُوعَ أَنَّ كُلَّ الْأَطْعِمَةِ طَاهِرَةٌ (مرقس 7: 19)، ولكن لا يعني هذا أَنْ نُخْبِرَ أَصْدِقَاءَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ أَنَّ يَسُوعَ يَمْنَحُهُمْ حُرِّيَّةَ أَكْلِ لَحْمِ الْخَنزِيرِ.

جَعَلَ الْإِنْجِيلَ مَفْهُومًا بِوَاسِطَةِ الْأَفْعَالِ

لا نهدف فقط من الكرازة بالإنجيل أَنْ نُعْلِنَ عَنْ مَوْتِ يَسُوعَ وَقِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. سَمِعَ كَثِيرُونَ عَنْ مَوْتِ يَسُوعَ وَقِيَامَتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ، لَمْ يَفْهَمُوا الْمَغْزَى مِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ وَلَمْ يُؤْمِنُوا نَتِيجَةَ لِسْمَاعِهِمْ. يُوضِّحُ يَسُوعَ هَذَا الْأَمْرَ فِي مَثَلِ الزَّارِعِ: تُمَثِّلُ الْبَذُورُ الَّتِي سَقَطَتْ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ - الَّتِي أَكَلَتْهَا الطُّيُورُ - الشَّخْصَ الَّذِي «يَسْمَعُ كَلِمَةَ الْمَلَكُوتِ وَلَا يَفْهَمُ» (متى 13: 19). بَيْنَمَا تُمَثِّلُ التُّرْبَةُ الْجَيِّدَةُ الشَّخْصَ الَّذِي «يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَيَفْهَمُ» (متى 13: 23). نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكْرَرَ لِلْآخَرِينَ، لَكِنْ قَدْ لَا يَضْمَنُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ سَيَفْهَمُونَ مَضْمُونَ كِرَازَتِنَا.

تَسْتَطِيعُ كَلِمَاتُنَا أَنْ تَجْعَلَ رِسَالَتَنَا إِمَّا وَاضِحَةً، وَإِمَّا غَيْرَ مَفْهُومَةٍ. كَمَا قَدْ تَخَلَّقَ أَفْعَالُنَا التَّأثيرَ نَفْسَهُ. وَلَكِنْ غَالِبًا مَا يَكُونُ صَوْتُ أَفْعَالِنَا أَكْبَرَ مِنْ كَلِمَاتِنَا. وَفِي الْوَاقِعِ، قَدْ يَكْفِي أَنْ نَتَصَرَّفَ بِطَرِيقَةٍ مَا حَتَّى لَا نَحْتَاجَ فِي مَا بَعْدُ إِلَى التَّكَلُّمِ.

فَهِمْنَا جَمِيعًا بِالضَّبْطِ قَصْدَ الْمُرَاسِلِ الصَّحْفِيِّ مُنْتَظِرِ الزَيْدِيِّ عِنْدَمَا رَمَى حِذَاءَهُ نَحْوَ رَئِيسِ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمِيرِكِيَّةِ، جُورْجِ دَبْلِيُو. بُوْشَ، فِي 14 كَانُونِ الْأَوَّلِ 2008م، فَلَمْ يَكُنْ هَدَفُهُ أَنْ يُلْحِقَ الْأَذَى بِالرَّئِيسِ الْأَمِيرِكِيِّ، بَلْ أَنْ يُلْحِقَ الْعَارَ بِهِ. لَكِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَمِيرِكِيِّينَ لَمْ يَفْهَمُوا

رسالة ذلك الصحفي. لا تعني الأحذية ثقافيًا للأميركيين كما تعني للعرب؛ فرمى الزيدي حذائه على الرئيس الأميركي لا يختلف في نظرهم عن رمي فنجان قهوة.

فَهِمَ الرُّسُولُ بولس أُمِّيَّةَ الأفعال في مُسَاعَدَةِ الآخَرِينَ على فَهْمِ رسالةِ الإنجيل، وَعَلِمَ أَيْضًا أَنَّ استيعابَ الأشخاص المختلفين قد يَتَطَلَّبُ أنواعًا مُخْتَلِفَةً من الأفعال. وهذا ما قاله الرُّسُولُ بولس لأَهْلِ كورنثوس:

«فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنْ الْجَمِيعِ، اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لِأَرْبَحَ الْكَثَرِينَ. فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيْهُودِيٍّ لِأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَلِلَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلَا نَامُوسٍ - مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلَا نَامُوسٍ لِلَّهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ - لِأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ. صِرْتُ لِلضَّعْفَاءِ كَضَعِيفٍ لِأَرْبَحَ الضَّعْفَاءَ. صِرْتُ لِلْكَلِّ كُلِّ شَيْءٍ، لِأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْمًا. وَهَذَا أَنَا أَفْعَلُهُ لِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ، لِأَكُونَ شَرِيكًا فِيهِ» (1كورنثوس 9: 19-23).

كان الرُّسُولُ بولس على استعدادٍ للقيام بِكُلِّ ما هو ضروريٌّ لمُسَاعَدَةِ الناسِ على فَهْمِ رسالةِ الإنجيل والإيمان بها، فقد أراد أن يَرْبَحَهُمْ وأن يُخَضِّرَهُمْ إلى الإيمان بيسوع. وَمِنْ ثَمَّ، لَمْ يَتَصَرَّفْ الرُّسُولُ بولس بأساليبٍ من شأنها أن تُسيءَ للآخرين وأن تَكْسِرَ علاقتهِ بهم، بل احترمهم وأظهرَ الإكرامَ لعاداتهم ونمط حياتهم. ساهمَ هذا الأمرُ في المُحَافَظَةِ على العلاقة التي كانت تَرْبُطُ الرُّسُولَ بولس بهم، وجَعَلَ البابَ مفتوحًا أمامه للحديث

عن رسالة الإنجيل. وعلى الرغم من أنه كان حُرًّا من الجميع، فقد كان مُستعدًّا لاستعباد نفسه. لَمْ يَتَمَسَّكِ الرُّسُولُ بولس بحقوقه أو بِحُرِّيَّتِهِ، بل تَخَلَّى بِإرادته عن حقوقه واستعبدَ نَفْسَهُ لِيَتَمَكَّنَ من إنقاذ الآخرين.

تَمَّ الرَّبُّ يسوع مُتَطَلِّبَاتِ الناموس فَلَمْ يَعِدِ الرُّسُولُ بولس تحت سلطان الناموس. وقد عَلِمَ الرُّسُولُ بولس أَنَّ الذين ينقادون بالروح القدس ليسوا في ما بَعُدُ تحت الناموس (غلاطية 5: 18)، لِأَنَّ حُكْمَ الناموس فينا قد تَمَّ بواسطة يسوع المسيح، كما يشير الرُّسُولُ بولس: «... فَالَّذِي إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيئَةِ، وَلِأَجْلِ الْخَطِيئَةِ، دَانَ الْخَطِيئَةَ فِي الْجَسَدِ، لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِيْنَا» (رومية 8: 3-4). ولكنَّ الرُّسُولُ بولس أَخَضَعَ نَفْسَهُ لِلناموس مَرَّةً ثَانِيَةً إِرَادِيًّا مِنْ أَجْلِ خلاص الآخرين. عَلِمَ الرُّسُولُ بولس أَنَّ الرَّبَّ يسوع قد أَعْلَنَ أَنَّ جميعَ الأطعمة طاهرة (مقرس 7: 18-19)، لَكِنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يَمْتَنِعَ عن تَنَاوُلِ الأطعمة غير الطاهرة لليهود عندما يَكُونُ معهم. وقد عَلِمَ الرُّسُولُ بولس ذلك أَيْضًا لِأَنَّ الرَّبَّ يسوع حَسَبَ أَنَّ كُلَّ الْأَيَّامِ مُتَشَابِهَةٌ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَحْكُمَ على أَحَدٍ آخَرَ بِنَاءً على هَلَالٍ أَوْ سَبْتٍ (رومية 14: 5-6؛ كولوَسِّي 2: 16)، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكْسِرِ السَّبْتَ فِي أَثْنَاءِ وجودِهِ مع اليهود. اعْتَمَدَ الرُّسُولُ بولس الوَصِيَّةَ الثَّانِيَةَ - وهي أَنْ يُحِبَّ الْآخَرِينَ كَمَا يُحِبُّ نَفْسَهُ - قَاعِدَةً رَئِيسَةً فِي حَيَاتِهِ. أَوْ بِكَلِمَاتِ الرُّسُولِ بولس نَفْسِهِ: «لَا يَطْلُبُ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مَا هُوَ لِلْآخَرِ» (1 كورنثوس 10: 24). كان الرُّسُولُ بولس على استعدادٍ أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ لِكَيْ لَا يُسَيِّءَ إِلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانَ يُحَاوِلُ أَنْ يَرْبِّحَهُمْ.

أَرَادَ الرُّسُولُ بولس أَنْ يُؤْمِنَ النَّاسُ الَّذِينَ مِنَ الْأُمَمِ أَيْضًا، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، أَخْبَرَ أَهْلَ كورنثوس أَنَّهُ لِلَّذِينَ هُمْ خَارِجُ الناموس، قد أَصْبَحَ هُوَ أَيْضًا مِثْلَ وَاحِدٍ خَارِجِ الناموس مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرْبِّحَهُمْ وَأَنْ يُسَاعِدَهُمْ على

الثقة بالرَّبِّ يسوع والدخول إلى ملكوت الله. لَمْ يَسْتَمِرَّ الرُّسُولُ بولس بالعيش تحت الناموس عندما كان مع الأمم كما كان يَفْعَلُ مع اليهود، فقد صار في المسيح حُرًّا من الناموس، واستطاع أَنْ يَأْكَلَ مِنْ أَيِّ طَعَامٍ يُقَدِّمُهُ لَهُ أَيُّ أُمَمِيٍّ، وَلَمْ يَعُدْ تَطْبِيقُ أَيِّ مِنَ الْقَوَانِينِ الْيَهُودِيَّةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي فَصَلَّتِ الْيَهُودَ عَنِ الْأُمَمِ أَمْرًا ضَرُورِيًّا لَهُ، فَقَدْ زَالَتِ الْجُدْرَانُ الْفَاصِلَةُ وَصَارَ حُرًّا فِي أَنْ يَعِيشَ حَيَاتَهُ مِثْلَ الْأُمَمِ.

وطبعًا، وَضَحَ الرُّسُولُ بولس أَيْضًا أَنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ قِيودَهُ؛ فَرِغَ مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي مَا بَعْدُ تَحْتَ النَامُوسِ الْيَهُودِيِّ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ حُرًّا لِيُخْطِئَ عَلَى عَادَةِ الْأُمَمِ. فَهُوَ يَعِيشُ تَحْتَ نَامُوسِ الْمَسِيحِ وَهُوَ مُلْتَزِمٌ بِإِطَاعَةِ تَعَالِيمِهِ كُلِّهَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ حُرًّا فِي أَنْ يَصِيرَ يَهُودِيًّا لِلْيَهُودِ وَأُمَمِيًّا لِلْأُمَمِ وَضَعِيفًا لِلضَّعْفَاءِ. وَفِي وَاقِعِ الْأَمْرِ، أَصْبَحَ الرُّسُولُ بولس كُلَّ شَيْءٍ لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ مَضْمُونُ رِسَالَتِهِ، لَكِنَّهُ بَدَّلَ مِنْ أَعْمَالِهِ. اسْتَمَرَ الرُّسُولُ بولس فِي طَاعَتِهِ الثَّابِتَةِ، لَكِنْ أَعْمَالُهُ تَغَيَّرَتْ.

وسواءً أَكَانَ الرُّسُولُ بولس يَرَايِ قَوَانِينِ الْأَطْعَمَةِ الْيَهُودِيَّةِ أَمْ أَنَّهُ أَكَلَ مِنَ اللَّحُومِ الْمُقَدَّمَةِ لِلْأَصْنَامِ (إِذَا كَانَ لَمْ يَقُلْ لَهُ أَحَدٌ قَبْلَ أَنْ يَأْكَلَ إِنَّهَا كَانَتْ مَذْبُوحَةً لَوْثَنٍ)، فَقَدْ فَعَلَ الرُّسُولُ بولس كُلَّ مَا فَعَلَهُ لِيَرْبَحَ الَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ. تَرَكَ الْأَسْلُوبَ الَّذِي تَعَامَلَ بِهِ مَعَ النَّاسِ وَالتَّصَرُّفَاتِ الَّتِي سَلَكَ فِيهَا أَثَرًا كَبِيرًا، حَيْثُ تَتَحَدَّثُ الْأَعْمَالُ عَنْ نَفْسِهَا. وَنَجِدُ فِي غَالِبِيَّةِ الْأَحْيَانِ أَنَّ صَوْتَ الْأَفْعَالِ يعلو على صَوْتِ الْأَقْوَالِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، حَرَصَ الرُّسُولُ بولس عَلَى أَنْ يَتَصَرَّفَ بِأَسْلُوبٍ يُوضِّحُ رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ، وَقَدْ لَخَّصَهُ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي: «فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا، فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللَّهِ. كُونُوا بِلَا عَثْرَةٍ لِلْيَهُودِ وَلِلْيُونَانِيِّينَ وَلِلْكَنِيسَةِ اللَّهِ. كَمَا أَنَا أَيْضًا أَرْضِي الْجَمِيعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، غَيْرَ طَالِبٍ مَا يُوَافِقُ نَفْسِي، بَلِ الْكَثِيرِينَ

لِيَّ يَخْلُصُوا. كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ» (1كورنثوس 10: 11-13).

جَعَلَ الإنجيل مفهومًا بواسطة الأقوال

لاحظنا أنَّ بولس الرسول عَدَّلَ أفعاله وَفَقًا للأشخاص الذين كان يُوجَدُ معهم، وقد طَبَّقَ المنطقَ نَفْسَهُ في ما يتعلَّقُ بكلامه، فقد كَرَّرَ دائماً بالمضمون نَفْسَهُ لرسالته عن موت يسوع وقيامته من بين الأموات، ولكنه فَعَلَ ذلك باستخدام كلامٍ مُصَاغٍ بصورةٍ معيَّنةٍ عندما كان يكرز بين اليهود، وكلامٍ مُصَاغٍ بصورةٍ مُخْتَلِفَةٍ عندما كان يكرز بين الأمم. ويتَّضح لنا ذلك بواسطة التباين ما بين كرازته لليهود في مَجْمَعِ أنطاكية (أعمال الرسل 13: 41-16) وكرازته لرجال أثينا في أريوس باغوس في أثينا (أعمال الرسل 17: 22-31).

شارَكَ الرسول بولس في رسالته لليهود في مَجْمَعِ أنطاكية عن تاريخ إسرائيل، واقتَبَسَ الكثير من الآيات من نصوص العهد القديم، وأَعْلَنَ أنَّ الله اختارَ شَعْبَ إسرائيل وَحَرَّزَهُم من العبودية في مِصر (أعمال الرسل 13: 17). وَتَحَدَّثَ الرسول بولس عن ترحالهم في البرية (الآية 18) وعن امتلاكهم لأرض كنعان في أَيَّام يشوع (الآية 19)، كما ذَكَرَ زمنَ القضاة وصولاً إلى النبي صموئيل (الآية 20)، وَمِنْ ثَمَّ، تَحَدَّثَ عن شاول، أَوَّلَ مَلِكٍ (الآية 21)، وعن داود، المَلِكِ العظيم (الآية 22).

انتَقَلَ الرسول بولس بَعْدَ ذلك إلى الكلام عن دُرِّيَّة داود، أي عن يسوع المُخَلَّص (الآية 23)، فَتَكَلَّمَ عن حقيقة أنَّ الربَّ يسوع قد تَمَّمَ نبَوَاتِ الأنبياء (الآية 27)، وأنه صُلِبَ على يد بيلاطس (الآية 28)، وأنَّ الله أقامه

رغم ذلك من بين الأموات (الآية 29). ثُمَّ أَعْلَنَ الرُّسُولُ بولس بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعُ هُوَ تَتْمِيمُ الْبَرَكَاتِ الْمَوْعُودِ بِهَا لِلآبَاءِ (الآية 32) وَأَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ سَيَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا (الآية 38) وَالتَّبرِيرَ (الآية 39).

اقتَبَسَ الرُّسُولُ بولس في رسالته هذه من مزمور 2: 7 (الآية 33)، ومن إشعياء 55: 3 (الآية 34)، ومن مزمور 16: 10 (الآية 35)، ومن حبقوق 1: 5 (الآية 41). وَفَهَّمْ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ فَوْرًا مَضمُونِ رِسَالَةِ الرُّسُولِ بولس لِأَنَّ كَلِمَاتِهِ كَانَتْ مُتَجَدِّدَةً فِي تَارِيخِهِمْ وَكُتِبَتْهُمْ الْمُقَدَّسَةَ، وَقَدْ شَارَكَ الرُّسُولُ بولس الْأَخْبَارَ السَّارَةَ عَنْ يَسُوعَ بِعِبَارَاتٍ يَفْهَمُونَ مَدلولَاتِهَا.

أَمَّا فِي خِطَابِ الرُّسُولِ بولس إِلَى الْيُونَانِيِّينَ فِي أَرِيُوسِ بَاغُوسِ (أَعْمَالِ الرُّسُلِ الْأَصْحَاحِ 17)، فَتَكَلَّمَ عَنْ مَوْتِ يَسُوعَ وَقِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ مُسْتَعْدِمًا أَسْلُوبًا مُخْتَلِفًا تَمَامًا. وَمَعَ أَنَّ رِسَالَتَهُ كَانَتْ مُتَجَدِّدَةً بَعْمَقٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْتَبَسْ آيَةً وَاحِدَةً مِنْهُ كَمَا لَمْ يَذْكُرْ أَيَّ تَفْصِيلٍ مِنْ تَارِيخِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ؛ فَلَمْ يَذْكُرْ أَيًّا مِنْ إِبْرَاهِيمَ أَوْ مُوسَى أَوْ دَاوُدَ، فَلِمَاذَا لَمْ يُثَبِّرْ إِلَى تِلْكَ الشَّخْصِيَّاتِ الرَّئِيسَةِ فِي تَارِيخِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ؟ الْإِجَابَةُ بَسِيطَةٌ، لَمْ يَكُنْ أَهْلُ أَثِينَا يَعْرِفُونَ تَارِيخَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْ قَبْلُ عَنْ مُوسَى وَنَامُوسِهِ، وَلَمْ يَقْرَأُوا مَزَامِيرَ دَاوُدَ. أَدْرَكَ الرُّسُولُ بولس أَنَّ ذِكْرَ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ الْكِتَابِيَّةِ الرَّئِيسَةِ لَنْ يُشَكِّلَ آيَةً سُلْطَةً تَعْلِيمِيَّةً لَدَى السَّامِعِينَ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ لَنْ يُسَاعِدَهُمْ عَلَى فَهْمِ مَضمُونِ الرِّسَالَةِ.

إِذَا، كَيْفَ أَوْصَلَ الرُّسُولُ بولس رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ وَجَعَلَهَا مَفْهُومَةً لِرِجَالِ أَثِينَا؟ الْإِجَابَةُ: قَدْ بَنَى جَسْرًا انْطِلَاقًا مِنْ دِيَانَتِهِمْ وَمَدَحَهُمْ وَعَلَّمَهُمْ وَصَحَّحَ مُعْتَقَدَاتِهِمْ بِلُطْفٍ وَأَيَّدَهُمْ وَاقْتَبَسَ مِنْ شُعْرَائِهِمْ، وَفِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ، أَخْبَرَهُمْ عَنْ يَسُوعَ.

عَلِمَ الرسول بولس، بوصفه يهوديًا مُؤْمِنًا بالمسيح، أَنَّ مفاهيمه الوجودية تختلف جذريًا عن مفاهيم اليونانيين في أثينا، كما عَلِمَ أَنَّهُمْ يُدْرِكُونَ الأمرَ عَيْنَهُ أيضًا. لذا اختار أن يبني جسرًا من التفاهم، مُبتدئًا من الأمور التي أَدْرَكُوهَا وَعَلِمُوهَا. وقد جَذَبَ الرسول بولس انتباههم بواسطة هذا الجسر، حيث لَاحَظُوا أَنَّ لهذا الرَّجُل اليهودي رسالةً مُلائمةً يريد أن يشاركها معهم.

أَسَّسَ الرسول بولس هذا الجسرَ على المديح، فقال لهم: «أَيُّهَا الرَّجَالُ الْإِثْنَوِيُونَ... أَرَأَيْتُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ كَأَنَّكُمْ مُتَدَيِّنُونَ كَثِيرًا» (الآية 22). وعلى الرغم من أَنَّ ديانة اليونانيين قد تأسَّست على عبادة الأصنام، وهي ممارسة رجسةٌ في نظرِ اللَّهِ (التثنية 29: 17)، فَإِنَّ الرسول بولس اختار أن يبدَأَ رسالته ليس بإدانة وَثَنِيَّتِهِمْ، بل بمدحهم على تَدَيِّنِهِمْ، ورغم أَنَّ عبادتهم للأصنام كانت تَسْتَوْجِبُ الإدانة، فَإِنَّهُ أَثْنَى على التزامهم بديانتهم. ثُمَّ أَكْمَلَ الرسول بولس العملَ على بناء جِسْرِهِ هذا، فاستَخدَمَ أَحَدَ أصنام أهلِ أثينا الكثير، لَجَذِبَ انتباههم إلى اللَّهِ. وَجَدَ الرسول بولس «مَذْبَحًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ: لِلَّهِ مَجْهُولٌ» (أعمال الرسل 17: 23). وَاضِحٌ أَنَّهُ عندما قام النَحَاتُ اليونانيُّ بنقش هذه العبارة، «لِلَّهِ مَجْهُولٌ»، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ في إله اليهود غير المنظور الذي نَصَبَ خيمته بين خيامنا في شَخْصِ يسوع المسيح. وَمُرَجَّحٌ أَنَّ النَحَاتَ اليونانيَّ كان يحاول ببساطة أن يُرَضِيَ أَيَّ إلهٍ آخَرَ لَمْ تَكُنِ المذابحُ الأخرى في أثينا قد أشارت إليه. لكنَّ الرسول بولس لَمْ يَهْتَمَّ بهذا التفصيل، فقد رأى بواسطة هذا المذبح مَدخلًا لِيَبْنِيَ جِسْرًا من شأنه أن يَنْقُلَ أَهْلَ أثينا من عبادتهم الخاطئة للأصنام المصنوعة بأيدي البشر إلى اللَّهِ الوحيد الحقيقي الذي خَلَقَ كُلَّ الأشياءِ.

«فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ، هَذَا أَنَا أَنَادِي لَكُمْ بِهِ» (الآية 23).
 بنى الرسول بولس رسالته على مفاهيم أهل أثينا وممارساتهم ومُشِيرًا
 في الوقت نفسه إلى جَهْلِهِمْ (نَقْصِ مَعْرِفَتِهِمْ) بشأن ذلك الإله. وقد أَعْلَنَ
 الرسول بولس لهم الإله الذي يجهلونهُ، الإله «الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا
 فِيهِ، هَذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...» (الآية 24). ابتدأ الرسول بولس
 مِنْ فَهْمِهِمُ الْخَاطِئِ، وَمِنْ ثَمَّ نَقَلَهُمْ إِلَى الْحَقِيقَةِ، مُعَلِّمًا إِيَّاهُمْ عَنْ هَذَا الْإِلَهِ
 الْمَجْهُولِ وَمُعَلِّنًا عَنْ سُمُوهِ بِوَاسِطَةِ إِعْلَانِهِ أَنَّ هَذَا الْإِلَهَ هُوَ رَبُّ الْجَمِيعِ.

ورغم أَنَّ الرسول بولس قد ابتدأ بالمديح وَبَنَى جِسْرًا مُعْتَمِدًا عَلَى
 معرفة اليونانيِّين السابقة، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَائِفًا مِنْ أَنْ يُصَحِّحَ مُعْتَقَدَاتِهِمْ.
 إِنَّ هَذَا الْإِلَهَ الْمَجْهُولَ الَّذِي صَنَعَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، لَا يُمَكِّنُ طَبْعًا أَنْ
 يَعِيشَ فِي هَيْكَلٍ مَصْنُوعَةٍ بِأَيْدِي الْبَشَرِ، فَلَا يَحْتَاجُ رَبُّ الْجَمِيعِ إِلَى الْإِنْسَانِ
 أَوْ إِلَى خِدْمَتِهِ، إِذْ هُوَ الَّذِي يَعْطِينَا الْحَيَاةَ وَالْقُوَّةَ. مَاذَا نَسْتَطِيعُ يَا ثَرَى أَنْ
 نُقَدِّمَ لِهَذَا الْإِلَهِ؟ صَرَّحَ الرَّسُولُ بُولُسُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ تَحْتَ ظِلِّ مَعْبَدِ أَثِينَا
 عَلَى قِمَّةِ الْأَكْرُوبُولِيسِ، وَمُحْتَمَلٌ أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى الْمَبْنَى فِي سِيَاقِ كَلَامِهِ. لَمْ
 يَخْجَلِ الرَّسُولُ بُولُسُ مِنْ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ حَتَّى عِنْدَمَا تَعَارَضَ الْحَقُّ فِيهَا مَعَ
 مَعْتَقَدَاتِ الْآخَرِينَ.

وَاصَلَ الرَّسُولُ بُولُسُ تَعْلِيمَهُ عَنْ قُوَّةِ سَيَادَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ وَعَنْ
 مَقَاصِدِهِ بِوَاسِطَةِ تَوْجِيهِهِ لَجَمِيعِ الْبَشَرِ وَتَحْرِيكِهِمْ. فَهُوَ الَّذِي يُقَرِّرُ الزَّمَانَ
 وَالْمَكَانَ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِمَا حَتَّى نَسْعَى وَرَاءَ اللَّهِ وَنَجِدَهُ (الآية 27). أَوْضَحَ
 بُولُسُ الرَّسُولُ وَجْهَةً نَظَرِهِ لَيْسَ بِاقْتِبَاسٍ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، كَمَا فَعَلَ
 فِي أَعْمَالِ الرِّسَالَةِ الْأَصْحَاحِ 13، بَلْ بِاقْتِبَاسٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْيُونَانِيِّينَ.

اقْتَبَسَ أَوَّلًا مِنْ قَصِيدَةٍ كَتَبَهَا «إِپِيمِينِيدِس» (Epimenides) إِلَى الْإِلَهِ
 الْيُونَانِيِّ «زِيُوس» قَبْلَ 600 عامٍ مِنْ كَلَامِ بُولُسِ: «بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ»

وَنُوجِدُ» (الآية 28). فَصَدَّ «إِيمِينِيدِس» أَنَّنَا نَتَحَرَّكُ وَنَكُونُ فِي «زِيوس»، وهو بالتأكيد ليس الأمر الصحيح. ورغم ذلك، فقد تعرَّفَ الشاعرُ على أمرٍ حقيقيٍّ مُهمٍّ في علاقة البشر بالإله؛ إذ رأى أَنَّنَا قَرِيبُونَ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ أَيْضًا يُبْقِينَا قَرِيبِينَ مِنْهُ، حَتَّى عِنْدَمَا يَنْقَلِنَا إِلَى نَوَاحٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْعَالَمِ، لِكِي نَجِدَهُ (الآية 27).

ثُمَّ اقْتَبَسَ الرُّسُولُ بُولُسُ مِنْ كِتَابَةِ «أَرَاتُوس Aratus»، فِي كِتَابِهِ «الظاهرة – Phainomena»، وَهُوَ كِتَابٌ عَنِ الطُّقُسِ وَالْكَوَاكِبِ مُهْدًى لِلإله «زِيوس». كَتَبَ «أَرَاتُوس»: «لَأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ» (الآية 28)، وَقَدْ فَصَدَّ بِكَلَامِهِ أَنَّنَا ذُرِّيَّةُ «زِيوس». عَلِمَ الرُّسُولُ بُولُسُ أَنَّ «زِيوس» لَيْسَ إِلَهًا حَقِيقِيًّا وَأَنَّنَا لَسْنَا ذُرِّيَّتِهِ. لَكِنَّ «أَرَاتُوس» وَأَهْلَ أَثِينَا قَدْ أَصَابُوا فِي اعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الإلهَ قَدْ خَلَقَ الْبَشَرَ. وَبِنَاءً عَلَى هَذَا الْمَفْهُومِ الْمُشْتَرَكِ الَّذِي جَرَى التَّعْبِيرُ عَنْهُ فِي كِتَابَاتِهِمْ، ابْتَدَأَ الرُّسُولُ بُولُسُ عَمَلِيَّةَ التَّصْحِيحِ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ أَعْظَمَ مِنَ الْخَلِيقَةِ. فَإِنَّ صَحَّ كَلَامُ «أَرَاتُوس» وَكُنَّا حَقًّا ذُرِّيَّةَ اللَّهِ، فَعِنْدُنَا «لَا يَنْبَغِي أَنْ نَنْظُرَ أَنَّ اللَّاهُوتَ شَبِيهَ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ حَجَرٍ نَفْسِ صِنَاعَةٍ وَاخْتِرَاعِ إِنْسَانٍ» (الآية 29). صَحَّحَ الرُّسُولُ بُولُسُ أَفْكَارَهُمُ الْخَاطِئَةَ بِوَسْطَةِ الْإِضَاءَةِ عَلَى الْمَعْتَقَدَاتِ الَّتِي تَمَسَّكُوا بِهَا.

ثُمَّ وَصَلَ الرُّسُولُ بُولُسُ إِلَى الذَّرْوَةِ عِنْدَمَا دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ لِأَنَّ اللَّهَ سَيَدِينُ الْعَالَمَ بِوَسْطَةِ رَجُلٍ أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ (الآية 31). حَتَّى هَذِهِ النِّقْطَةُ، لَمْ يَعْتَرِضْ أَهْلُ أَثِينَا عَلَى كَلَامِ الرُّسُولِ بُولُسِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ أَدْلَى بَعْضُ التَّصْرِیحاتِ الْقَوِيَّةِ ضِدَّ مَعْتَقَدَاتِهِمُ الشَّائِعَةِ، فَاسْتَمَعُوا لَهُ حَتَّى إِعْلَانِهِ عَنْ قِيَامَةِ يَسُوعَ. لَمْ يَسْتَطِعِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا إِلَيْهِ تَحْمُلُ مَزِيدٍ فَاسْتَهْزَأَ بَعْضُهُمْ (الآية 32) وَلَكِنْ انْضَمَّ آخَرُونَ إِلَيْهِ وَآمَنُوا (الآية 34).

أَدَّتْ رِسَالَتِي الرُّسُولَ بُولُسَ لِلْيَهُودِ وَلِأَهْلِ أَثِينَا إِلَى الْإِعْلَانِ عَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ بِوصفه الْمُقَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ الْمُعَيَّنَ مِنَ اللَّهِ لِيَكُونَ الْمَسِيحَ وَالْقَاضِي. أَعْلَنَ الرُّسُولُ بُولُسَ الْحَقَائِقَ الْكِتَابِيَّةَ فِي كِلْتَا الرِّسَالَتَيْنِ وَاسْتَخْدَمَ كِتَابَاتٍ وَأَفْكَارًا شَائِعَةً مَعْرُوفَةً يُصَدِّقُهَا وَيُؤْمِنُ بِهَا الَّذِينَ اسْتَمَعُوا إِلَيْهِ؛ فَاقْتَبَسَ مِنْ نصوص العهد القديم في كلامه مع اليهود، وَاقْتَبَسَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْيُونَانِيِّينَ فِي كَلَامِهِ مَعَ رِجَالِ أَثِينَا، وَقَدْ حَافَظَ عَلَى هَدَفِهِ فِي الْحَالَتَيْنِ: كَرَّرَ بِالتَّوْبَةِ سَاعِيًا لِيَرْبَحَهُمْ وَلِيُخَلِّصَ بَعْضَهُمْ.

مَا الَّذِي يَحْمِلُهُ الْاسْمُ؟

نَرَى فِي أَعْمَالِ الرُّسُلِ الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي كَرَّرَ بِهَا الرُّسُولُ بُولُسَ بِالرِّسَالَةِ نَفْسَهَا إِلَى أَشْخَاصٍ مِنْ خَلْفِيَّاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَلَكِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِأَسَالِيِبٍ مُخْتَلِفَةٍ اخْتِلَافًا جَذْرِيًّا. فَقَدْ فَهَمَ الرُّسُولُ بُولُسَ بوضوح رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ، وَكَانَ قَادِرًا عَلَى شَرْحِهَا بِأَسَالِيِبٍ مُخْتَلِفَةٍ طَبَقًا لِلْأَشْخَاصِ الْمُخْتَلِفِينَ الَّذِينَ كَانَ يَخَاطِبُهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ. وَمَعَ أَنَّ الرِّسَالَةَ لَمْ تَتَغَيَّرْ، فَإِنَّهُ غَيَّرَ الْكَلِمَاتِ وَالتَّعَابِيرَ. وَقَبْلَ أَنْ نَتَابَعَ، نَرِيدُ أَنْ نَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّنا فَهَمُنَا عَلَى نَحْوِ وَافٍ أَهْمِيَّةٍ اسْتِخْدَامِ الرُّسُولِ بُولُسَ لِلْقَصَائِدِ الْمَكْتُوبَةِ إِلَى الْإِلَهِ الْوُثْنِيِّ «زِيوس»، وَكَيْفِيَّةِ اسْتِخْدَامِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلْكَلِمَاتِ عَمُومًا.

عِنْدَمَا نُشَجِّعُ فَرِيقَنَا الْمُفْضَّلَ فِي مَبَارِيَاتِ كَأْسِ الْعَالَمِ لِكُرَةِ الْقَدَمِ، يَهْتَفُ كَثِيرُونَ تَشْجِيْعًا لِمُنْتَخَبِ «أَلْمَانِيَا» مِثْلًا فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ. بَيْنَمَا يَهْتَفُ النَّاسُ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي أَلْمَانِيَا نَفْسَهَا مُسْتَحْدِمِينَ تَسْمِيَةً أُخْرَى هِيَ «دُويْتشْلَانْد - Deutschland»، وَيَهْتَفُ آخَرُونَ مُسْتَحْدِمِينَ تَسْمِيَةً أُخْرَى أَيْضًا هِيَ «جِيرْمَانِي - Germany». فَسَوَاءٌ أَكُنَّا

نهتف إلى «ألمانيا» أم «دويتشلاند» أم «جيرماني»؛ فإننا نهتف للفريق نفسه. تُشير هذه التسميات الثلاث غير المتشابهة إلى البلد والفريق نفسيهما. نلاحظُ إذًا، أنه لا تُوجدُ أهميّة في استخدام الكلمة نفسها بل تكمن الأهميّة في معناها.

ينطبق المنطق نفسه عندما نفكر في الكلمة التي نستخدمها للإشارة إلى الله. نستخدم في اللغة العربيّة كلمة «الله» التي ترتبط بالكلمة العربيّة إيلوهيم (إِلَهِيم). عندما تَرَجَمَ اليهودُ العهدَ القديم إلى اللغة اليونانيّة، قَبْلَ ولادة المسيح بمئتي عامٍ تقريبًا، كان عليهم أن يُقرّروا كيفيّة ترجمة الكلمة التي تُشير إلى الله. فقرّروا استخدام الكلمة اليونانيّة المُستخدمة على نحوٍ واسعٍ آنذاك، أي كلمة «ثيوس» (θεός). ولكنّها لم تكن تعني لمُعظم القراء اليونانيّين إله الكتاب المقدّس الذي خَلَقَ كُلَّ الأشياء، وأرسلَ أنبياءه، مثل إبراهيم وموسى وإشعيا، ليُعلنوا عن مجيء المسيح. عوضًا عن ذلك، دَفَعَت هذه الكلمة المُستخدمة القراء اليونانيّين إلى التفكير في أيّ إله من أعداد آلهتهم التي لا تُحصى ولا تُعدّ، أو إلى التفكير على وجه التحديد في الإله «زيوس»، الذي كان يُشار إليه بهذه التسمية.

واصلَ كُتَاب العهد الجديد، تحت إلهام الروح القدس، استخدام كلمة «ثيوس» لتُشير إلى الله، إله الكتاب المقدّس، الإله الحقيقي. وقد استخدَموها عن قَصْدٍ، وهي التسمية التي يَفْهَمُها مُعظمُ كُتَاب العهد الجديد على أنّها تُشير إلى إلهٍ وثنيٍّ. وعلى الرغم من أنّه لم يكن للقارئ اليونانيّ العاديّ المفهوم نفسه لكلمة «ثيوس» مثل متى أو مرقس أو لوقا، فإنَّ كُتَاب الأناجيل استخدَموا هذه التسمية لأنّها شكّلت نقطة انطلاقٍ مُشتركة. فبدلًا من استخدام كلمة غريبة تمامًا عن ذهن هذا القارئ اليونانيّ ولا تعني له شيئًا، اختار كُتَاب الأناجيل الاستعانة بالكلمة اليونانيّة

الشائعة الاستخدام وَحَمَلُوهَا الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ، أَيَّ أَنْهَمْ حَوَّلُوا اسْتِخْدَامَ كَلِمَةِ «ثِيُوس» لِتَشِيرَ إِلَى اللَّهِ عَلَى نَحْوٍ صَحِيحٍ.

فَعَلَ الرَّسُولُ بُولُسُ الْأَمْرَ نَفْسَهُ فِي أَعْمَالِ الرِّسْلِ الْأَصْحَاحِ 17؛ فَقَدْ اقْتَبَسَ عِبَارَتَيْنِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْيُونَانِيِّينَ - «لَأَنْنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ»، وَ«لَأَنْنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ»- وَأَعْلَنَ أَنَّهِنَّ عَنِ اللَّهِ. وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ «إِيْمِينِيدِسَ» وَ«أَرَاتُوسَ» قَدْ كَتَبَا عَنِ الْإِلَهِ «زِيُوسَ». عَلِمَ الرَّسُولُ بُولُسُ أَنَّ «زِيُوسَ» لَيْسَ إِلَهًا حَقِيقِيًّا، لَكِنَّهُ لَاحِظٌ أَيْضًا أَنَّ مَا قَالَهُ هَذَانِ الشَّاعِرَانِ عَنِ «زِيُوسَ» يَنْطَبِقُ تَمَامًا عَلَى الْإِلَهِ الْحَقِيقِيِّ. وَلِذَلِكَ، اسْتِخْدَمَ الرَّسُولُ بُولُسُ كِتَابَاتِهِمَا بِحَرِيَّةٍ لِمُسَاعَدَةِ أَهْلِ أَثِينَا عَلَى فَهْمِ هُويَّةِ اللَّهِ.

إِنَّ اسْتِخْدَامَنَا لِكَلِمَةٍ مَعْيَنَةٍ، لَا يُضَاهِي أَهْمِيَّةَ الْمَعْنَى الَّتِي نَقْصِدُهَا بِهَا عِنْدَمَا نَنْطِقُهَا. فَعِنْدَمَا نَسْتُخْدِمُ كَلِمَةَ «ثِيُوسَ»، فَهَلْ نَعْنِي الْإِلَهِ «زِيُوسَ» أَمْ اللَّهَ؟ رُبَّمَا أَذْرَكْتَ، عَزِيزِي الْقَارِئُ، الْمَنْطِقَ الَّذِي نَتَّبِعُهُ: فَمَا الْاسْمُ الَّذِي نَسْتُخْدِمُهُ لِلإِشَارَةِ إِلَى «يَسُوعَ»؟ إِنَّنَا نَسْتُخْدِمُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْكَلِمَاتِ عَلَى نَحْوِ مُخْتَلِفٍ عَمَّنْ هُمْ مِنْ حَوْلِنَا. يُشَكِّلُ اسْمُ «يَسُوعَ» حَالَةَ اخْتِبَارِيَّةٍ جَيِّدَةٍ لَنَرَى كَيْفِيَّةَ تَطْبِيقِ الْأُمُورِ الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا مِنْ اسْتِخْدَامِ الرَّسُولِ بُولُسِ لِلْكَلِمَاتِ وَالْقَصَائِدِ فِي أَعْمَالِ الرِّسْلِ الْأَصْحَاحِ 17.

يَسُوعُ أَمْ عِيسَى؟

يَدْعُو الْمَسِيحِيُّونَ النَّاطِقُونَ بِاللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ «يَسُوعَ» بِاسْمِ «جيسوس Jesus»، وَهَكَذَا يَفْعَلُ أَيْضًا أَعْضَاءُ بَدْعَةِ «الْمُورْمُونِ». نَسْتُخْدِمُ الْمَجْمُوعَتَانِ كِلَاهُمَا الْاسْمَ نَفْسَهُ، لَكِنَّهُ يَعْنِي أَمْرًا مُخْتَلِفًا تَمَامًا لِكُلِّ مِنْهُمَا. عِنْدَمَا يَقُولُ «الْمُورْمُونُ» «جيسوس»، فَإِنَّهُمْ يُشِيرُونَ

إلى شَخْصٍ خَلَقَهُ اللَّهُ، ولا يعني لهم أَنَّهُ الأَقْنوم الثاني في الثالوث. إِذَا، يستخدم المسيحيُّون و«المورمون» الاسم نفسه باللغة الإنجليزِيَّة، لكنَّه يعني أَمْرًا مُخْتَلِفًا لِكُلِّ منهم.

يقول المسيحيُّون في العراق: «يسوع»، بينما يقول المسيحيُّون في إيران: «عيسى». فَهْم يستخدمون اسمَيْن مُخْتَلِفَيْن للإشارة إلى الشخص نفسه. استخدَمَ اليهود المسيحيُّون في بدايات الكنيسة الأولى، الاسم «يشوع – Yeshua» (יֵשׁוּעַ). بينما استخدم المسيحيُّون اليونانيُّون الاسم «إيايسوس» (Ἰησοῦς). نَحْصُلُ في اللُّغة الإنجليزِيَّة، على اسم «جيسوس» Jesus من الاسم في اللُّغة اليونانيَّة، بينما نَحْصُلُ في اللُّغة العربيَّة على اسم «يسوع» من اللغتين العربيَّة والآرامِيَّة.

يُطلق القرآن على «يسوع» اسم «عيسى ابن مريم» أو «عيسى المسيح». يَسْتخدِمُ المُسْلِمون اسمًا مُخْتَلِفًا عن المسيحيِّين العرب، ولديهم، كما هو واضحٌ، معتقداتٌ مُخْتَلِفَةٌ بشأنه. لا يعتقد المُسْلِمون أَنَّ «عيسى» هو اللَّهُ المُتَجَسَّد، كما لا يعتقدون بموته على الصليب، لكنَّهم يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُ وُلِدَ مِنْ عَذْرَاءٍ، وَأَنَّهُ صَنَعَ مُعْجَزَاتٍ كَبِيرَةٍ، وَأَنَّهُ سَيَأْتِي مَرَّةً أُخْرَى. لا يُؤْمِنُ المُسْلِمون بيسوعٍ مُخْتَلِفٍ تَمَامًا، ولكنَّهم ببساطة يُؤْمِنُونَ بِأُمُورٍ خَاطِئَةٍ عن يسوع الحقيقي.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، عندما نَتَحَدَّثُ مع مُسْلِمِينَ عن المسيح، لا نحتاج إلى أَنْ نَطْلُبَ مِنْهُمْ اعْتِمَادَ اسمٍ آخَرَ للتكلُّم عن المسيح. لَمْ يَسْمَعْ مُعْظَمُ المُسْلِمِينَ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ اسمَ «يسوع»؛ بَلْ يَعْرِفُونَ فَقَط اسمَ «عيسى». عندما نَتَحَدَّثُ مع أَصْدِقَائِنَا المُسْلِمِينَ، نستطيع أَنْ نَسْتخدِمَ اسمَ «عيسى» حَتَّى يَعْرِفُوا عَمَّنْ نَتَحَدَّثُ. بَعْدَ ذَلِكَ، نستطيع أَنْ نَأْخُذَ هَذَا

الاسمَ وأنْ نملأه بالمعنى الكتابيِّ حتَّى يتعرَّفوا على هُويَّة المسيح الحقيقيَّة، سواءً أكانوا يُسمُّونه «عيسى» أم «يسوع».

نتفهَّم أنَّه، لبعض الناس، قد يُشكِّل استخدام الاسم «عيسى» قضيَّةً صعبةً جدًّا. قد يُولَّد فينا استخدام الاسم «عيسى» انطباعًا أنَّ المقصود هو نبيُّ كاذبٍ لِإِلَهِ زائفٍ يستخدمه الآخرون لاضطهادنا. تَعَلَّمْنَا طيلة حياتنا أنَّ الاسم هو «يسوع» ولا شيء غير ذلك. ولكنَّه أمرٌ مُهمٌّ أنْ نتذكَّر أنَّه لَمْ يَحْدُثْ في حياة يسوع أنْ ناداه أحدُهم: «يا يسوع». كان يسوع يهوديًّا وليس عربيًّا، وقد تَحَدَّثَ باللغة الأراميَّة وليس باللغة العربيَّة. وكان اسمه «يشوع - Yeshua». ومع ذلك، نلاحظُ في كتابات العهد الجديد اليونانيَّة أنَّه لا يمانع بتاتًا أنْ يُسمَّيه «إيايسوس». لذلك، نعتقد أننا نستطيع أنْ ندعوه بِاسمِ «يسوع» أو «عيسى». ولكنْ في الوقت نَفْسِه، لأولئك الذين يَجِدُون صعوبةً أو لا يرتاحون عند استخدام اسم «عيسى»، فيستطيعون القول: «سيِّدنا المسيح» عند الإشارة إلى يسوع. قد يُجَنَّبُنَا هذا الحُلُّ الاصطدامَ بِحاجزٍ مُحتمَلٍ بسبب استخدام اسمٍ غريبٍ على المُستَمِيعين المُسَلِّمين، ويعطينا الفرصة لبناء جِسْرِ لفهْمٍ حقيقيٍّ باستخدام لغةٍ مُشتركة.

كما يَحِبُّ أنْ نَتَكَلَّمَ

كما سَبَقَ أنْ ذَكَرْنَا في بداية هذا الفصل، طَلَبَ الرُّسُولُ بولس مِن أَهْلِ كُولُوسِّي أنْ يُصَلُّوا إلى اللَّهِ لِيُسَاعِدَه في الإعلان عن سِرِّ المسيح بوضوح، وهي الطريقة التي يجدر بنا التكلُّمُ بها (كُولُوسِّي 4: 3-4). وقد تَحَدَّثَ الرُّسُولُ بولس وتَصَرَّفَ بطريقتين مُختلِفَتَيْنِ وَفَقًّا للمجموعة التي كان

يَتَكَلَّمُ معها، سواءً أكانوا اليهود أَمْ أَهْلَ أَثِينَا، وابتدأ مع كليهما بوضع أساسٍ مُشْتَرَكٍ حَتَّى يَفْهَمَ المستمعون المغزى عندما يَصِلُ بالحديث إلى يسوع. لَمْ يَبْدَأِ الرسولُ بولس- في كلامه إلى مستمعيه- بالنواحي الخِلافِيَّةِ في الإيمان بشأن يسوع، كما أَنَّهُ لَمْ يَتَرَدَّدْ في التكلُّمِ عنها، فهو اختار الكلمات بعناية، وهي كلماتٌ فَهَمَّها الذين استمعوا إليه.

نتبع مثال الرسول بولس فنضع الأساسات ونبني الجسور. ونعلن بكلِّ سرورٍ أَنَّ يسوع هو ابن الله، مِنْ دُونِ أَنْ تَكُونُ هذه الحقيقة هي أولى الحقائق التي نَتَكَلَّمُ عنها. نستطيع أَنْ نَسْتَخْدِمَ اسمَ «يسوع» أو «عيسى»، لأنَّنا نَعْلَمُ أَنَّ المهمَّ في الموضوع هو الشخص الذي نقصده من كلامنا. نستطيع أَنْ نُصَلِّيَ بعيونٍ مفتوحةٍ وأيادٍ مرفوعةٍ إلى السماء أو أَنْ نَرَسُمَ إشارةَ الصليب، أي نستطيع أَنْ نَسْتَخْدِمَ كُلَّ ما قد يُوَضِّحُ حالةَ الخشوع والإيمان في الصلاة.

نستطيع البدء مع بعض الأشخاص بتكوين المفاهيم المُشْتَرَكَةِ حَوْلَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بينما نَقْتَبِسُ مِنْ شعراء مشهورين مثل أبي نَوَّاسٍ أو نزار قَبَّانِي في أثناء كلامنا معهم. أو قد نبدأ بِمُشَارَكَةِ أحداثٍ أَحَدِ أَفْلامِ مارفل أو باقتباسٍ من القرآن. نستطيع أَنْ نبدأ ببناء الجسور مِنْ أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ لَكِنَّا نَقُومُ دَائِمًا ببنائها في اتِّجَاهِ يسوع؛ مُخْلِصِنَا المصلوب والمُقَامِ مِنْ بَيْنِ الأموات.

سياجان اثنان

اسْتَخْدَمَ الرسولُ بولس وغيره مِنْ كُتَّابِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ اللُّغَةَ بِحُرِّيَّةٍ كَامِلَةٍ مِنْ أَجْلِ إيضاح رسالة الإنجيل لمجموعاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ النَّاسِ،

كما حَدَّثَ في بعض الحالات عندما اقْتَبَسَ الرُّسُولُ بولس من الشعراء اليونانيِّين الذين كَتَبُوا عن الإله «زيوس»، وقد فوجئنا من مضمون كلامهم، لكنَّ كُتَّابَ الكتاب المُقَدَّس حرصوا دائماً على التحدُّثِ ضَمْنِ سياجِنِ للحماية هما: **أَوَّلًا**، لَمْ يَعْتَرَفُوا في كلماتهم وسلوكهم وأفعالهم بإلهٍ مُزَيَّف؛ فَلَمْ يَقُلِ الرُّسُولُ بولس مثلاً إِنَّ الإله «زيوس» كان إلهًا حقيقيًّا ويستطيع أَنْ يَعْلَمَنَا أمورًا عن الله. **ثانيًا**، لَمْ يُنْكِرْ كُتَّابُ الكتاب المُقَدَّس هُويَّةَ يسوع المسيح وعَمَلَهُ. استمرَّ الرُّسُولُ بولس في الكرازة بالمسيح المصلوب والمُقام من بين الأموات، سواءً أكان يَتَحَدَّثُ إلى اليهود أم إلى اليونانيِّين.

وبينما نُفَكِّرُ في الأشخاص الذين مِن حَوْلنا وفي كَيْفِيَّةَ إيصال رسالة الإنجيل لهم بطريقةٍ مفهومة، علينا أَنْ نَطْرَحَ على أَنْفُسنا سؤاليْن لضمان أمانتنا لرسالة لإنجيل: هل نَعْتَرِفُ بأفعالنا أو بِلُغَتنا بإلهٍ زائف؟ وهل تُنْكِرُ أفعالنا أو لُغَتنا يسوعَ المسيح؟ بواسطة هذين السياجَيْن، نستطيع أَنْ نَجِدَ بأمانٍ وإبداعٍ أساليبَ جديدةً لمُشاركة رسالة الإنجيل مع الآخرين حتَّى يَفْهَمُوا هُويَّةَ الربِّ يسوع وعَمَلَهُ مِن أَجْلِنا بموته وقيامته من بين الأموات. إِنَّ هَدَفنا هو إعلانُ سِرِّ المسيح، أيُّ لَجَعِله واضحًا كما ينبغي (كولوسِّي 4: 4).

السَّيْرُ فِي «دَرْبِ الْإِيمَانِ»

1. اقرَأ سِفْرَ أعمال الرسل 82: 32-42. كيف تنمو في قُدْرَتِكَ على إقناع الآخرين بيسوع؟

2. حَدِّدْ شخصين غير مُؤْمِنَيْنِ من معارفك: واحدًا مِن خَلْفِيَّتِكَ نَفْسُها

وواحدًا مِن خَلْفِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ. كيف يختلفان بعضهما عن بعض؟ كيف تستطيع أَنْ تُغَيِّرَ مِنْ أَفْعَالِكَ أَوْ كَلَامِكَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ أَجْلِ إِيصَالِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ بوضوح؟

3. أَعِدْ كِتَابَةَ اخْتِبَارِكَ الَّذِي كَتَبْتَهُ فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ (تحت العنوان: السير في «دَرْبِ الْإِيمَان»). اَعْمَلْ عَلَى تَغْيِيرِ آيَةٍ كَلِمَةٍ أَوْ عِبَارَةٍ مُسْتَحْدَمَةٍ فِي السِّيَاقِ الْمَسِيحِيِّ عَلَى نَحْوِ وَاضِحٍ، أَيْ الْكَلِمَاتِ أَوْ الْعِبَارَاتِ الَّتِي يَصْعُبُ عَلَى غَيْرِ الْمَسِيحِيِّينَ فَهْمُهَا.

4. مَعَ مَنْ سَتُشَارِكُ رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ بِطَرِيقَةٍ مَفْهُومَةٍ هَذَا الْأُسْبُوعَ؟

الفصل الخامس

لله الكلمة، وليس للمُعَلِّم

تنتمي زهرة إلى عائلةٍ مُسَلِّمة، وعلى الرغم من ذلك، فقد أُرْسِلَتْ إلى مدرسةٍ كاثوليكيَّةٍ فرنسيَّةٍ بسبب قناعةٍ أهلها بأنَّها ستتلقَّى فيها تعليمًا أفضل. قام «الجدعونيون»، وهي منظمةٌ دوليَّةٌ تُعنى بتوزيع الكتب المقدَّسة، بإعطاء نسخةٍ من العهد الجديد في مدرسة زهرة لكلِّ طالبٍ أو طالبةٍ فيها. تَخَلَّصَ مُعْظَمُ الطَّلَّابِ مِنَ النُّسخِ التي حَصَلُوا عليها، أمَّا زهرة فقد احتفظتُ بها، مع أنَّها لم تكن تنوي قراءتها.

بَعْدَ التخرُّج؛ انتقلتُ زهرة إلى انجَمينا (عاصمة تشاد) من أجل استكمال دراستها الجامعيَّة والعيش مع أقاربها. عاملها أقرباؤها معاملةً سيئةً، فضربوها وتكلَّموا معها بقسوة، وجعلوا حياتها حياةً بائسةً تعيسة. بحثتُ زهرة عن التشجيع، فذهبتُ إلى المسجد المحليِّ وسألتُ الإمام عن آياتٍ من القرآن تريحها وتُشجِّعها، فأعطاهَا قائمةً من الآيات، فقرأتها بعناية، لكنَّها شعرتُ بأنَّ هذه الآيات فارغةٌ بلا حياة. واستمرَّ أقرباؤها بالإساءة إليها فشعرتُ زهرة باليأس.

في إحدى الليالي، حلِمْتُ زهرة حُلْمًا ظَهَرَ فيه يسوع لها وأراها آثارَ الجراح، وقال لها: «قد عانيتُ لكي آخذَ عنك معاناتك. اتبعيني». في صباح

اليوم التالي، فيما كانت زهرة تبحث في كُتُبِها وَجَدَتِ العهدَ الجديدَ الذي نَسِيتُ وجودَه من الأصل، وَلَمْ تُدْرِكْ أَنَّهَا وَضَعَتْهُ فِي حَقِيبَتِهَا عِنْدَ انْتِقَالِهَا مِنْ مَنْزِلِ أَهْلِهَا، فَهِيَ لَمْ تَقْصِدْ أَنْ تُحْضِرَهُ مَعَهَا.

فَتَحَتْ زهرةَ الكتاب، وقرأت الآية الأولى التي رأتها (في إنجيل مرقس 10: 27)، التي تقول: «عِنْدَ النَّاسِ غَيْرِ مُسْتَطَاعٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللَّهِ». جَذَبَتْ هَذِهِ الْآيَةُ زهرةً، وَلَمْ تَسْتَطِعِ التَّوَقُّفَ عَنِ الْقِرَاءَةِ، وَبَيْنَمَا غَرِقَتْ فِي صَفَحَاتِ الْكِتَابِ، بَدَأَتْ تَشْعُرُ بِأَنَّهَا تَمْتَلِئُ مِنَ الْفَرَحِ وَالسَّلَامِ، وَبِطَرِيقَةٍ مَا تَأْكُدُّ مِنْ صِحَّةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَأَمْنَتْ.

بَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ، التَقَتْ زهرةٌ بِمُوسَى، وَهُوَ زَمِيلٌ لَهَا فِي الْجَامِعَةِ نَفْسِهَا، وَحَيْثُ إِنَّهَا كَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّهُ مَسِيحِيٌّ، أَخْبَرَتْهُ بِالْحُلُمِ وَبِمَا حَدَّثَ مَعَهَا عِنْدَمَا قَرَأَتْ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ، فَالَحَّ مُوسَى عَلَيْهَا بِضُرُورَةٍ مُقَابَلَةٍ رَاعِي كَنِيسَتِهِ. بَعْدَ أَنْ سَمِعَ رَاعِي الْكَنِيسَةِ شَهَادَةَ زهرة، طَلَبَ مِنْهَا مُشَارَكَتَهَا فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي فِي أَثْنَاءِ خِدْمَةِ الْعِبَادَةِ فِي الْكَنِيسَةِ. فِي صَبَاحِ يَوْمِ الْأَحَدِ، ابْتَدَأَتْ زهرةٌ بِالْمُشَارَكَةِ عَنْ رُؤْيَيْهَا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حُلْمِهَا، وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِوَسْطَةِ قِرَاءَتِهَا لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَأَعْلَنْتْ عَنْ إِيْمَانِهَا أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ حَقًّا مِنْ أَجْلِ خَطَايَاهَا وَأَنَّهُ قَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. اسْتَمَعَ الْجَمِيعُ بِعُنَايَةٍ مَنْدَهْشِينَ مِنْ تَأْثِيرِ قُوَّةِ اللَّهِ فِي حَيَاةِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ، بَدَأَ كَثِيرُونَ بِالْبُكَاءِ وَبِالاعْتِرَافِ بِخَطَايَاهُمْ. وَهَكَذَا ابْتَدَأَتْ نَهْضَةُ رُوحِيَّةٍ فِي الْكَنِيسَةِ بِوَسْطَةِ شَهَادَةِ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ آمَنْتْ بِيَسُوعَ قَبْلَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ فَقَطْ.

لَمْ تُصْبِحْ زهرةٌ مِنْ أَتْبَاعِ الرَّبِّ يَسُوعَ لِأَنَّ شَخْصًا مَا أَقْنَعَهَا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ أَوْ أَنَّهُ أَظْهَرَ لَهَا أَسْبَابَ زَيْفِ دِينِهَا، فَقَدْ آمَنْتْ بِيَسُوعَ، لِأَنَّ اللَّهَ كَشَفَ نَفْسَهُ لَهَا. وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ أَوَّلًا بِوَسْطَةِ حُلُمٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ - عَلَى نَحْوِ

واضح- بواسطة الكتاب المقدس. لَمْ يَكُنْ لدى زهرة مَنْ يُعَلِّمُهَا مضمون رسالة الإنجيل؛ ولكنَّ الله هو مَنْ عَلَّمَهَا.

قال الرب يسوع: «لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقْبَلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الْآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ. إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْأَنْبِيَاءِ: وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللَّهِ. فَكُلُّ مَنْ سَمِعَ مِنَ الْآبِ وَتَعَلَّمَ يَقْبَلُ إِلَيَّ» (يوحنا 6: 44-45). جَذَبَ اللَّهُ زهرةَ لِنَفْسِهِ، وَعَلَّمَهَا مِنْ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، ولهذا السبب لجأت إلى يسوع.

لا يَأْتِي أَحَدٌ إِلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَأْتِ اللَّهَ إِلَيْهِ أَوَّلًا وَيَجْذِبْهُ إِلَيْهِ، وعندما يَفْعَلُ اللَّهُ ذلك، فَإِنَّهُ يَفْتَحُ لَهُ عَيُونَهُ وَقَلْبَهُ. وهو يُعَلِّمُهُ بواسطة تمكينه مِنْ فَهْمِ هُويَةِ الربِّ يسوع، والعمل الذي قام به نيابةً عَنَّا. فقد أَتَيْنَا جميعنا إِلَى يسوع، لِأَنَّا سَمِعْنَا أَوَّلًا وَتَعَلَّمْنَا مِنَ الْآبِ. اللَّهُ هُوَ الْمُعَلِّمُ النَّهَائِيّ.

يُعَلِّمُ اللَّهُ عَلَى نَحْوِ رَئِيسٍ بِوَسْطَةِ الْكِتَابِ الَّذِي أَوْحَى بِهِ، أَيِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. نَسْمَعُ وَنَتَعَلَّمُ عَنْ خَلاصِ اللَّهِ بِوَسْطَةِ يسوع المسيح فِي صَفَحَاتِ النُّصُوصِ الْكِتَابِيَّةِ. نُؤْمِنُ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ الْمَكْتُوبَةُ وَأَنَّهُ يَحْمِلُ حَقَّ اللَّهِ فِيهِ.

لِلَّهِ الْكَلِمَةُ لِأَنَّ لَدَيْهِ السُّلْطَانُ، فَنبني حياتنا وخدمتنا على سُلْطَةِ كَلِمَتِهِ. وَغَايَتُنَا مِنْ هَذَا الْفَصْلِ أَنْ نُلَاحِظَ ضَرُورَةَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ (كَلِمَةُ اللَّهِ) وَمُرَكِّزِيَّتِهِ فِي التَّلْمِذَةِ. نُرِيدُ أَيْضًا أَنْ نَزُوْدَكَ بِأَدَاةٍ سَهْلَةٍ لِقِيَادَةِ الْآخَرِينَ فِي دَرَاةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ حَتَّى يَتَعَلَّمُوا الْاعْتِمَادَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى كَلِمَتِهِ بَدَلًا مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَيْكَ وَعَلَى كَلَامِكَ.

قيمة نصوص الكتاب المقدس

يُوضِّحُ الرَسُولُ بولس في 2 تيموثاوس 3: 14-17 أَهْمِيَّةَ نصوص الكتاب المقدس في حياتنا الروحية من بدايتها إلى نهايتها. تَعَلَّمَ تيموثاوس الكتب المقدسة من والدته وجدته عندما كان طفلاً. ذَكَرَ الرَسُولُ بولس تيموثاوسَ بأنَّ هذه الكتب المقدسة هي «الْقَادِرَةُ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلَاصِ، بِالْإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (2 تيموثاوس 3: 15). وقد وَجَدَ تيموثاوس الخلاص في الكتب المقدسة لأنه قرأ فيها رسالة الإنجيل.

نَعْتَمِدُ عَلَى الكتاب المقدس من بداية حياتنا المسيحية حتَّى النهاية. تَابَعَ الرَسُولُ بولس في الآية 16 قائلاً: «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَى بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبَرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللَّهِ كَامِلًا، مُتَّاهِبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ» (2 تيموثاوس 3: 16-17). سواء أَكُنَّا حُدَيْثِي الْإِيمَانِ أَمْ أَنَّنَا نَسِيرُ مَعَ يَسُوعَ مِنْذُ عَقُودٍ، فَسَنَحْتَاجُ دَائِمًا إِلَى التَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ، أَيَّ إِلَى كَلِمَةِ اللَّهِ.

نَحْتَاجُ إِلَى التَّعْلِيمِ لِأَنَّنَا لَا نَعْرِفُ عَلَى نَحْوِ تَلَقَائِي هُوِيَّةَ اللَّهِ وَالْأُمُورَ الَّتِي عَمَلِمَهَا. وَنَحْتَاجُ إِلَى التَّوْبِيخِ لِأَنَّنَا نَرْتَكِبُ الْأَخْطَاءَ. وَنَحْتَاجُ إِلَى التَّقْوِيمِ لِأَنَّنَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ نَفَكِّرُ فِي مَا هُوَ خَاطِئٌ وَنُؤْمِنُ بِهِ. وَنَحْتَاجُ إِلَى التَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبَرِّ لِأَنَّنَا لَا نَعْرِفُ كَيْفِيَّةَ فِعْلٍ مَا هُوَ صَحِيحٌ. يُقَدِّمُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ لَنَا كُلَّ هَذِهِ الْأُمُورِ.

لَا بَلْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، يُوضِّحُ الرَسُولُ بولس أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ مَفِيدٌ «لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللَّهِ كَامِلًا» (الآية 17). فَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يُؤَهِّلُنَا وَيُعِدُّنَا لِكَيْ نَتَجَهَّزَ لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ بِوَسْطَةِ التَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ. نَعْرِفُ الصَّوَابَ بِوَسْطَةِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَعِيشُ وَفَقًا لَهُ.

لله الكلمة، وليس للمُعَلِّم

إِنَّ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ ضَرُورِيَّةٌ لَجَعْلِنَا حُكَمَاءَ لِلخِلاصِ، وَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ لَتَجْهِيْزِنَا لَعِيْشِ حَيَاةِ الْبِرِّ، وَهِيَ تُظْهِرُ لَنَا كَيْفِيَّةَ الْبَدْءِ بِرَحْلَتِنَا فِي «دَرْبِ الْإِيْمَانِ». كَمَا تُعَلِّمُنَا كَيْفِيَّةَ الْاسْتِمْرَارِ فِي «دَرْبِ الْإِيْمَانِ».

كَانُوا أَشْرَفَ

أَعْلَنَ النَّبِيُّ دَاوُدُ فِي مَزْمُورِ 19 مَا يَلِي: «نَاْمُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرْدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيْمًا» (مَزْمُور 19: 7). عِنْدَمَا نَتَأَمَّلُ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ، نَصِيْحُ أَكْثَرَ حِكْمَةً مِنْ أَعْدَائِنَا وَأَكْثَرَ عَقْلَانِيَّةً مِنْ جَمِيْعِ مُعَلِّمِنَا وَأَكْثَرَ فِطْنَةً مِنْ الشَّيُوْخِ (مَزْمُور 119: 98-100).

إِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ هُوَ الصَّخْرَةُ الَّتِي نَقَفَ عَلَيْهَا، وَهُوَ مَرْسَاةُ الْحَقِّ فِي عَالَمٍ مِنَ الرَّمَالِ الْمُتَحَرِّكَةِ، وَهُوَ جَوْهَرُ حَيَاةِ إِيْمَانِنَا. لِذَا، يَنْبَغِي أَنْ تَتَدَقَّقَ أَفْكَارُنَا وَكَلِمَاتُنَا وَأَفْعَالُنَا مِنَ الْحَقِيْقَةِ الَّتِي نَتَعَلَّمُهَا مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ. تَعْلُو الْكُتُبُ الْمُقَدَّسَةُ عَلَى أَفْكَارِ الْجَمِيْعِ وَعَلَى كَلِمَاتِهِمْ؛ وَيَشْمَلُ ذَلِكَ الْأَمْرُ كَلِمَاتِ الرِّسْلِ أَنْفُسَهُمْ. نَقْرَأُ فِي أَعْمَالِ الرِّسْلِ الْأَصْحَاحِ 17 أَنَّ الرِّسُولَ بُولَسَ وَسِيْلًا غَادِرًا مَدِيْنَةَ تَسَالُونِيْكِي وَوَصَلَ إِلَى بِيْرِيَّةَ، وَأَنْهَمَا شَارَكَا فِي الْمَكَانَيْنِ عَنِ الطَّرِيْقِ وَالْحَقِّ وَالْحَيَاةِ، وَقَدْ أَمَنَ أَنْاسٌ فِي الْمَكَانَيْنِ بِرِسَالَتِهِمَا وَقَبِلُوا الْكَلِمَةَ بِكُلِّ نَشَاطٍ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَدْ أَخْبَرَنَا لَوْقَا أَنَّ أَهْلَ بِيْرِيَّةَ كَانُوا أَشْرَفَ مِنَ الَّذِينَ فِي تَسَالُونِيْكِي لِأَنَّهُمْ قَبِلُوا الْكَلِمَةَ: «فَاحْصِيْنَ الْكُتُبَ كُلَّ يَوْمٍ: هَلْ هَذِهِ الْأُمُورُ هَكَذَا؟» (أَعْمَالُ الرِّسْلِ 17: 11).

عَرَفَ أَهْلُ بِيْرِيَّةَ أَنَّ اللَّهَ كَشَفَ الْحَقِيْقَةَ عَنْ نَفْسِهِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، لِذَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَجِيْءِ الرِّسْلِ وَتَعْلِيْمِهِمْ لَهُمْ، فَإِنَّ أَهْلَ بِيْرِيَّةَ أَصْرَوْا عَلَى التَّحَقُّقِ مِنْ كُلِّ مَا سَمِعُوهُ مِنَ الرِّسْلِ بِمُقَارَنْتِهِ مَعَ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ، حَيْثُ

أَرَادُوا أَنْ يَعْرِفُوا مَا إِذَا كَانَ تَعْلِيمُ الرُّسُولِ بُولَسَ عَنِ الْمَسِيحِ مُتَجَدِّدًا فِي كَلِمَةِ اللَّهِ أَمْ أَنَّهُ كَانَ مِنْ بَنَاتِ أَفْكَارِهِ.

وَأَنْتِ أَيْضًا، عَزِيزِي الْقَارِئُ، إِنْ رَغَبْتَ فِي أَنْ تَكُونِ أَشْرَفَ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَتَنَاوَلَ كُلَّ التَّعَالِيمِ الْمَوْجُودَةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَنْ تُقَارِنَهُ بِالْكَتَبِ الْمُقَدَّسَةِ لِتَتَأَكَّدَ مِنْ صَحَّةِ كَلِمَاتِهِ. فَبِئْسَ نَهَايَةُ الْمَطَافِ، الْكَلِمَةُ لِلَّهِ وَلَيْسَ لِهَذَا الْكِتَابِ.

يَشْهَدُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ كُلُّهُ عَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ

عِنْدَمَا كَانَ الرُّسُولُ بُولَسُ يُبَشِّرُ وَيُعَلِّمُ أَنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ هُوَ الْمَسِيحُ فِي تَسَالُونِيكِي وَبِيرِّيَّةَ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَ أَيْدِي الْمَسْتَمْعِينَ إِلَيْهِ إِنْجِيلٌ مَتَّى أَوْ إِنْجِيلُ مَرْقَسَ لِيَتَفَحَّصُوا صَحَّةَ تَعَالِيمِهِ لِأَنَّ الْأَنْجِيلَ لَمْ تَكُنْ مَكْتُوبَةً بَعْدُ، وَكَانَ لَدَيْهِمْ فَقَطِ الْعَهْدُ الْقَدِيمُ أَيْ النَّامُوسُ وَالْكِتَابَاتُ وَالْأَنْبِيَاءُ. فَفَحَّصُوا تَعَالِيمَ الرُّسُولِ بُولَسَ بِالاعْتِمَادِ عَلَى هَذِهِ الْكَتَبِ، لِأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ هِيَ الْمَسِيحُ.

انضمَّ الرَّبُّ يَسُوعُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ إِلَى تَلْمِيزِينَ يَمْشِيَانِ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى عَمَوَاسَ، حَيْثُ كَانَا يَأْتِسَيْنِ وَمُحَبِّطَيْنِ لِأَنَّهُمَا كَانَا مُقْتَنِعَيْنِ بِأَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ وَلَكِنَّهُ مَاتَ، وَكَانَا أَيْضًا فِي حَيْرَةٍ لِأَنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ أَخْبَرْنَ التَّلَامِيذَ أَنَّ جَسَدَ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَبْرِ وَأَنَّ مَلَكَاتًا أَعْلَنَ أَنَّهُ حَيٌّ.

اسْتَمَعَ الرَّبُّ يَسُوعُ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، وَعِنْدَمَا انْتَهَيَا مِنْ كَلَامِهِمَا، قَالَ لَهُمَا: «أَيُّهَا الْغَيِّبَانِ وَالْبَاطِلِيَّةُ الْقُلُوبُ فِي الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟» (لُوقَا

لله الكلمة، وليس للمُعَلِّم

24: -25) 26). فلو تَنَبَّهَ هذان الرَّجُلانِ وَأَمَّنَا بِالكَتَبِ الْمُقَدَّسَةِ لَعَرَفَا أَنَّهُ ضروريٌّ للمسيح أن يَتَأَلَّمَ وأن يموتَ، وَمِنْ ثَمَّ أن يَتِمَّجِدَ.

أَظْهَرَ لَهُمَا الرَّبُّ يَسُوعَ فُورًا مِنَ الْكَتَبِ الْمُقَدَّسَةِ مَا لَمْ يَرَوْهُ مِنْ قَبْلُ؛ إِذ قَالَ الْبَشِيرُ لُوقَا عَنْهُ: «ثُمَّ انْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ» (الآيَةُ 27).

إِنَّ رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ، أَيِ الْمُصَالَحَةِ مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ الْمَسِيحِ وَقِيَامَتِهِ، مُعَلَّنَةٌ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. اعْتَمَدَ الرَّبُّ يَسُوعَ الْمَقَامَ عَلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِتَوْضِيحِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ. وَنَحْنُ أَيْضًا، يَجْدُرُ بِنَا الْاعْتِمَادَ عَلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عِنْدَمَا نَعْلَمُ، لِأَنَّ لِلَّهِ الْكَلِمَةَ، وَلَيْسَ لِلْمُعَلِّمِ.

فَهُمُ الْإِنْجِيلِ فِي سِيَاقِ قِصَّةِ اللَّهِ الْكَبِيرَةِ

نَجِدُ أَنَّ بَعْضَ الْبُلْدَانِ وَالْمَدَنِ وَالْأَحْيَاءِ السَّكْنِيَّةِ وَالْعَائِلَاتِ تَعِيشُ حَيَاةً مُتَحَفِّظَةً. أَتَتْ فَاطِمَةُ مِنْ خَلْفِيَّةٍ مُشَابِهَةٍ، وَقَدْ تَعَرَّفَتْ نُورٌ عَلَيْهَا بِوَسْطَةِ تَطْبِيقِ الْوَاتْس-آب. قَرَأَتْ فَاطِمَةُ عَنْ يَسُوعَ عَبْرَ الْإِنْتَرْنِتِ وَأَرَادَتْ اكْتِسَابَ مَزِيدٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ عَنْهُ، فَسَجَّلَتْ رَقْمَ هَاتِفِهَا عَلَى مَوْقِعِ الْإِكْتِرُونِيِّ وَطَلَبَتْ أَنْ يَجْرِيَ الْاتِّصَالُ بِهَا. حَاوَلْتُ نُورٌ فِي رِسَالَتِهَا الْأُولَى إِلَى فَاطِمَةَ أَنْ تُظْهِرَ دِفْعًا فِي الْمَحَادَثَةِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ، وَلَمْ تَتَوَقَّعْ أَنْ تُجِيبَ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا لِأَنَّ مُعْظَمَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَتَوَاصَلُونَ بِوَسْطَةِ الْمَوْقِعِ الْإِكْتِرُونِيِّ يَشْعُرُونَ لَاحِقًا بِالْخَوْفِ وَلَا يُجِيبُونَ عَلَى الرِّسَالَتِ الَّتِي وَصَلَتْهُمْ. وَلَكِنْ فَاطِمَةُ رَدَّتْ مُبَاشَرَةً، وَشَعَرْتُ بِالْفَرَحِ بِسَبَبِ اتِّصَالِ نُورٍ بِهَا، وَشَرَحْتُ فَاطِمَةَ لَهَا أَنَّ عَائِلَتَهَا لَنْ تَسْمَحَ لَهَا بِمُقَابَلَتِهَا. وَمَعَ أَنَّهَا أَنْهَتْ مُؤَخَّرًا دِرَاسَتَهَا وَتَحَصَّلَتْ عَلَى شَهَادَةِ الْبِكَالُورِيُوسِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَإِنَّهُ نَادِرًا مَا يُسَمَحُ لَهَا

بِمَغَادِرَةِ الْمَنْزِلِ، وَلَا سَيِّمَا وَحْدَهَا. لِذَلِكَ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ حَصْرِ الْعَلَاقَةِ لِتَكُونِ عِبْرَ تَطْبِيقِ الْوَاتِس-آبِ.

قَرَّرْتُ نُورُ أَنْ تَبْدَأَ بِدَرَاةِ إِنْجِيلِ مَتَّى مَعَ فَاطِمَةَ. لَمْ تَشْعُرْ فَاطِمَةُ بِالْكَتْفَاءِ بِقَرَاءَةِ قَدْرِ بَسِيطٍ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ؛ إِذْ إِضَافَةً إِلَى دَرَاةِهَا لِإِنْجِيلِ مَتَّى، قَرَأْتُ أَيْضًا إِنْجِيلَ لَوْقَا وَنُصَفَ سِفْرِ التَّكْوِينِ قَبْلَ مَوْعِدِ الدَّرَاةِ التَّالِيِ مَعَ نُورِ. أَحَبَّتْ فَاطِمَةُ الْأُمُورَ الَّتِي قَرَأَتْهَا، وَبَعْدَ قَرَاءَةِ إِنْجِيلِ مَتَّى الْأَصْحَاحِ 22 عَنْ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا يَتَزَوَّجُونَ فِي الْقِيَامَةِ وَلَكِنْ يَكُونُونَ مِثْلَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ، عَلَّقْتُ قَائِلَةً: «كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ التَّعْلِيمَ عَنْ الرِّجَالِ الَّذِينَ سِيَحْصِلُونَ عَلَى الْعِذَارَى فِي السَّمَاءِ كَانَ كَذِبَةً كَبِيرَةً» بَدَأْتُ فَاطِمَةَ تَلَاخِظُ بَرُوزَ مَصْدَرٍ جَدِيدٍ لِلسُّلْطَةِ وَلِلْحَقِيقَةِ فِي حَيَاتِهَا.

انْبَهَرْتُ فَاطِمَةُ بِالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَقَرَّرْتُ نُورُ أَنْ تَقُودَهَا فِي دَرَاةِ عَشْرِ قِصَصٍ- ابْتِدَاءً مِنَ الْخَلْقِ وَصُولاً إِلَى الْمَسِيحِ- مِنْ أَجْلِ أَنْ تُقَدِّمَ لَهَا صُورَةً عَامَّةً عَنْ قِصَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَأَنْ تُسَاعِدَهَا عَلَى فَهْمِ سَبَبِ مَجِيءِ يَسُوعَ وَمَوْتِهِ. وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَيْنِي فَاطِمَةَ بِشَأْنِ سَبَبِ مَوْتِ يَسُوعَ عِنْدَمَا قَرَأْتُ الْمَقْطَعِ فِي إِشْعِيَاءِ الْأَصْحَاحِ 53، فَكَتَبْتُ إِلَى نُورِ: «الآنَ فَهَمْتُ سَبَبَ مَوْتِ يَسُوعَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَايَ. قَدْ قَرَأْتُ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى أَنَّهُ مَاتَ، وَلَكِنْ لَمْ أَفْهَمْ بَتَاتًا السَّبَبَ حَتَّى الْآنَ».

بَعْدَ الْانْتِهَاءِ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ الْعَشْرِ، قَرَأْتُ فَاطِمَةَ بَقِيَّةَ الْأَنْجِيلِ. وَبَعْدَ مَرُورِ شَهْرٍ تَقْرِيبًا، آمَنْتُ. فَقَدْ فَهَمْتُ فَاطِمَةُ رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ بِفَضْلِ الْخَلْفِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. وَهِيَ الْآنَ لَيْسَ فَقَطْ فَهَمْتُ، بَلْ أَيْضًا آمَنْتُ حَقًّا أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَاهَا، فَقَدْ وَضَعَتْ إِيمَانَهَا فِي يَسُوعَ وَفِي مَوْتِهِ الْكَفَّارِيِّ وَفِي قِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. تَسْتَمِرُّ نُورُ بِدَرَاةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَعَ فَاطِمَةَ عَلَى تَطْبِيقِ الْوَاتِس-آبِ، مِنْ دُونِ أَنْ تَلْتَقِيَ شَخْصِيًّا.

أَدَّتْ نُورُ دَوْرَهَا بِإِخْلَاصٍ؛ فَقَدْ تَوَاصَلَتْ مَعَ فَاطِمَةَ وَقَادَتْهَا فِي دِرَاسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَلَكِنَّ الْأَمْرَ الْوَاضِحَ لَنَا جَمِيعًا هُوَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ مَنْ غَيَّرَ قَلْبَ فَاطِمَةَ، فَقَدْ أَنْارَتْ قُوَّةُ اللَّهِ الْقَادِرَةِ عَلَى تَخْلِيسِ فَاطِمَةَ بِوَاسِطَةِ الْإِنْجِيلِ. عَلَّمَتْ نُورُ فَاطِمَةَ مِنَ الْبَدَايَةِ أَنَّ تَبَحُّثَ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ، وَأَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ بَدَلًا مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَى كَلَامِ نُورٍ، وَعَلَّمَتْ فَاطِمَةَ أَنَّ تَسْتَخْدِمَ أَسْئَلَةً بَسِيطَةً عِنْدَ دِرَاسَةِ آيَةٍ قِصَّةٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. لَا شَكَّ أَنَّ تَلْمِذَةَ شَخْصٍ مَا بِوَاسِطَةِ تَطْبِيقِ الْوَاتِس-آبِ لَيْسَتْ عَمَلًا مِثَالِيًّا لَكِنَّهَا تَضْمَنُ أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي نَتَلَمَّذُهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَوَاكَلَ مُعْتَمِدًا عَلَى مَهَارَتِنَا التَّعْلِيمِيَّةِ. وَثَقَّتْ نُورُ بَقْوَةِ اللَّهِ فِي كَلِمَتِهِ، فَقَامَ اللَّهُ شَخْصِيًّا بِتَعْلِيمِ فَاطِمَةَ وَبِفَتْحِ عَيْنَيْهَا لِاِكْتِشَافِ الْحَقِيقَةِ.

دِرَاسَةُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَعَ آخَرِينَ

نَجِدُ الْإِنْجِيلَ، الَّذِي هُوَ قُوَّةُ اللَّهِ لِلْخَلَاصِ، فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. كَانَ بِمَقْدُورِ اللَّهِ أَنْ يُعْلِنَ عَنِ الْإِنْجِيلِ بِوَاسِطَةِ النُّجُومِ لَوْ أَرَادَ، وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِنَدْوَيْنِ إِعْلَانِهِ فِي كِتَابٍ. نَهْدَفُ فِي «دَرْبِ الْإِيمَانِ» عَلَى نَحْوِ دَائِمٍ أَنْ نَشْجَعَ الْآخَرِينَ عَلَى قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَعَنَا. نَعْلَمُ أَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ فَعَالَةٌ قُوَّةً. وَعِنْدَمَا نَقْرَأُ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَفَاعَلَ مَعَ اللَّهِ الْحَيِّ الَّذِي يُعْلِنُ عَنْ نَفْسِهِ بِوَاسِطَةِ كَلِمَتِهِ. وَبَدَلًا مِنَ الْجِدَالِ مَعَ الْآخَرِينَ حَوْلَ هُوِيَّةِ يَسُوعَ، فَإِنَّا نَدْعُوهُمْ لِاِكْتِشَافِ الْأُمُورِ بِأَنْفُسِهِمْ، حَيْثُ إِنَّ أَوْضَحَ مَكَانٍ لَهُمْ لِرُؤْيَا يَسُوعَ هُوَ فِي صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. يُعَانِي بَعْضُ النَّاسِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِأَنَّهُ كِتَابٌ قَدِيمٌ الْعَهْدِ. وَيَفْتَرِضُ كَثِيرُونَ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَيْنَا الْيَوْمَ أَوْ أَنَّهُ لَا صَلَةَ لَهُ بِالْحَاضِرِ. فَهُوَ

يروى قصصًا من أيامٍ تختلف تمامًا عن الأيام التي نعيش فيها. ونَجِدُ أَنَّهُ يَصُغُبُ قِرَاءَةَ بعضِ الترجمات لأنَّها تحتوي على كلماتٍ غريبةٍ أَصْبَحَتْ نادرةً الاستخدام. قد تَكُونُ ترجمة «فاندايك والبستاني» العربية- وهي الترجمة التي نشأنا على قراءتها وسماعها- من أَصْعَبِ الترجمات لأولئك الذين ليست لديهم خلفيَّةٌ كنسيَّة. ولكُوننا نَهْدِفُ إلى توضيح سِرِّ المسيح كما ينبغي (كولوسِّي 4: 4)، فإنَّنا نحتاج إلى اختيار الترجمة الأسهل فَهْمًا لدى الأشخاص الذين نقرأ معهم. قد نَسْتَخْدِمُ مع بعض الناس ترجمة «فاندايك والبستاني» لأنَّها مألوفةٌ لديهم. أمَّا لِآخَرِينَ، فقد نَسْتَخْدِمُ ترجمةً أبْسَطَ مِثْل «الترجمة المشتركة» أو ترجمة «كِتَابِ الْحَيَاة». وقد يستفيد آخرون بواسطة القراءة من ترجمة «الإنجيل الشريف». فهدفنا دائمًا هو إيضاح رسالة الإنجيل.

نرغب أيضًا في أَنْ يَعْتَمِدَ الأشخاص على أَنْفُسِهِمْ في قراءة الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ والتعلُّم منه. لا يحتاج الأشخاص إلى الاعتماد علينا لفَهْمِ النِّصِّ الْكِتَابِيِّ ما دام الله مُعَلِّمَهُمُ الرَّئِيسَ. وكما فَعَلْتُ نُورَ مع فاطمة، فَإِنَّهُ جَيِّدٌ أَنْ نُعَلِّمَ الْآخَرِينَ تَدْرِيبًا بَسِيطًا في دراسة الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ يستطيعون اعتماده في أثناء قراءتهم لِأَيَّةِ فِقْرَةٍ كِتَابِيَّةٍ لتكوين مفهومٍ أَفْضَلَ عن رسالة الله لنا.

تُوجَدُ أساليبٌ عِدَّةٌ للقيام بذلك، وسنُقَدِّمُ لكم أَحَدَهَا، أي «أُسْئَلَةُ الدِّرَاسَةِ الثَّمَانِيَّةِ». لا نُزَكِّرُ على الأسلوب بحرفيَّته، بل على أَنْ يُسَاهِمَ في مُسَاعَدَةِ الْآخَرِينَ على التفكيرِ في النِّصِّ وفَهْمِ رسالته. جرى تصميم «أُسْئَلَةِ الدِّرَاسَةِ الثَّمَانِيَّةِ» لِتَكُونُ أسلوبًا سَهْلًا وَقَابِلًا لِلتَّضَاعُفِ لِدِرَاسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. نستطيع استخدام هذا الأسلوب مع أَيِّ مَقْطَعٍ كِتَابِيٍّ، كما نستطيع مُشَارَكَتَهُ بِسَهُولَةٍ بواسطة الهواتف المحمولة، وفي حال

لله الكلمة، وليس للمُعَلِّم

جرى استخدامه باستمرار، فسيستطيع مَنْ يَقُومُ بالدراسة أَنْ يَحْفَظَ هذه الأسئلة بسرعة.

نُطْلِقُ تسمية «أسئلة الدراسة الثمانية» لأنَّه من الأسهل تَذَكُّرُ قائمة العناصر عندما نَعْرِفُ عددها. ففي المرحلة الأولى- بينما الواحد مَنَّا يُحاولُ أَنْ يَحْفَظَ الأسئلة كُلَّها- فسيُساعدُه أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ عدد الأسئلة هو ثمانية عندما لا يستطيع التفكير سوى بسبعة فقط.

جرى بناء الأسئلة الثمانية بعناية لَزَرْع بذور كنيسة في مجموعة جديدة تلتقي لدراسة الكتاب المُقدَّس. وهذه هي الأسئلة الثمانية:

1. ما العسل في حياتك هذا الأسبوع؟
2. ما البصل في حياتك هذا الأسبوع؟
3. هل قُمْتَ بالتطبيق في أثناء الأسبوع الماضي؟
- اقرأ النصَّ مَرَّتَيْنِ. اسْمَحْ لشَخْصٍ واحدٍ من المجموعة أَنْ يُعيدَ ذِكْرَ النصِّ بكلماته الخاصة مُستخدِمًا لغةً عاميةً.
4. ما الذي يَصُعبُ عليك فَهْمُه في هذا النص؟
5. ماذا نَتَعَلَّمُ عن الله في هذا النص؟
6. ماذا نَتَعَلَّمُ عن الشخصية الموجودة في النص؟
7. كيف سَتُطَبِّقُ الأمر الذي تَعَلَّمْتَه في حياتك هذا الأسبوع؟
8. مع مَنْ سَتُشارك هذا النص؟

يُساعد السؤالان الأوَّلان الناسَ على تَعَلُّمِ أهمِّية الانفتاح بعضهم مع بعضٍ ومُشاركة الأمور الجيدة والسيئة في حياتهم. عندما نَسأل الناسَ

عمَّا هو العسل في حياتهم، ومنحهم الفرصة للحديث عن الخير الذي يرونه من حَوْلهم، فَإِنَّا نَزْرَعُ بذورَ الشكر والعبادة. وفي المُستقبل، عندما تتأسَّس المجموعات على نحوٍ أقوى، نستطيع التوقُّفُ بَعْدَ هذا السؤال وَصَرَفَ بعض الوقت لتقديم الشكر لله بالصلاة.

وعندما نسأل عن البصل في حياتهم، نَمْنَحُ الذين يُشاركون في الدراسة فرصةً للتعبير عمَّا كان صعبًا لهم. نَزْرَعُ بذورَ الدعاء والتشجيع. بَعْدَ مُشاركة الحاضرين، نستطيع أَنْ نَصْرِفَ الوقتَ في الصلاة مِنْ أَجْلِهِمْ وَأَنْ نُشَجِّعَ بعضنا بعضًا.

يُعالج السؤال الثالث حقيقةً ما إذا كانوا قد التزموا بتطبيق الأمور التي شاركوا بها في الدرس السابق. نَزْرَعُ مبدأ المساءلة بعضنا مع بعضٍ بهدف إطاعة الله، ونُعَزِّزُ أهميَّتها (وهو أمرٌ يَرِدُ أيضًا في السؤال السابع).

بَعْدَ طَرَحِ الأسئلة الثلاثة الأولى والصلاة مِنْ أَجْلِ بعضنا بعضًا، يَحينَ الوقت لقراءة الكتاب المقدَّس معًا. يَقُومُ أَحَدُهُمْ بقراءة القِصَّة الكتابيَّة مَرَّتَيْنِ. في حال لَمْ يَكُنْ أَيُّ شَخْصٍ في المجموعة قارئًا مُتَمَكِّنًا، نستطيع الاستماع إلى القِصَّة من إحدى تطبيقات الكتاب المقدَّس المختلفة. وَمِنْ ثَمَّ، نَطْلُبُ مِنْ شَخْصٍ آخَرَ في المجموعة إعادة سَرْدِ القِصَّة بكلماته الخاصَّة، وفي حال نسي أو أضاف أيَّ تفصيلٍ، يستطيع بقيَّةُ أفراد المجموعة أَنْ يُذَكِّروه أو يُصَحِّحوها معلوماته. إِنَّ الذاكرة الجماعيَّة للمجموعة هي دائماً أقوى من الذاكرة الفرديَّة لأيٍّ من أعضائها. يُساعد تمرين تذكُّر القِصَّة معًا وتصحيح بعضنا بعضًا على ترسيخ القِصَّة في ذاكرة كُلِّ شخصٍ.

نَبْدَأُ بَعْدَ ذلك- بواسطة مجموعة الأسئلة التالية للمجموعة الأولى- في زَرْعِ بذور التعليم ودراسة الكتاب المقدَّس. نُدْرِكُ أَوَّلًا أَنَّنَا نتعامل

مع هذا الكتاب ليس فقط من الناحية الفكرية، بل أيضًا من الناحية العاطفية. نسأل الأشخاص عما صعب عليهم فهمه في المقطع لحثهم على الانخراط مع النص. ثم نسأل عما تتعلموه عن الله في القصة. نريدهم أن يروا الله في النص. ما الذي نتعلمه عن صفات الله أو عن الأمور التي قام بها في القصة؟ ومن ثم نسأل عما نتعلمه من الشخصيات الموجودة في القصة. كيف تساعدنا الشخصيات الموجودة في القصة على فهم الطبيعة البشرية وربما على فهم قلوبنا؟ عندما ننظر إلى الأشخاص الموجودين في القصة في بعض الأحيان، سنتعلم أمورًا سلبية لا نريد القيام بها، أو قد نرى في حياتهم مثالًا لنا نريد أن نتبعه.

يُعلِّمنا السؤال السابع عن الطاعة. أمَرنا الرب يسوع أن نُعلِّم الآخرين أن يُطيعوا كُلَّ ما أوصانا به (متى 28: 20). سنعالج موضوع الطاعة على نحوٍ أوسع في الفصل السابع، الذي يحمل عنوان: «يطيعون كلمة الله». نبدأ في تعليم الذين يدرسون معنا أن يُطيعوا الله من البداية، حتى لو لم يكونوا قد آمنوا بعد. ينبغي لنا أن نطيع كُلَّ أمرٍ نتعلمه من الكتاب المقدس؛ إذ إنه كلمة الله. نريد ليس فقط أن نكون مُستمعين للكلمة، بل أيضًا أن نكون عاملين بها.

نزرع في السؤال الأخير بذور التبشير. لا ننتظر أن يصير الشخص مؤسسًا على نحوٍ كبيرٍ في إيمانه في المسيح قَبْلَ أن نُشجِّعه على المشاركة. إنَّ مشاركة القصص الكتابية هو أمرٌ مهمٌ في عملية نموِّنا بوصفنا تلاميذ يسوع ومن أجل نمو الكنيسة أيضًا. قد تواجه عملية المشاركة خارج المجموعة الدراسية في بعض السياقات تحدياتٍ وتتطلب التصرف بحكمة. نستطيع أن نكون مثالًا للآخرين بواسطة المشاركة الحكيمة بأسلوبٍ يجذب الناس ويدفعهم لسماع مزيدٍ.

نستطيع استخدام «أسئلة الدراسة الثمانية» مع أيِّ مَقْطَعٍ في الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. يُمَكِّنُنَا اختيار جَمْعِ قصصٍ حَوْلَ موضوعٍ مُعَيَّنٍ (مَثَلًا: التَّضْحِيَّةُ، الْمَلَجَأُ، الْعَائِلَةُ، الْعِبَادَةُ، الْمَالُ، قِيَمَةُ الْمَرْأَةِ...إلخ). أو نستطيع استخدام «أسئلة الدراسة الثمانية» بِكُلِّ بَسَاطَةٍ عندما نَقْرَأُ سِفْرًا مُعَيَّنًا (مَثَلًا: إِنْجِيلَ مَرْقَسٍ أو الرِّسَالَةَ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةٍ). نَهْدَفُ إِلَى اخْتِيَارِ الْقِصَصِ الَّتِي تُوجِّهُ انْتِبَاهَ النَّاسِ إِلَى يَسُوعَ وَحَتَمِيَّةِ مَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. اكْتَشِفْ احتِياجَاتِ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَرِغِبُونَ فِي الدِّرَاسَةِ مَعَكَ، وَمِنْ ثَمَّ اخْتَرْ مَجْمُوعَةً مِنَ الْقِصَصِ ذَاتِ الصَّلَةِ. سَتَجِدُونَ عِدَدًا مِنْ مَجْمُوعَاتِ الْقِصَصِ الْمُخْتَلِفَةِ عَلَى الْمَوْقِعِ الْإِلِكْتُرُونِيِّ darbaliyman.com. كَمَا تَسْتَطِيعُونَ بِالتَّأَكِيدِ أَنْ تَعْمَلُوا عَلَى إِنْشَاءِ مَجْمُوعَةِ الْقِصَصِ الْخَاصَّةِ بِكُمْ.

التعمُّق في الدراسة

تُحَسَّبُ «أسئلة الدراسة الثمانية» أَسْلُوبًا بَسِيطًا وَقَابِلًا لِلتَّضَاعُفِ نَسْتَطِيعُ اعْتِمَادَهُ لِلْبَدْءِ فِي دِرَاسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَعَ الْآخَرِينَ. وَلَكِنْ- مَعَ نَمُوِّ الْمَجْمُوعَاتِ فِي فَهْمِهَا لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ- رُبَّمَا يَكُونُ التَّعَمُّقُ فِي دِرَاسَاتِهَا أَمْرًا جَيِّدًا لِنُفَكِّرَ فِي اسْتِخْدَامِهِ. تَسْتَطِيعُونَ تَحْقِيقَ هَذِهِ الْغَايَةِ بِأَسَالِيبٍ مُتَعَدِّدَةٍ. نُدْرِجُ هُنَا مَجْمُوعَةً أُخْرَى بَسِيطَةً مِنَ الْأَسْئَلَةِ لاسْتِخْدَامِهَا فِي أَثْنَاءِ دِرَاسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَقَدْ أَطْلَقْنَا عَلَيْهَا تَسْمِيَةً «أَسْئَلَةُ الدِّرَاسَةِ الثَّمَانِيَةِ الْأَعْمَقِ». تُسَاعِدُ هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ الْمَجْمُوعَةَ عَلَى الْغَوْصِ فِي نِقَاشَاتِهَا حَوْلَ مَعْنَى النِّصِّ، وَقَدْ وُضِعَتْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ لِنُسْتَخْدَمَ مَعَ «أَسْئَلَةِ الدِّرَاسَةِ الثَّمَانِيَةِ». وَمَهْمٌّ عَلَى نَحْوٍ خَاصٍّ أَنْ يَسْتَمِرَّ أَفْرَادُ الْمَجْمُوعَةِ الدِّرَاسِيَّةِ- مَهْمَا طَالَتْ فِتْرَةُ دِرَاسَتِهِمْ مَعًا- فِي طَرْحِ

الأسئلة بعضهم على بعض، وهذه الأسئلة التي ينبغي أن يطرحوها هي تلك الأسئلة المتعلقة بتشجيع الشكر لله (السؤال الأول)، والصلاة (السؤال الثاني)، والمساءلة (السؤال الثالث)، والطاعة (السؤال السابع) والمشاركة (السؤال الثامن).

نقدّم في ما يلي ثمانية أسئلة أخرى تستطيع، عزيزي القارئ، أن تستخدمها لدراسة كلمة الله على نحو أعمق:

1. هل توجد كلمات أو عبارات متكررة أو متناقضة، أو كلمات أو عبارات تستطيع مقارنتها بكلمات أخرى؟
2. هل يوجد سبب ونتيجة في هذا المقطع؟ ما هما؟
3. ما الجو العام في هذا المقطع؟ ما المشاعر التي ولّدها فينا؟
4. ما النقطة الرئيسة في هذا المقطع؟ ماذا يريدنا الكاتب أن نفهم؟
5. ماذا تعلّمنا هذا المقطع عن يسوع وعن الإنجيل؟
6. هل توجد وعود لنؤمن بها؟
7. هل توجد وصايا لنطيعها؟
8. كيف سيبدو مجتمعنا لو عاش وفقاً لتعاليم هذا المقطع؟

ملاحظة حول المعلمين والتعليم

نشأ كثيرون بيننا على التعلّم من مدرّسين يُقدّمون لنا مُحاضرات. وهو ما يخطر على بالنا على نحو تلقائي عندما نُفكّر في موضوع التعليم، لكنّ إلقاء المُحاضرات ليس هو الطريقة الوحيدة للتعليم. نستطيع أن نُعلّم باستخدام الأسئلة التي نطرحها أو حتّى بالطريقة التي نطرح بها الأسئلة.

كما نستطيع أَنْ نُعَلِّمَ بواسطة الطلب من أشخاصٍ أَنْ يَقُومُوا بقراءة آيةٍ مُعَيَّنَةٍ مَرَّةً أُخْرَى، أو بواسطة توجيه انتباههم إلى كلمةٍ مُعَيَّنَةٍ.

رأينا هذا الأمر في الفصل الثالث بواسطة الأسلوب الذي استخدمه علاء وأبو يوسف مع محمود، وذلك لتعليمه عن يسوعٍ مِنْ إَشْعِيَاءِ الأصْحاح 53. وعلى الرغم من أَنَّهُمْ لَمْ يُلْقِيا عليه مُحَاضَرَةً، فَإِنَّهُمَا عَلَّمَاهُ. وعندما طَرَحَ محمودٌ عليهما بضعَ أسْئَلَةٍ عن النصِّ، لَمْ يُجِيبَاهُ فوراً، لَكِنْ عَوَظاً عن ذلك، وَجَّهَا انتباهَهُ إلى آيَاتٍ مُحدَّدةٍ من النصِّ بواسطة طَرَحِ الأسْئَلَةِ لمُساعدته على اكتشاف أَنَّهُ في ما يتعلَّقُ بالعبد المذكور في إَشْعِيَاءِ الأصْحاح 53، فَإِنَّهُ كان لا بُدَّ له أَنْ يَمُوتَ وَأَنْ يَرْجَعَ إلى الحياة مَرَّةً أُخْرَى. بسبب هذا الاكتشاف، تَمَكَّنَ محمودٌ من رؤية يسوع بوصفه الخادم المتألِّم.

لا تعتمد «أسئلة الدراسة الثمانية» على المُعَلِّمين، وهذا هو السبب في سهولة استخدامها. يستطيع الشخص الذي يَفْتَحُ الكِتَابَ المُقَدَّسَ لِلْمَرَّةِ الأولى في حياته أَنْ يَسْتخدِمَ هذه الأسئلة لقيادة دراسةٍ مع آخَرِينَ. نُسَاعِدُ النَّاسَ من البداية أَنْ يُدْرِكُوا أَنَّهُمْ يستطيعون مُشارَكَةَ ما يتعلَّمونه مع الآخَرِينَ، حتَّى لو لَمْ يَعْرِفُوا أين يُوجَدُ سِفْرُ إَشْعِيَاءِ في الكِتَابِ المُقَدَّسِ (نَشْكُرُ اللهَ على جدول المحتويات في بداية الكِتَابِ المُقَدَّسِ!). نرغب في أَنْ يُدْرِكَ النَّاسُ أَنَّهُمْ يستطيعون أَنْ يَتعلَّمُوا مُباشرةً من الله بواسطة الكِتَابِ المُقَدَّسِ، مِنْ دُونِ وجودِ مُعلِّمٍ مُتَدَرِّبٍ.

ومع ذلك، قد نحتاج في أوقاتٍ مُعَيَّنَةٍ إلى وجود مُعَلِّمين، حيث نحتاج في بعض الأحيان إلى مُعلِّمٍ موهوبٍ لِيَشْرَحَ لنا النصوص الصعبة أو العقائد الصعبة. إِنَّ استخدامَ أساليبٍ بسيطةٍ لدراسة الكِتَابِ المُقَدَّسِ، مثل «أسئلة الدراسة الثمانية»، لا ينفي احتياجنا إلى واعظين ومُعلِّمين. عَلِّمَ

كُلُّ مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ وَالرَّسُولَ بَطْرُسَ وَالرَّسُولَ بُولْسَ عَلَى نَحْوِ كَبِيرٍ، فَالْعُظْمَى
وَالْعُلُومُ هُمَا جُزْءَانِ مُهِمَّانِ فِي عَمَلِيَّةِ نُمُوْنَا الرُّوحِيِّ.

نَشْكُرُ اللَّهَ مِنْ أَجْلِ الْمُعَلِّمِينَ فِي كَنِيسَتِهِ. عَلَّمَنَا الرَّسُولُ بُولْسُ أَنَّ
اللَّهَ أَعْطَى لِلْكَنِيسَةِ «الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ
مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رِعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، لِأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ،
لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ» (أَفَسَسَ 4: 11-12). نَنْظُرُ إِلَى الْمُعَلِّمِينَ عَلَى أَنَّهُمْ
هَدِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ إِلَى الْكَنِيسَةِ لِأَنَّهُمْ يُجَهِّزُونَنَا لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ. يُعْطِي الرُّوحُ
الْقُدُسُ مَوْهَبَةَ التَّعْلِيمِ لِبَعْضِ النَّاسِ (رُومِيَّةُ 12: 7؛ 1 كُورِنْثُوسُ 12: 28)
حَتَّى يَتِمَّ كُنُونُهُمْ مِنْ تَشْجِيعِ الْآخَرِينَ وَتَجْهِيْزِهِمْ لِيَشْهَدُوا لِلْمَسِيحِ. نَرِيدُ
طَبْعًا أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ مَعْرِفَةٌ كَبِيرَةٌ بِالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ
وَالْقُدْرَةِ عَلَى تَبْسِيطِ الْأَفْكَارِ الْمُعَقَّدَةِ.

كُتِبَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ قَبْلَ آلَافِ السِّنِينَ بِاللُّغَتَيْنِ الْعِبْرِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ
إِضَافَةً إِلَى أَجْزَاءٍ قَلِيلَةٍ كُتِبَتْ بِاللُّغَةِ الْآرَامِيَّةِ بِوَسْطَةِ أَشْخَاصٍ عَاشُوا فِي
ثَقَافَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنْ ثَقَافَاتِنَا. وَمَعَ أَنَّ نَجْدُ تَشَابُهَا فِي بَعْضِ النُّوَاجِي مَا
بَيْنَ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ، وَثَقَافَاتِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ الْقَدِيمَةِ مِنْ جِهَةٍ
أُخْرَى، فَإِنَّا نَجِدُ أَيْضًا اخْتِلَافَاتٍ مُهِمَّةً. نَحْتَاجُ بِصِفَتِنَا مُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَلِّمِينَ
صَرَفُوا الْوَقْتَ الْكَافِيَ لِيَفْهَمُوا لُغَةَ كُتَابِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَثَقَافَتِهِمْ حَتَّى
يَتِمَّ كُنُونُهُمْ مِنْ مُسَاعَدَتِنَا فِي تَفْسِيرِ الْمَكْتُوبِ. يَقُومُ اللَّهُ بِتَعْلِيمِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ
الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ، حَتَّى لِلَّذِينَ يَجْهَلُونَ ثَقَافَةَ الْمُنَاطِقَةِ فِي أَيَّامِ يَسُوعَ أَوْ
ثَقَافَةِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ فِي أَيَّامِ مُوسَى، وَلَكِنَّا سَنَفْتَقِدُ إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
مِنْ دُونِ تَعْلِيمِ الَّذِينَ دَرَسُوا بَعْمَقِ النُّصُوصِ الْقَدِيمَةِ.

وَلَكِنْ مَعَ إدْرَاكِنا لِحَاجَةِ الْكَنِيسَةِ إِلَى مُعَلِّمِينَ يَلْعَبُونَ دَوْرًا مُهِمًّا فِي
حَيَاةِ الْكَنِيسَةِ وَصَحَّتِهَا، فَإِنَّا لَا نَرِيدُ أَنْ نَعْتَمِدَ كُلِّيًّا عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَفْرَادِ

الموهوبين. لا نريد على نحوٍ خاصٍّ أَنْ نَعْتَمِدَ اعْتِمَادًا مُبَالَغًا فِيهِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَلِّمِينَ وَلَا سَيِّمًا فِي الْمَرَاهِلِ الْأُولَى لِتَعَلُّمِ النَّاسِ وَمُشَارَكَتِهِمْ مَعَ الْآخَرِينَ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا أُولَئِكَ الْمُعَلِّمُونَ. فانتشار الإنجيل يُعَاقِ عِنْدَمَا يَعتقد المرءُ أَنَّ التبشيرَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِوِاسِطَةِ رَايِ كَنِيسَةٍ أَوْ مُعَلِّمٍ خَبِيرٍ. لِذَلِكَ، فَإِنَّا نَهْدَفُ إِلَى دَفْعِ الْأَشْخَاصِ إِلَى دِرَاسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ وَالتَّعَلُّمِ مَعًا، وَمِنْ ثَمَّ، مُشَارَكَةِ الْأُمُورِ الَّتِي تَعَلَّمُوهَا مَعَ آخَرِينَ. فَإِنْ تَكُونُ لَدَى هَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ الْانْطِبَاطُ بِضُرُورَةٍ وَجُودِ رَايِ كَنِيسَةٍ مَعَهُمْ لِيَفْهَمُوا مَا هُوَ مَكْتُوبٌ، فَلَنْ يَجْتَمِعُوا لِدِرَاسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَعًا. يَتِمَّتُ الرَّايِ الْمُدْرَبُ بِمَعْرِفَةٍ أَكْبَرٍ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَلِّمَهُمُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَيْضًا أَنْ يَفْتَحَ أَعْيُنَنَا عِنْدَمَا نَقْرَأُ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ بِبَسَاطَةٍ وَنَدْرُسُهُ بَأَنْفُسِنَا. وَاللَّهُ يَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى فِي غِيَابِ رَايِ الْكَنِيسَةِ.

أَشْهَى مِنَ الذَّهَبِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

نَعْلَمُ أَنَّ كَلِمَاتِ اللَّهِ هِيَ «أَشْهَى مِنَ الذَّهَبِ وَالْإِبْرِيْزِ الْكَثِيرِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرِ الشَّهَادِ» (مزمور 19: 10). وَلَكِنْ كَيْفَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُسَاعِدَ الْآخَرِينَ عَلَى اسْتِهَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنَ الذَّهَبِ، أَوْ تَذَوُّقِهَا عَلَى أَنَّهَا أَشْهَى مِنْ كُلِّ الْأَشْيَاءِ الطَّيِّبَةِ؟ لَا بُدَّ أَنْ يَخْتَبِرُوا ذَلِكَ بَأَنْفُسِهِمْ، وَأَنْ يُدْرِكُوا أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ وَحْدَهُ هُوَ مَنْ لَدَيْهِ كَلَامُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْعَيْشَ عَلَى الْخُبْزِ فَقَطْ بَلْ يَحْتَاجُونَ إِلَى كُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللَّهِ (مَتَّى 4: 4). وَلِلتَّعَرُّفِ عَلَى هَذِهِ الْحَقَائِقِ وَاكْتِشَافِهَا، لَا بُدَّ أَنْ يَلْتَقُوا مَعَ اللَّهِ بِوِاسِطَةِ كَلِمَتِهِ وَأَنْ يَرَوْا مَجْدَ اللَّهِ مُعَلَّنًا فِي صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

عندما أَخْبَرَ فِيلِبُّسُ نثنائيلَ: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ، يَسُوعَ ابْنَ يَوْسَافَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ» (يوحنا 1: 45). كان نثنائيل مُشَكِّكًا؛ فهو لَمْ يُصَدِّقْ فِيلِبُّسَ لَأَنَّ نثنائيلَ كَوَّنَ أَفْكَارًا مُسَبِّقَةً عَنْ هُويَّةِ الْمَسِيحِ وَالْمَكَانِ الَّذِي سَيَأْتِي مِنْهُ، لَذَا أَجَابَ: «أَمِنْ النَّاصِرَةِ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟» (يوحنا 1: 46). لَمْ يُجَادِلْ فِيلِبُّسُ نثنائيلَ، بَلْ أَجَابَ بِبَسَاطَةٍ: «تَعَالَ وَانْظُرْ» (يوحنا 1: 46). وَهَذَا مَا نَفَعْلُهُ؛ نَدْعُو النَّاسَ بِبَسَاطَةٍ لِيَأْتُوا وَيَرَوْا بِأَنْفُسِهِمْ، فَندَعُوهُمْ إِلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَنَقُولَ لَهُمْ: اقْرَأْهُ وَفَكِّرْ فِيهِ، وَانْظُرْ يَسُوعَ فِي صَفَحَاتِهِ.

عندما نَعْلَمُ شَخْصًا مَا كَيْفِيَّةَ تَصَفُّحِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَقِرَاءَتِهِ وَدِرَاسَتِهِ لِيَفْهَمَ قَصْدَ اللَّهِ مِنْ كَلَامِهِ، فَإِنَّا نُقَدِّمُ لَهُ أَعْظَمَ هَدِيَّةٍ مُمَكِّنَةٍ. لَا تُوجَدُ هَدِيَّةٌ أَعْظَمَ مِنْ يَسُوعَ الَّذِي يُعَلِّمُ عَنْهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَلَى نَحْوِ كَامِلٍ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْأَمْرِ، نَبْذِلُ قُصَارَى جَهْدِنَا فِي مُسَاعَدَةِ الْآخَرِينَ عَلَى اكْتِشَافِ حِلَاوَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَجَاذِبِيَّتِهِ، وَبِنَاءٍ عَلَيْهِ نَدْعُوهُمْ لِيَأْتُوا وَيَكْتَشِفُوا بِأَنْفُسِهِمْ.

السير في «دَرْبِ الْإِيمَانِ»

1. اقْرَأْ لَوْقَا 16: 19-31. اسْتَخْدِمِ «أَسْئَلَةَ الدِّرَاسَةِ الثَّمَانِيَةَ» لِدِرَاسَةِ هَذَا الْمَقْطَعِ.

2. اخْتَرِ سِفْرًا مِنْ أَسْفَارِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لَمْ تَقْرَأْهُ بَعْدُ أَوْ أَنَّكَ قَرَأْتَ جُزْءًا صَغِيرًا مِنْهُ، مَا يَجْعَلُكَ غَيْرَ عَارِفٍ مَضْمُونَهُ عَلَى نَحْوِ جَيِّدٍ. ضَعْ خُطَّةً لِقِرَاءَةِ هَذَا السَّفَرِ عَلَى مَدَى عَشْرِينَ يَوْمًا. مَا عَدَدُ الْفُصُولِ الَّتِي سَتَحْتَاجُ إِلَى قِرَاءَتِهَا كُلِّ يَوْمٍ؟ كَمْ مَرَّةً سَتَسْتَطِيعُ قِرَاءَتَهُ؟

3. تَعَلَّمْ مَزِيدًا عَنِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِمَحَاوِلَةِ الْإِطْلَاعِ عَلَى بَعْضِ الْمَصَادِرِ
وَالْمَرَاجِعِ الَّتِي تَشْرَحُ أَسْفَارَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مِثْلَ «مَشْرُوعِ الْكِتَابِ
الْمُقَدَّسِ».

4. مَعَ مَنْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْرَأَ مَقْطَعًا مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ فِي هَذَا الْأُسْبُوعِ؟
حَاوِلْ أَنْ تَسْتَخْدِمَ «أَسْئَلَةَ الدِّرَاسَةِ الثَّمَانِيَةِ» أَوْ أَمْرًا مُشَابِهًا.

الفصل السادس

ابنُ السلام

عاش كمال في منطقةٍ على البحر الأبيض المتوسط عندما كان ضابطاً في الجيش، كان رجلاً مُتديّناً وَيَخافُ اللهَ وَيُعطي الفقراءَ بسخاءً، وكان يُصلي بأمانةٍ مرَّاتٍ عدَّة في اليوم لكنَّه لَمْ يُؤْمِنْ بأنَّ يسوع المسيح هو ابن الله الذي مات على الصليب من أجل خطاياه. وبينما كان كمال يُصلي في أحد الأيام، رأى فجأةً ملاكاً مُرسلاً من الله، وقال الملاك له: «إنَّ صلواتك أَسَرَّتْ قَلْبَ الله»، ومن ثَمَّ أَخْبَرَهُ عن الكيفيَّة والمكان الذي يستطيع أن يَجِدَ فيه رجلاً يُدعى «بلال» الذي سيُخبره عمَّا ينبغي أن يفعله.

كان بلال أيضاً رجلاً صلاةً وتابِعاً ليسوع المسيح. طَلَبَ اللهُ من بلال في رؤيا أن يذهب لمُقابلة كمال. واستعداداً لزيارة بلال، جَمَعَ كمالُ عائلته وأصدقاءه من أجل الترحيب ببلال، لَمْ يَكُنْ كمالٌ مُتأكِّداً ممَّا سيَحْدُثُ، لكنَّه كان يَعْلَمُ أنَّ الله طَلَبَ منه إحصار بلال إلى مَنْزله. فإن كان بلال مُرسلاً من قِبَلِ الله، فقد أدرك أنَّه ينبغي له أن يَكُونَ حريصاً على أن تَسْمَعَ أَسْرَتُهُ وَيَسْمَعَ أصدقاؤه كُلُّ ما قد يُشاركه هذا الرَّجُلُ معهم.

لَمْ يَكُنْ بلال مُعتاداً على دخول منازل الناس الذين ينتمون إلى خلفياتٍ مُختلفةٍ عنه، ولا سيَّما الذين كانوا مُحترقِينَ وغير موثوقٍ بهم من قِبَلِ

مُجْتَمَعِهِ. وَلَكِنَّ بِلَالَ تَيَقَّنَ أَيْضًا بِالْقَدْرِ نَفْسَهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَلَّمَ مَعَهُ، وَلِذَلِكَ أَحْضَرَ بَعْضَ الْأَصْدِقَاءِ مَعَهُ وَذَهَبَ لَزِيَارَةِ كِمَالٍ، وَابْتَدَأَ بِالْمُشَارَكَةِ عَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَعَنِ الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا وَالْأُمُورِ الَّتِي عَلَّمَهَا وَحَقِيقَةِ أَنَّهُ مَاتَ طَوْعًا عَلَى الصَّلِيبِ، وَأَعْلَنَ أَيْضًا عَنِ الْقِيَامَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِيَسُوعَ.

فَلَمَّا سَمِعَ كِمَالُ وَالَّذِينَ مَعَهُ هَذَا الْكَلَامَ تَمَزَّقَتْ قُلُوبُهُمْ وَتَأَكَّدُوا فِي أَعْمَاقِ قُلُوبِهِمْ مِنْ صِحَّةِ الْأُمُورِ الَّتِي سَمِعُوا عَنْهَا، وَتَيَقَّنُوا أَنَّ اللَّهَ سَيَغْفِرُ لَهُمْ، وَسَيَقْبَلُهُمْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، فَأَمَّنُوا جَمِيعًا وَاعْتَمَدُوا.

ذُهِلَ بِلَالُ وَأَصْدِقَاؤُهُ مِنْ حَقِيقَةِ أَنَّ أَشْخَاصًا مِنْ خَلْفِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ قَدْ يُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ وَأَنَّ رُوحَ اللَّهِ قَدْ حَلَّ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ كَانَ يَسْتَمِعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

مُمْكِنٌ أَنَّكَ تَعَرَّفْتَ عَلَى سَمَاتِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، حَيْثُ لَمْ نَغَيِّرْ تَفَاصِيلَهَا، لَكِنَّا بَدَّلْنَا أَسْمَاءَ الشَّخْصِيَّاتِ؛ فَاسْمُ كِمَالِ الْحَقِيقِيُّ هُوَ كَرْنِيلْيُوسُ، وَاسْمُ بِلَالَ الْحَقِيقِيُّ هُوَ بَطْرُسُ، وَنَجِدُ الْقِصَّةَ فِي سِفْرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ الْأَصْحَاحِ 10.

كَانَ كَرْنِيلْيُوسُ ابْنُ السَّلَامِ، وَكَانَ اللَّهُ يَعْمَلُ فِي حَيَاتِهِ فِي الْأَصْلِ، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ، اسْتَقْبَلَ بِكُلِّ سرورٍ رُسُلَ الرَّبِّ يَسُوعَ بِتَرْحِيْبِهِ بِهِمْ فِي مَنْزِلِهِ. لَمْ يَكُنْ كَرْنِيلْيُوسُ يَبْحَثُ عَنِ اللَّهِ سِرًّا، أَوْ أَنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يُخْفِيَ سَعْيَهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ عَنِ الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ. فَقَدْ رَحَّبَ بِالرُّسُولِ بَطْرُسَ وَدَعَا آخَرِينَ إِلَى الْمَجِيءِ وَسَمَاعِ مَا سَيَقُولُهُ الرُّسُولُ بَطْرُسَ لَهُمْ. وَمِنْ ثَمَّ، اسْتَقْبَلَ بِفَرَحٍ رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ، وَفَعَلَ كُلَّ مَا فِي وُسْعِهِ لِنَشْرِ تِلْكَ الرِّسَالَةِ بَيْنَ أَصْدِقَائِهِ وَعَائِلَتِهِ. هَذِهِ هِيَ نَوْعِيَّةُ الْأَشْخَاصِ الَّتِي نَبْحَثُ عَنْهَا بَيْنَمَا نَصْنَعُ تَلَامِيذَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ؛ إِنَّا نَبْحَثُ عَنْ أَبْنَاءِ السَّلَامِ وَبَنَاتِ السَّلَامِ.

أَرْضٌ جَيِّدَةٌ

قال يسوع في مَثَلِ «الزارع» إِنَّهُ عندما نَزَعَ كلمةَ اللَّهِ، قد تقع بعض البذور على الطريق، وأُخرى على الأماكن المُحَجَّرَة، وبعضها الآخر بين الشوك. وفي المَثَل، بَذَرَ الزارعُ البذورَ في كُلِّ حالةٍ من هذه الحالات، ويُشير هذا الفعل إلى إعلان الأخبار السارةِ مِنْ دُونِ أَنْ يُنتِجَ ذلك تأثيرًا دائمًا أو أثمارًا في حياة الذين يسمعون. ورغم ذلك، فستقع بعض البذور التي نَزَعها على الأرض الجَيِّدة. وعندما يَحْدُثُ هذا الأمر، فهو علامةٌ على أَنَّ الحصاد قادم، فتتجذَّرُ البذورُ وتُثْمِرُ على نحوٍ كبير.

لا يُبْذَرُ الزارعُ حُكْمًا مُسَبِّقًا على الأرضِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَبْذُرَ البذورَ فقط في الأرض الجَيِّدة، فهو أَمْرٌ يستحيل الحُكْمُ عليه من مجرد النظر إلى الأرض. لكنَّ الزارعَ يَبْذُرُ البذورَ على نطاقٍ واسعٍ ويتركها تَسْقُطُ في أيِّ مكان، وَبَعْدَ ذلك يَرِاقِبُ نموَّها، ويحرص على مُلاحظة المكان الذي تَظْهَرُ فيه علاماتُ النموِّ والإثمار، وعندما يَجِدُ أَنَّ البذورَ المزروعة في الأرض الجَيِّدة تَحْمِلُ أثمارًا، فَإِنَّهُ يُغْذِّي تلك الثمار ويهيئها للحصاد.

هذا ما نسعى إلى القيام به عندما نُشارك رسالةَ الإنجيل، حيث نُشارك الرسالةَ على نطاقٍ واسعٍ ونَزَعَ كلمةَ اللَّهِ في أيِّ وقتٍ وزمانٍ. وفي الوقتِ نَفْسِهِ، نبحث عن الأرض الجَيِّدة. مَنْ هُم الذين يَسْمَعُونَ الكلمةَ ويستجيبون لها؟ مَنْ هُم الذين يريدون أَنْ يَسْتَمِعُوا وَيَتَعَلَّمُوا أَكْثَرَ؟ مَنْ هُم الذين لديهم أسئلةٌ صادقةٌ ويسعون وراء الحقيقة؟ وكيف نَجِدُ هؤلاء الباحثين عن الحقِّ؟

تعليمات الربِّ يسوع لتلاميذه

أَرْسَلَ يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ فِي مُنَاسِبَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ وَزَوَّدَهُمْ بِالتَّعْلِيمَاتِ نَفْسَهَا. أَرْسَلَ تَلَامِيذَهُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ فِي مَتَّى 10: 5-15، بَيْنَمَا أَرْسَلَ فِي لُوقَا 10: 1-12 مَجْمُوعَةً أَكْبَرَ مُكَوَّنَةً مِنْ سَبْعِينَ تَلْمِيذًا، وَطَلَّبَ مِنْهُمْ فِي الْمُنَاسِبَتَيْنِ كِلَتَيْهِمَا أَنْ يُعْلِنُوا اقْتِرَابَ مَلَكُوتِ اللَّهِ وَأَنْ يَشْفُوا الْمَرْضَى. كَمَا تَحَدَّثَ يَسُوعُ عَنِ السَّلَامِ الَّذِي يَسْتَطِيعُونَ مَنْحَهُ لِلآخَرِينَ، وَأَخْبَرَهُمْ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى قَائِلًا: «وَحِينَ تَدْخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقًّا فَلْيَأْتِ سَلَامُكُمْ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا فَلْيَرْجِعْ سَلَامُكُمْ إِلَيْكُمْ» (مَتَّى 10: 12-13). وَقَالَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ فِي إِنْجِيلِ لُوقَا: «وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلًا: سَلَامٌ لِهَذَا الْبَيْتِ. فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ ابْنُ السَّلَامِ يَحِلُّ سَلَامُكُمْ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَيَرْجِعْ إِلَيْكُمْ» (لُوقَا 10: 5-6). تَوَجَّبَ عَلَى التَّلَامِيذِ فِي كِلَتَا الْحَالَتَيْنِ، أَنْ يُلْقُوا التَّحِيَّةَ عَلَى الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَزُورُونَهُمْ وَأَنْ يَتَكَلَّمُوا بِالسَّلَامِ مَعَهُمْ. وَإِنْ التَّقُوا بَيْتَ سَلَامٍ أَوْ بَابَنَ سَلَامٍ، أَيْ الشَّخْصَ الَّذِي يَسْتَقْبِلُ تَحِيَّةَ السَّلَامِ مِنْهُمْ عَلَى نَحْوِ إِيحَايٍ، فَعَلَيْهِمُ الْبَقَاءُ فِي مَنْزِلِ ذَلِكَ الشَّخْصِ.

مَعَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ قَدْ أَعْطَى التَّعْلِيمَاتِ فِي مَتَّى الْأَصْحَاحِ 10 وَلُوقَا الْأَصْحَاحِ 10 فِي مُنَاسِبَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ وَلِمَجْمُوعَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، فَإِنَّ تَعْلِيمَاتِهِ لَمْ تَتَغَيَّرْ. سَنُعَيِّرُ انْتِبَاهَنَا فِي هَذَا الْفَصْلِ إِلَى كَلِمَاتِ يَسُوعَ كَمَا وَرَدَتْ فِي لُوقَا الْأَصْحَاحِ 10، وَلَكِنَّا نَشْجَعُكَ عَلَى قِرَاءَةِ مَتَّى الْأَصْحَاحِ 10 أَيْضًا لَتُكَوِّنَ مَفْهُومًا أَوْسَعَ عَنِ تَعْلِيمَاتِ يَسُوعَ لِتَلَامِيذِهِ عِنْدَمَا أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْخِدْمَةِ.

نَهْدَفُ، عَزِيزِي الْقَارِئُ، إِلَى أَنْ تُكَوِّنَ مَفْهُومًا وَاضِحًا بِشَأْنِ أَمْرَيْنِ: أَوَّلًا، مَا التَّعْلِيمَاتُ الَّتِي يُعْطِيهَا الرَّبُّ يَسُوعُ؟ وَكَيْفَ تَنْطَبِقُ عَلَيْنَا الْيَوْمَ؟ ثَانِيًا،

مَنْ الشَّخْصُ الَّذِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ وَصْفُ ابْنِ السَّلَامِ أَوْ ابْنَةِ السَّلَامِ؟ مَا صِفَاتُهُمْ وَمَا أَفْعَالُهُمْ؟ لَنْ نَسْتَطِيعَ الْعَثُورَ عَلَى أَبْنَاءِ السَّلَامِ مَا لَمْ نَعْرِفِ الْأَمْرَ الَّذِي نَبْحَثُ عَنْهُ.

«وَبَعْدَ ذَلِكَ عَيْنَ الرَّبِّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضًا، وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعًا أَنْ يَأْتِيَ. فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ الْحَصَادَ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّ الْفَعْلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعْلَةً إِلَى حَصَادِهِ. اذْهَبُوا! هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ حُمَلَانٍ بَيْنَ ذُنَابٍ. لَا تَحْمِلُوا كَيْسًا وَلَا مِزْوَدًا وَلَا أَحْذِيَّةً، وَلَا تَسْلُمُوا عَلَى أَحَدٍ فِي الطَّرِيقِ. وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلًا: سَلَامٌ لِهَذَا الْبَيْتِ. فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ ابْنُ السَّلَامِ يَحُلُّ سَلَامَتَكُمْ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فِيرْجِعْ إِلَيْكُمْ. وَأَقِيمُوا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ أَكِلِينَ وَشَارِبِينَ مِمَّا عِنْدَهُمْ، لِأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحِقُّ أَجْرَتِهِ. لَا تَنْتَقِلُوا مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ. وَأَيُّهُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَقَبِلُوكُمْ، فَكُلُوا مِمَّا يُقَدِّمُ لَكُمْ، وَاشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا، وَقُولُوا لَهُمْ: قَدْ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ. وَأَيُّهُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ، فَاحْزَبُوا إِلَى شَوَارِعِهَا وَقُولُوا: حَتَّى الْغُبَارُ الَّذِي لَصِقَ بِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَنْفُضُهُ لَكُمْ. وَلَكِنْ ااعْلَمُوا هَذَا: إِنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَكُونُ لِسُدُومَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالًا مِمَّا لَتِلْكَ الْمَدِينَةِ» (لوقا 10: 1-12).

بَعْدَ أَنْ عَيْنَ الرَّبِّ يَسُوعَ سَبْعِينَ تَلْمِيذًا، أَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَلَيْسَ فِي مَجْمُوعَاتٍ أَكْبَرَ، كَمَا قَامَ بَزِيَاةُ عِدَدِ الْمَدَنِ الَّتِي يُمَكِّنُهُمْ زِيَارَتَهَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يُرْسِلْ أَيُّ تَلْمِيذٍ بِمُفْرَدِهِ. وَلَا يَعْنِي هَذَا طَبْعًا أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ شَخْصٍ بِمُفْرَدِهِ الذَّهَابَ وَمُشَارَكَةَ الْأَخْبَارِ السَّارَّةِ عَنْ يَسُوعَ (قَامَ فِيلِبُّسُ بِهَذَا الْأَمْرِ فِي أَعْمَالِ الرِّسْلِ الْأَصْحَاحِ 8)، وَلَكِنْ مِنَ الْحِكْمَةِ

بِمَكَانٍ أَنْ يَذْهَبَ التَّلَامِيذُ فِي مَجْمُوعَاتٍ تَتَأَلَّفُ مِنْ شَخْصِينَ، إِذْ يُشَكِّلُ الشَّخْصَانِ قُوَّةً أَكْبَرَ وَيُظْهِرَانِ حِكْمَةً عَلَى نَحْوِ أَفْضَلِ بَعْضَهُمَا مَعَ بَعْضٍ، إِذْ بَيْنَمَا يَتَكَلَّمُ تَلْمِيذٌ يَقُومُ التَّلْمِيذُ الْآخَرُ بِالصَّلَاةِ، وَإِذَا كَانَ تَلْمِيذٌ مِنْهُمَا لَا يَعْرِفُ الْإِجَابَةَ الْمُنَاسِبَةَ عَنْ تَسَاوُلٍ مَا، فَقَدْ يَسْتَطِيعُ التَّلْمِيذُ الْآخَرُ أَنْ يُقَدِّمَ الْإِجَابَةَ الْمَطْلُوبَةَ.

بَعْدَ اخْتِيَارِ «الزَّارِعِينَ» (أَيِ التَّلَامِيذِ)، طَلَبَ يَسُوعُ مِنْهُمْ أَنْ يُصَلُّوا لِأَنَّ الْحَصَادَ كَثِيرٌ لَكِنَّ الْفَعْلَةَ قَلِيلُونَ، وَأَوْصَاهُمْ أَنْ يُصَلُّوا لِكِي يَجْلِبَ اللَّهُ الْحَصَادَ؛ وَأَنْ يَسْأَلُوهُ لِيُرْسَلَ مَزِيدًا مِنَ الْفَعْلَةِ. كَانَ اللَّهُ يَعْمَلُ حَقًّا لَجَلْبِ الْحَصَادِ، وَكَانَ حَجْمُ الْحَصَادِ سَيَكُونُ أَكْثَرَ جَدًّا مِنْ قُدْرَةِ التَّلَامِيذِ عَلَى التَّعَامُلِ مَعَهُ، فَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْفَعْلَةِ.

مِنْ أَيْنَ سَيَأْتِي هَؤُلَاءِ الْفَعْلَةُ؟ لَا بُدَّ أَنْ كُلُّ اثْنَيْنِ مِنَ التَّلَامِيذِ أَدْرَكَا أَنَّ الْفَعْلَةَ لَنْ يَأْتُوا مِنَ التَّلَامِيذِ الثَّمَانِيَةِ وَالسَّتِّينِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ جَرَى إِرْسَالُهُمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّلَامِيذَ الْآخَرِينَ كَانُوا مَنْشَغِلِينَ هُمْ أَيْضًا فِي إِعْلَانِ اقْتِرَابِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ فِي قَرَى أُخْرَى. لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ الْفَعْلَةُ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ، أَيْ مِنَ الْحَصَادِ نَفْسِهِ. يُذَكِّرُنَا هَذَا النَّصُّ بِأَهْمِيَّةِ الدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ، كَمَا يُشِيرُ إِلَى الْاِحْتِيَاجِ إِلَى زَرْعِ الرُّوْيَةِ فِي الْآخَرِينَ بَيْنَمَا نُنْشِئُ أَجْيَالًا جَدِيدَةً مِنْ صُنَاعِ التَّلَامِيذِ.

أَوْصَى الرَّبُّ يَسُوعَ تَلَامِيذَهُ فِي الْآيَةِ 4 بِعَدَمِ إِلْقَاءِ التَّحِيَّةِ عَلَى أَيِّ شَخْصٍ يَلْتَقُونَ بِهِ فِي الطَّرِيقِ. بِالتَّأَكِيدِ لَمْ يَقْصُدْ يَسُوعُ أَنْ يَتَجَاهَلَ التَّلَامِيذُ كُلُّ شَخْصٍ يَرُونَهُ فِي الطَّرِيقِ أَوْ أَنْ يَكُونُوا بَارِدِينَ وَمَنْعَزِلِينَ، بَلْ أَخْبَرَهُمْ، بِوَاسِطَةِ كَلَامِهِ هَذَا، عَنْ أَهْمِيَّةِ الْمَحَافَظَةِ عَلَى تَرْكِيزِهِمْ فِي إِرْسَالِيَّتِهِمْ، وَعَلَى عَدَمِ السَّمَاحِ لِلْآخَرِينَ بِتَشْتِيتِ انْتِبَاهِهِمْ، أَوْ أَنْ يُفْسِحُوا فِي الْمَجَالِ لِأَيِّ شَيْءٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَدْفِهِمُ الْمَتَمَثِّلِ فِي إِعْلَانِ مَلَكُوتِ اللَّهِ فِي

المدن التي أُرسلوا إليها. أراد يسوع أن يُحافظَ تلاميذه على تركيزهم مثل شعاع الليزر الذي لا ينحرف يمينًا أو يسارًا.

أَمَرَ يسوعُ تلاميذه في الآية 5 أن يقولوا في أي بيت يدخلوه: «سَلَامٌ لِهَذَا الْبَيْتِ»، وَلَمْ يَقْصِدْ بكلامه أنهم سيجلبون سلامَ الله على المبنى، بل أن السلام هو للأسرة أو للأشخاص الذين يعيشون فيه. يُحْضِرُ التلاميذ معهم سلامَ الله ويعلنونه على كُلِّ مَنْ يعيش في البيت.

أَوْصَحَ الربُّ يسوع لتلاميذه أن يبقوا في هذا المَنْزِل وأن يُكرِّموا ابنَ السلام وعائلته، وذلك بأن يأكلوا ويشربوا مِنْ كُلِّ ما تُقدِّمُهُ تلك العائلة لهم، وأنه لا يجدر بهم الانتقال من مَنْزِلٍ إلى آخَر، بل أن يُرَكِّزُوا بِكُلِّ طاقتهم ووقتهم على عائلة ابن السلام. فهذه العائلة هي النوع الذي كان التلاميذ يبحثون عنه، لذا كان يجدر بهم البقاء مع تلك العائلة بَعْدَ أن وَجَدُوا هذا النوع من العائلات المهمَّمة بسماع رسالة التلاميذ.

عَلِمَ الربُّ يسوع مُسَبِّقًا أنَّ التلاميذ قد يميلون إلى العثور على الشخص الأكثر نفوذًا في البلدة، أو الشخص الذي يستمتعون أَكْثَرُ بالوجود معه، أو الشخص الذي قد يُفيدُهم على نحوٍ أَكْبَرَ. لَمْ يَكُنْ هؤلاء من نوعيّة الأشخاص الذين يجدر بالتلاميذ البحث عنهم، كان يُفترضُ بهم أن يَجِدُوا الشخصَ الذي اسْتَقْبَلَ سلامَ الله منهم؛ أي الشخص الذي اسْتَقْبَلَ ليس فقط التلميذ المُرسَل (سيفعلُ الكثير من الأشخاص المضيافين هكذا)، بل اسْتَقْبَلَ أيضًا الرسالة التي يَحْمِلُهَا ذلك التلميذ.

ليس فقط أن ابن السلام يَسْتَقْبِلُ الرسالة بترحاب، بل هو أيضًا يريد أن يَسْمَعَها الآخرون في عائلته وفي مُجْتَمَعه، وهو يُرَحِّبُ بِالْمُرْسَلِينَ فِي مَنْزِلِهِ وَيَسْتَضِيفُهُمْ بِسَخاء (تختلف هذه الحالة عن الاستضافة الفخمة

التي تعتمد على الثروة) ويُفْسِحُ في المجال في أُسْرَتِهِ وفي شبكةِ علاقاته لرسالة يسوع وملكوته.

بَعْدَ العُثُورِ عَلَى ابْنِ السَّلَامِ، تَوَجَّهَ عَلَى التَّلَامِيذِ الْقِيَامَ بِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ: شِفَاءَ الْمَرْضَى وَالْإِعْلَانِ عَنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ (الآيَةُ 9). إِنَّ الشِّفَاءَ لَيْسَ مَجْرَدَ اسْتِعَارَةٍ تَشْبِيهِيَّةٍ تَصِفُ تَلْبِيَةَ الْاِحْتِيَاجَاتِ الْمَادِّيَّةِ؛ إِذْ إِنَّ اللَّهَ - كَمَا سَبَقَ أَنْ رَأَيْنَا فِي الْفَصْلِ 2- يَمْلَأُ الْمُؤْمِنِينَ بِرُوحِهِ لَتَكُونُ لَدَيْهِمُ الْقُوَّةُ لِلشَّهَادَةِ عَنْ الرَّبِّ يَسُوعَ. تَتَضَمَّنُ هَذِهِ الْقُوَّةُ، فِي غَالِبِيَّةِ الْأَحْيَانِ، الْقِيَامَ بِمُعْجَزَاتٍ. يَرِيدُ اللَّهُ مِنْ شَعْبِهِ أَنْ يَشْفِيَ الْمَرْضَى، حَتَّى بِطَرِيقَةٍ مُعْجَزِيَّةٍ. وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ مَرَّاتٍ عَدَّةً، لَيْسَ فَقَطْ عَلَى يَدَيِّ يَسُوعَ، بَلْ أَيْضًا عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ تَلْبِيَةَ الْاِحْتِيَاجَاتِ الصَّحِّيَّةِ لِلنَّاسِ لَيْسَتْ هِيَ الْأَمْرُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَهْتَمُّ بِهِ اللَّهُ؛ إِذْ عِنْدَمَا نَسْعَى إِلَى فَهْمِ تَطْبِيقَاتِ هَذَا النَّصِّ فِي يَوْمِنَا هَذَا، فَإِنَّمَا نُدْرِكُ أَنَّنا نَسْعَى لَيْسَ فَقَطْ إِلَى شِفَاءِ النَّاسِ جَسَدِيًّا، بَلْ نَعْمَلُ أَيْضًا عَلَى تَلْبِيَةِ أَيِّ اِحْتِيَاجٍ مَادِّيٍّ آخَرَ حَسَبَ قُدْرَتِنَا. لَا بُدَّ أَنْ نُبَادِرَ إِلَى اِكْتِشَافِ الْاِحْتِيَاجَاتِ، وَنَعْمَلَ عَلَى تَلْبِيَتِهَا لِنُظْهِرَ أَنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ قَدْ اقْتَرَبَ فَعَلًا. وَهَكَذَا تَقْتَرِنُ أَفْعَالُنَا بِأَقْوَالِنَا دَائِمًا. إِنَّمَا نُظْهِرُ مَلَكُوتَ اللَّهِ وَنَعْلَنَهُ.

بَعْدَ أَنْ يَجِدَ التَّلَامِيذُ ابْنَ السَّلَامِ الَّذِي يَفْتَحُ مَنْزِلَهُ وَيَمْنَحُهُمْ قَاعَةً لِلانْطِلَاقِ فِي الْخِدْمَةِ، يَتَوَجَّهَ عَلَى التَّلَامِيذِ أَنْ يَبْدَأُوا بِخِدْمَةِ الْآخَرِينَ الْمَوْجُودِينَ فِي بَيْتِهِ وَخَارِجِهِ بِوَاسِطَةِ تَلْبِيَةِ اِحْتِيَاجَاتِهِمْ وَإِعْلَانِ الْإِنْجِيلِ. لَا نَخْتَارُ بَيْنَ الْقِيَامِ بِأَعْمَالِ الرَّحْمَةِ وَبَيْنَ إِعْلَانِ الْإِنْجِيلِ؛ لِأَنَّنا نَخْدُمُ وَنُعِظُ كَمَا فَعَلَ يَسُوعَ وَكَمَا تَمَثَّلَ بِهِ تَلَامِيذُهُ أَيْضًا الَّذِينَ خَدَمُوا بِوَاسِطَةِ الْكَلِمَةِ وَالْأَفْعَالِ الصَّالِحَةِ.

قَدْ لَا يَسْتَمِعُ النَّاسُ لَنَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، لِذَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْسِبَهُمْ أَبْنَاءَ السَّلَامِ أَوْ بَنَاتِ السَّلَامِ. فَهُمْ لَمْ يَسْتَقْبِلُوا التَّلْمِيذَ الْمُرْسَلُ أَوْ الرِّسَالَةَ

(الآية 10). في هذه الحالة، أَخْبَرَ الرَّبُّ يَسُوعَ تَلَامِيذَهُ أَلَّا يُضَيِّعُوا وَقْتَهُمْ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ، بَلْ أَنْ يَتْرَكُوا الَّذِينَ رَفَضُوا الرِّسَالَةَ وَأَنْ يَنْفُضُوا الْغُبَارَ عَنْ أَقْدَامِهِمْ وَأَنْ يُحَذِّرُوهُمْ مِنَ الدِّينُونَةِ الْقَادِمَةِ (الآيتان 11-12).

هل هذه استراتيجية الرب يسوع لصنع التلاميذ اليوم؟

كانت تعليمات الرب يسوع لتلاميذه واضحة دقيقة. عندما نقرأ هذه التعليمات، علينا أن نسأل أنفسنا: هل يفترض بنا أن نطيعها كما وَرَدَتْ في إنجيل لوقا الأصحاح 10؟ سَهْلٌ أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ مَا وَرَدَ فِي لُوقَا الْأَصْحَاحِ 10 هُوَ اسْتِرَاطِيَّةُ الرَّبِّ يَسُوعَ لِلتَّبَشِيرِ وَالتَّلْمِذَةِ لِجَمِيعِ تَلَامِيذِهِ عَبْرَ تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ. لَكِنْ عِنْدَمَا نَقْرَأُ بَعْنَايَةَ إِنْجِيلِ لُوقَا كُلَّهُ، نُلَاحِظُ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ صَحِيحًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ أَعْطَى تَلَامِيذَهُ تَعْلِيمَاتٍ جَدِيدَةً فِي أَثْنَاءِ الْعِشَاءِ الْآخِرِ. إِذْ بَعْدَ أَنْ أَعْطَى الرَّبُّ يَسُوعَ تَلَامِيذَهُ الْخُبْرَ وَالْكَأْسَ، عَدَلَ تَعْلِيمَاتِهِ لِتَلَامِيذِهِ، كَمَا نُلَاحِظُ مِنَ الْآيَةِ الْآتِيَةِ: «ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كَيْسٍ وَلَا مِزْوَدٍ وَلَا أَحْذِيَّةٍ، هَلْ أَعَوَزْكُمْ شَيْءٌ؟». فَقَالُوا: «لَا». فَقَالَ لَهُمْ: لَكِنْ الْآنَ، مَنْ لَهُ كَيْسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذَلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِيعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتِرِ سَيْفًا» (لوقا 22: 35-36). قَالَ الرَّبُّ يَسُوعَ لِتَلَامِيذِهِ فِي إِنْجِيلِ لُوقَا 10: 4 أَلَّا يَأْخُذُوا أَمْوَالًا أَوْ مَحْفَظَةً أَوْ نَعَالًا، وَلَكِنَّهُ أَشَارَ فِي تَعْلِيمَاتِهِ فِي الْعِشَاءِ الْآخِرِ إِلَى أَنَّ تِلْكَ الْأَوَامِرَ السَّابِقَةَ لَمْ تَعُدْ سَارِيَّةَ الْمَفْعُولِ، فَهُوَ لَنْ يَكُونَ حَاضِرًا جَسَدِيًّا، وَهُوَ سَيُرْسِلُهُمْ لَيْسَ فَقَطْ إِلَى الْمَدَنِ وَالْقُرَى فِي يَهُودَا، بَلْ أَيْضًا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ. وَلَكِنْ تَغَيَّرَ الْوَضْعُ، لِذَلِكَ غَيَّرَ الرَّبُّ يَسُوعَ تَعْلِيمَاتِهِ.

يُسَجَّلُ لَوْقَا هَاتَيْنِ الْقَصَّتَيْنِ: إِرْسَالُ السَّبْعِينَ تَلْمِيذًا وَالْعِشَاءُ الْآخِرُ. وَيَفْعَلُ لَوْقَا ذَلِكَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ، فِي تَعْلِيمَاتِهِ فِي لَوْقَا الْأَصْحَاحِ 10، لَمْ يَقْصِدْ أَنْ تَكُونَ مُلْزِمَةً لِجَمِيعِ التَّلَامِيذِ فِي كُلِّ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَاكِنِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ التَّعْلِيمَاتِ غَيْرُ مُلْزِمَةٍ، فَإِنَّهَا لَا تَفْقِدُ أَهْمِيَّتَهَا أَوْ ارْتِبَاطَهَا بِمَوْضُوعِنَا. تَعَلَّمْنَا إِرْشَادَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ فِي لَوْقَا الْأَصْحَاحِ 10 مَبَادِيَّ مُهِمَّةٍ نَسْتَطِيعُ، بَلْ يَجْدُرُ بِنَا، أَنْ نَتَّبِعَهَا.

تطبيقات لوقا الأصحاح 10 في يومنا هذا

رغم اختلاف التطبيقات، فإننا نستطيع أن نلاحظ المبادئ الأساسية في النص التي نستطيع تطبيقها في أي مكان.

- جَيِّدٌ أَنْ يَكُونَ لَدَيْكَ أَشْخَاصٌ يَشَارِكُونَكَ فِي الْخِدْمَةِ (اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ).
- إِنَّ الصَّلَاةَ هِيَ جُزْءٌ مُهِمٌّ مِنْ خِدْمَتِنَا، وَلَا سِيَّما عِنْدَمَا نَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُرْسِلَ مَزِيدًا مِنَ الْفَعْلَةِ.
- أَنْ نُدْرِكَ حَقِيقَةَ وَجُودِ الْمَخَاطِرِ، لَكِنَّ اللَّهَ بِنَفْسِهِ مَعَنَا.
- نَحْتَاجُ إِلَى الْاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ لِتَلْبِيَةِ احْتِيَاجَاتِنَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ نَذْهَبُ فِيهَا، وَفِي كُلِّ أَمْرٍ نَفْعَلُهُ.
- نَأْتِي بِسَلَامٍ وَنَسْعَى إِلَى زَرْعِ السَّلَامِ مَعَ اللَّهِ وَمَعَ الْآخَرِينَ.
- نَبْحَثُ عَنِ الْمُنْفَتِحِينَ لِسَمَاعِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ.
- نَحَافِظُ عَلَى تَرْكِيزِنَا عَلَى ابْنِ السَّلَامِ، وَعَلَى عَائِلَتِهِ، عِنْدَمَا نَجِدُهُ.
- نَسْعَى إِلَى تَلْبِيَةِ الْاحْتِيَاجَاتِ الْمَادِّيَّةِ.
- نُعْلِنُ عَنْ مَجِيءِ مُلْكِوتِ اللَّهِ.

- نَرَفُضُ أَنْ نُضَيِّعَ الْوَقْتَ مَعَ غَيْرِ الْمَهْتَمِّينَ.
- نُحَذِّرُ الَّذِينَ يَرَفُضُونَ الرِّسَالَةَ.

إِنَّ تَلْبِيَةَ الْاِحْتِيَاجَاتِ الْمَادِّيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ تَخْتَلِفُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي دُبَيٍّ، تَمَامًا كَمَا سَيَبْدُو إِعْلَانُ اقْتِرَابِ مَلَكُوتِ اللَّهِ مُخْتَلِفًا فِي بَيْرُوتٍ عَمَّا سَيَكُونُ عَلَيْهِ فِي الرِّيَاضِ. إِنَّ تَطْبِيقَ هَذِهِ الْمَبَادِئِ سَيَخْتَلِفُ عَلَى نَحْوِ أَكْبَرِ خَارِجِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ مِثْلَ هُونِغْ كُونِغْ أَوْ بَرْلِينِ أَوْ نِيُويُورِكْ، وَهَنَا تَكْمُنُ الصَّعُوبَةُ. كَمَا يَتَطَلَّبُ الْأَمْرُ عَمَلًا شَاقًّا؛ فَبَعْدَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْمَبَادِئَ الْأَسَاسِيَّةَ مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنْ سِيَاقِ تَعْلِيمَاتِهِ لِتَلَامِيذِهِ، يَتَعَيَّنُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَجْتَهِدَ لِيَعْرِفَ بَوْضُوحَ، وَبَطَرِيقَةٍ عَمَلِيَّةٍ، كَيْفِيَّةَ تَطْبِيقِ هَذِهِ التَّعَالِيمِ فِي مَدِينَتِهِ وَضِمْنِ مُجْتَمَعِهِ.

العثور على أبناء السلام

تَعَرَّفْنَا فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَلاَحَظْنَا الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي بِهَا أَظْهَرَ اللَّهُ نَفْسَهُ لِمُحَمَّدٍ وَلِعَائِلَتِهِ بِوَاسِطَةِ شِفَاءِ ابْنَتِهِ. عِنْدَمَا تَعَرَّفَ حَمْرَةُ وَزَوْجَتُهُ، عَلِيَاءُ، عَلَى هَذِهِ الْعَائِلَةِ، كَانَ أَفْرَادُهَا يَخْتَبِرُونَ صَدْمَةَ نَفْسِيَّةٍ قَوِيَّةٍ. فَقَدْ قُتِلَ ابْنُ مُحَمَّدٍ فِي سُورِيَّةٍ. وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ تُعَانِي مِنْ رَجْفَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ فِي جِسْمِهَا. بَيْنَمَا كَانَ ابْنُهُ الْآخَرُ خَائِفًا جَدًّا مِنْ مُغَادَرَةِ غُرْفَتِهِ. وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، عَانَتْ ابْنَتُهُ، شَامُ، مِنْ مَرَضِ السَّرَطَانِ. تَصَارَعَ مُحَمَّدٌ أَيْضًا مَعَ كَوَابِيسَ مَخِيفَةٍ، وَقَدْ كَانَ يَهْجُمُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَلَى أَوْلَادِهِ مُتَعَقِّدًا أَنَّهُمْ جُنُودٌ سُورِيُّونَ.

شَارَكَ حَمْزَةَ وَعَلِيَاءَ الْكَثِيرَ مِنْ قِصَصِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَعَ مُحَمَّدٍ وَعَائِلَتِهِ، وَلَمْ يَخْفِيا إِيمَانَهُمَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ بَتَاتًا، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ هُوَ أَنَّهُمَا اخْتَبَرَا مَحَبَّةَ يَسُوعَ لَهُمَا بِعَمَقٍ شَدِيدٍ فَأَعْلَنَّا عَنْهُ بوضوحٍ فِي كُلِّ مَا فَعَلَاهُ. وَتَحَدَّثَ حَمْزَةُ وَعَلِيَاءُ عَنِ اللَّهِ مَعَ عَائِلَةِ مُحَمَّدٍ، كَمَا تَحَدَّثَا إِلَى اللَّهِ بِرَفْقَةٍ عَائِلَةُ مُحَمَّدٍ، وَزَرَعَا بِذَوَرٍ كَلِمَةَ اللَّهِ وَانْتَظَرَا النَّتَائِجَ لِيُحَدِّثَا إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ ابْنُ السَّلَامِ.

فِي بَادِي الْأَمْرِ، بَدَتْ كَلِمَاتُ حَمْزَةَ وَعَلِيَاءَ كَأَنَّهَا مِنْ دُونِ تَأْثِيرٍ فِي مُحَمَّدٍ وَعَائِلَتِهِ. لَمْ يَتَضَمَّنْ كَلَامُهُمَا آيَةً قُوَّةَ. وَقَدْ تَعَرَّضَ مُحَمَّدٌ مَعَ عَائِلَتِهِ إِلَى صَدَمَاتٍ مُتَكَرِّرَةٍ فِي أَثْنَاءِ وَجُودِهِمْ فِي زَمَنِ الْحَرْبِ فِي سُورِيَّةَ، لِدَرَجَةٍ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَصْغُوا إِلَى كَلَامِ حَمْزَةَ وَعَلِيَاءَ. دَفَعَ رُوحُ اللَّهِ حَمْزَةَ وَعَلِيَاءَ إِلَى مُوَاصَلَةِ الزِّيَارَةِ وَالصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِ عَائِلَةِ مُحَمَّدٍ، وَلَا سِيَّما الصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِ ابْنَتِهِ، شَامِ، وَبِوَسْطَةِ صَلَوَاتِهِمُ الْمُسْتَمِرَّةِ، قَامَ اللَّهُ بِشِفَاءِ شَامِ مِنْ مَرَضِهَا بِأَعْجُوبَةٍ.

قَبْلَ شِفَاءِ شَامِ مِنَ السَّرْطَانِ، لَمْ يُظْهِرْ مُحَمَّدٌ وَعَائِلَتُهُ آيَةً عَلَامَةً عَلَى أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ السَّلَامِ، فَكَانُوا مُضِيَّافِينَ وَلُطْفَاءَ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا الْإِصْغَاءَ إِلَى مَضْمُونِ الرِّسَالَةِ الَّتِي شَارَكَ بِهَا كُلٌّ مِنْ حَمْزَةَ وَعَلِيَاءَ مَعَهُمْ. وَلَكِنْ شِفَاءُ شَامِ قَلَبَ عَالَمَهُمْ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ. رَبِّمَا لَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ ابْنُ سَلَامٍ مِنْ قَبْلُ، لَكِنَّهُ رَأَى الْآنَ قُوَّةَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ وَعُطْفَهُ، فَقَالَ لِحَمْزَةَ: «إِنَّ الرِّسَالَةَ الَّتِي تُشَارِكُهَا مَعَنَا هِيَ أَكْثَرُ مِنْ مَجْرَدِ كَلِمَاتٍ لَطِيفَةٍ، إِذْ فِيهَا قُوَّةٌ وَحَيَاةٌ. يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُشَارِكُهَا مَعَ الْجَمِيعِ».

هَذِهِ الْعَائِلَةُ الَّتِي نَرَى أَفْرَادَهَا مُصَابِينَ بِالصَّدَمَةِ، وَقَدْ انْعَزَلُوا فِي مَنْزِلِهِمْ، وَحَلَمُوا بِالرَّجُوعِ إِلَى سُورِيَّةَ لِكَيْ يَمُوتُوا هُنَاكَ، صَارُوا يَزُورُونَ كُلَّ شَخْصٍ يَعْرِفُونَهُ. وَفِي غُضُونِ أَسَابِيْعٍ قَلِيلَةٍ، أَطْلَقُوا الْكَثِيرَ مِنَ الْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي

اجتمعتْ بهدف القيام بدراساتٍ بسيطةٍ للكِتَابِ الْمُقَدَّسِ على غرار «أسئلة الدراسة الثمانية»، فقد اقتَحَمَ اللهُ حياتَهُمْ وَغَيَّرَهُمْ، وقد أَظْهَرَ قُوَّتَهُ لِكِي يَجْعَلَ مُحَمَّدًا وعائلته يَرونَ جَمَالَ يسوع وحقيقته. لَمْ يَعدْ أَحَدٌ قادِرًا على مَنعِهِم من الإعلان عن جَمَالَ يسوع بَعْدَ أَنْ اختَبَرُوهُ شخصيًا، فقد تَحَوَّلُوا إلى أبناء السلام الحقيقيين.

يريدنا يسوع أَنْ نَجِدَ أبناء السلام وبنات السلام. ولكن كيف؟ نَزَكُّرُ أَوَّلًا على أَنْفُسِنَا؛ هل نحن أبناء السلام الحقيقيين؟ كان الرسول بطرس يُصَلِّي وَيُنَاجِي الله عندما دعاه الروح القدس للذهاب لزيارة كرنيليوس. وبطريقةٍ مُشابهة، كان حمزة وعلياء يسعيان يوميًا للنمو في مَحَبَّتِهِمَا للربِّ قَبْلَ أَنْ يُقابِلَا مُحَمَّدًا وعائلته. وعلينا نحن أيضًا أَنْ نَسعى إلى هذا النمو متسائلين: «أَيُّ نوعٍ من الناس يَجِبُ أَنْ نَكُونَ عليه؟ كيف نَخْتِبرُ مزيدًا من سلام الله في حياتنا؟ كيف نُبارِكُ الآخرين على نحوٍ مُتزايدٍ بسلام الله؟ كيف نعيش بطريقةٍ تُظهِرُ للجميع حَجَمَ مَحَبَّتِنَا لله وللآخرين بطريقةٍ واضحة؟ عندما نُجيب عن هذه الأسئلة ونعيش المبادئ التي تتناولها تلك الأسئلة، نستطيع عندئذٍ أَنْ نَسألَ أَنْفُسَنَا: كيف نَجْذِبُ أبناء السلام؟

عَيْشُ ولائنا لله وإعلان هذا الولاء

نَجِدُ في سِفْرِ التثنية 6: 4-9 فقرةً كتابيَّةً مفيدةً لَأَنَّهُا تَتَحَدَّثُ عن هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ: القدوة التي نطمح إلى أَنْ نَكُونَ عليها بوصفنا أبناء السلام وَبَنَاتِهِ، ونوعيَّة الأمور التي يجدر بنا فِعْلُهَا لَجَذْبِ أبناء السلام وبنات السلام. تقول هذه الآيات ما يلي:

«إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتَحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلَتَكُنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلَادِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ، وَارْبُطْهَا عَلَامَةً عَلَى يَدِكَ، وَلَتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، وَاكْتُبْهَا عَلَى قِوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ.»

بوصفنا أبناء السلام الحقيقيين، نعترف أولاً بفرادة الله الكاملة، فلا مثيل له، وهو وحده الله ولا يُوجدُ إلهٌ آخر معه. نعترف بسيادته على كُلِّ الأشياء ونقرُّ أنه وَحْدَهُ يستحقُّ كُلَّ الكرامة والعبادة والثناء.

ولأنَّ الله هو وحده السيّد الربّ، فهو يُطالبنا بالمَحَبَّةِ الكاملة والولاء الكامل (الآية 5). فهو لن يَقْبَلَ بولاءٍ قلبيٍّ جُزْئِيٍّ أو بِمَحَبَّةٍ فاترة. يريد الله أَنْ يَمْتَلِكَ كُلَّ تفاصيل حياتنا، ويريد كُلَّ ما نحن عليه، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، فلا بُدَّ أَنْ نَحِبَّهُ بِكُلِّ قلوبنا وَكُلِّ نفوسنا وَكُلِّ قُدْرَتنا. عندما نَتَشَكَّلُ من الداخل بواسطة وحدانيّة الله وَمَحَبَّتِهِ إلى هذه الدرجة، فسَنَكُونُ عندها مِنْ نوعيّة الأشخاص التي يدعونا الله أَنْ نَكُونُ على شَبَهِهَا، وسَنَفْعَلُ الأُمُورَ التي يأمرنا بها. سَنَكُونُ أَشْخَاصًا يَجْذِبُونَ أَبْنَاءَ السَّلامِ.

إِنْ كُنَّا نَحِبُّ اللهَ مِنْ كُلِّ كياننا، فلنْ نُخْفِيَ التَّزامنا نحوه، وسَنَعْتَرِفُ بِكُلِّ سرورٍ بأنَّه إِلَهُنا مِنْ دُونِ مُنَازَعٍ، وسَنُعْلِنُ عن ولائنا له ونعيش بطريقتِهِ تُظْهِرُ أَنَّهُ كُنْزُنَا الأعظم، وأنَّه رَغْبَةُ قلوبنا الأهمِّ وسعيُّ أرواحنا الأسمى، وأنَّه المكافأة العظمى لِقُوَّتنا، فنعطيه كُلَّ ما لدينا ونعيش مِنْ أَجْلِهِ فِي كُلِّ ناحيةٍ مِنْ نواحي حياتنا.

إِنَّ مَنْ يُحِبُّ اللَّهَ يُطِيعُ وصاياه وَيُتِمُّنْ كَلِمَاتِهِ. نَفْهَمُ مِنْ مَحَبَّتِنَا لِلَّهِ أَنَّهُ
يجدر بنا أَنْ نَنُمُوَ فِي معرفة وصاياه، وَأَنْ نَتَلَذَّذَ فِي قِرَاءَةِ كَلِمَتِهِ، وَأَنْ نَسْعَى
إِلَى إِطَاعَتِهِ فِي كُلِّ مَا نَفْعَلُهُ. تَدْفَعُنَا مَحَبَّتُنَا لِلَّهِ إِلَى إِطَاعَتِهِ.

إِنَّ هَذَا الْوَلَاءَ الْعَمِيقَ الْمَلِيءَ بِالْمَحَبَّةِ لِلَّهِ هُوَ لَيْسَ لَنَا فَقَطْ، وَلَكِنْ
لِأَطْفَالِنَا أَيْضًا. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، نَعْلَمُ أَطْفَالَنَا بِاجْتِهَادٍ (الآية 7)، فَنَعْلَمُهُمْ أَنَّ
اللَّهَ وَاحِدٌ، وَأَنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُحِبَّهُ بِكُلِّ كِيَانِنَا، وَنَعْلَمُهُمْ عَنْ سِيَادَةِ اللَّهِ
الْكَامِلَةِ وَفِرَادَتِهِ التَّامَّةِ، فَنَعْلَمُهُمْ عَنْ مَدَى عَظَمَتِهِ وَرَوْعَتِهِ وَجَمَالِهِ لَتَتَوَلَّدَ
فِيهِمْ مَحَبَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ مِنْ نَحْوِهِ.

يَسْتَغْرِقُ هَذَا النُّوعُ مِنَ التَّعْلِيمِ وَقْتًا، فَهُوَ لَيْسَ دَرْسًا نَعْلَمُهُ مَرَّةً وَاحِدَةً
ثُمَّ نَنْتَقِلُ إِلَى الدَّرْسِ التَّالِي؛ إِنَّهُ دَرْسٌ نَعْلَمُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ. سَيَعْلَمُ الْعَالَمُ
أَوْلَادَنَا أَنَّهُ تَوْجَدَ أُمُورٌ عَدَّةٌ فِي الْعَالَمِ تَسْتَحِقُّ وَلَاءَهُمْ وَمَحَبَّتَهُمْ، لِذَا يَجْدُرُ
بِنَا أَنْ نَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ هُوَ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَنَالَ وَلَاءَهُمُ الْكَامِلَ، وَأَنْ
نَفْعَلَ هَذَا فِي كُلِّ فَرْصَةٍ مُتَّاحَةٍ: عِنْدَمَا نَجْلِسُ أَوْ نَمْشِي أَوْ نَقُومُ، وَفِي كُلِّ
مَكَانٍ وَكُلِّ مَرَّةٍ، فَنَعْلَمُ أَطْفَالَنَا عَنْ مَاهِيَةِ اللَّهِ وَعَنْ سَبَبِ مَحَبَّتِنَا لَهُ.

قَدْ يَبْدُو الْجُزْءُ التَّالِي مِنْ النِّصِّ غَرِيبًا بَعْضُ الشَّيْءِ، لِأَسِيْمَا لِلَّذِينَ
يَعِيشُونَ فِي الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ. فِي الْوَاقِعِ، تُشَبِّهُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ أَيَّامَنَا
هَذِهِ أَكْثَرَ مِمَّا قَدْ يَبْدُو لَنَا مِنَ الْوَهْلَةِ الْأُولَى: «وَارْتَبُطْهَا عَلَامَةً عَلَى يَدِكَ،
وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ»
(الآيتان 8-9). إِنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي نَرْتَبُطُهَا عَلَامَةً عَلَى أَيْدِينَا هِيَ «الْكَلِمَاتُ
الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ» (الآية 6)؛ أَيِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي مَضُمُونَهَا أَنَّ اللَّهَ
وَاحِدٌ، وَالْكَلِمَاتِ الَّتِي تُشَجِّعُنَا عَلَى أَنْ نُحِبَّهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِنَا.

مَنْ أَكْثَرَ شَخْصٍ يَرَى أَيْدِينَا فِي الْيَوْمِ؟ الْإِجَابَةُ: طَبْعًا نَحْنُ. حَتَّى فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، وَأَنَا أَطْبَعُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بِاسْتِخْدَامِ لَوْحَةِ الْمِفَاتِيحِ فِي كَمْبِيُوتَرِي، أَرَى يَدَايَ وَأَصَابِعِي وَهِيَ تَتَحَرَّكُ. نَنْظُرُ إِلَى أَيْدِينَا مَرَّاتٍ عَدَّةً فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ. فَهَلْ يُوجَدُ أَيُّ جِزءٍ مِنْ أَجْسَادِنَا نَرَاهُ أَكْثَرَ؟ إِنَّنَا، بِطَبْعِنَا الْبَشَرِيِّ، نَنْسَى بِسَهُولَةٍ. وَحَيْثُ إِنَّنَا نَحْتَاجُ إِلَى تَذَكُّرٍ وَصَايَا اللَّهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ نَخْلُقَ أَنْمَاطًا وَعَادَاتٍ تُسَاعِدُنَا عَلَى تَذَكُّرِ هُويَّةِ اللَّهِ وَطَبِيعَةِ دَعْوَتِهِ لِحَيَاتِنَا.

نَرَى حَقًّا هَذِهِ الْأَنْمَاطَ فِي حَيَاتِنَا وَفِي حَيَاةِ مَنْ هُمْ حَوْلُنَا. يَسْتَخْدِمُ أَصْدِقَاؤُنَا الْمُسْلِمُونَ حَبَّاتِ الْمَسْبُوحَةِ لِتَذَكُّرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ، حَيْثُ يَحْمِلُونَهَا حَوْلَ مَعَاصِمِ أَيْدِيهِمْ وَيُحَرِّكُونَ حَبَّاتِ الْمَسَابِيحِ لَتَعْدَادِ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَيَسْتَخْدِمُ أَصْدِقَاؤُنَا الْكَاثُولِيكَ النَّمْطَ نَفْسَهُ لَتَلَاوَةِ صَلَوَاتِ الْوَرْدِيَّةِ. نَسْتَطِيعُ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ أَنْ نَضَعَ تَنْبِيهَاتٍ فِي هَوَاتِفِنَا (وَهِيَ امْتِدَادٌ لِعَمَلِ أَيْدِينَا) لِتَذَكُّرِنَا. مَاذَا سَتَفْعَلُ لِإِنْشَاءِ أَنْمَاطٍ تُسَاعِدُ عَلَى تَذَكُّرِكَ بِهُويَّةِ اللَّهِ؟

طَلَبَ مُوسَى أَيْضًا مِنْ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ فِي الْآيَةِ 8 الْآتِي: «وَلَتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ». لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى مَاذَا يُوجَدُ فِي الْمَسَاحَةِ مَا بَيْنَ أَعْيُنِنَا (مَا لَمْ نَنْظُرْ فِي الْمَرَاةِ)، لَكِنَّ عَائِلَاتِنَا تَرَى مَا يُوجَدُ بَيْنَ أَعْيُنِنَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَنْظُرُونَ فِيهَا إِلَيْنَا. يُسَاهِمُ هَذَا الْأَمْرُ (أَنْ تَكُونَ وَصَايَا اللَّهِ ظَاهِرَةً عَلَى مُحَيَاتِنَا وَحَيَاتِنَا الْعَمَلِيَّةِ) فِي أَنْ يَكُونَ بِمَثَابَةِ تَذَكُّرٍ لَيْسَ لَأَنْفُسِنَا بَلْ لِلْأَشْخَاصِ الْأَقْرَبِ إِلَيْنَا. وَلَكُونِنَا رَاغِبِينَ فِي أَنْ تَعْرِفَ عَائِلَاتُنَا وَالْقَرِيبُونَ مِنَّا وَصَايَا اللَّهِ، يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَعِيشَ بِطَرِيقَةٍ تُسَاعِدُهُمْ عَلَى التَّعَرُّفِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى دَافِعِ مَحَبَّتِنَا لَهُ.

نُذَكِّرُ عَائِلَتِنَا وَأَصْدِقَاءَنَا بِطُرُقِ اللَّهِ بِوَاسِطَةِ أَسْلُوبِ حَدِيثِنَا وَأَنْمَاطِ تَصَرُّفَاتِنَا، فَنَحْنُ نَدْعُوهُمْ بِوَاسِطَةِ كُلِّ تَصَرُّفٍ أَوْ قَوْلٍ لِيَنْضَمُّوا إِلَيْنَا فِي

ولأننا لله الواحد. ندعوهم لينضمُّوا إلينا في مَحَبَّةِ الله مِن كُلِّ قلوبنا وكُلِّ نفوسنا وكُلِّ قُوَّتنا.

تَتَسَّعُ الدائِرَةُ فِي الْآيَةِ التَّاسِعَةِ. فنحن الآن، لا نَذْكُرُ أَنْفُسَنَا فقط- أو حتَّى عائلَتنا وأصدقاءنا- بِهُوِيَّةِ الله، بل إنَّنا أيضًا نُوسِّعُ دائِرَةَ التذكير لِتَشْمَلَ جيراننا ومعارفنا، أي الذين نتواصل معهم بين وقتٍ وآخر في الشوارع أو المَتَاجِرِ فِي الْمَنطِقَةِ الَّتِي نَسْكُنُ فِيهَا. يقول موسى: «وَاجْتَنِبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ». كم عدد المنازل الَّتِي نَرى مَكْتُوبًا عَلَيْهَا عِبَارَةٌ: «ما شاء الله»؟ تَذَكُّرُنا هَذِهِ الْعِبَارَةَ- وَتَذَكُّرُ جيراننا- بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْمَعْطِي؛ فَهِيَ بِمِثَابَةِ تَذَكُّرٍ لَنَا بِعَدَمِ الْحَسَدِ. تُشِيرُ كَلِمَةُ «الْأَبْوَابِ» فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ، مَا يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ فَقَطْ هَذَا الشَّخْصُ أَوْ الْأُسْرَةُ هُمْ مَنْ يُقَدِّمُونَ الْوَلَاءَ لِلَّهِ، بَلْ أَيْضًا نَرى الْمُجْتَمَعَ كُلَّهُ يُقَدِّمُ هَذَا الْوَلَاءَ. نَرى هَذَا فِعْلًا فِي مُدُنِنَا بِصُورَةٍ أَوْ بِأُخْرَى. عِنْدَمَا نَقُودُ السَّيَّارَةَ وَنَرى لافِتاتٍ كُتِبَ عَلَيْهَا: «لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» أَوْ بِبَسَاطَةٍ: «اذْكُرُوا اللَّهَ».

نريد في كُلِّ ما نَفْعَلُهُ أَنْ يَرى الْآخَرُونَ أَنَّ وِلَاءَنَا هُوَ لِلَّهِ فَقَطْ وَلَيْسَ لِأَيِّ شَخْصٍ آخَرَ. وَأَنْ يُدْرِكُوا أَنَّنا نَحِبُّ اللَّهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّنا لَا نَتَّبِعُ بِبَسَاطَةٍ مَلَذَّاتِ الْعَالَمِ، وَلَكِنْ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ أَعْظَمُ كَنْزٍ، وَأَنَّهُ- كَمَا تَقُولُ الْآيَةُ فِي الْمَزَامِيرِ- تُوجَدُ فِي يَمِينِهِ «نَعَمْ إِلَى الْأَبَدِ» (مزمو 16: 11).

عِنْدَمَا نَحِبُّ اللَّهَ مِنْ كُلِّ قلوبنا وكُلِّ نفوسنا وكُلِّ قُوَّتنا، سَنَعِيشُ بِطَرِيقَةٍ يُلاحِظُهَا الْآخَرُونَ. لِهَذَا السَّبَبِ، قَالَ يَسُوعُ: «فَلْيُضَيِّ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متَّى 5: 16). وَمِنْ أَجْلِ الْعَثُورِ عَلَى أَبْنَاءِ السَّلَامِ، لَا بُدَّ أَنْ نَكُونَ أَوَّلًا شَعْبَ السَّلَامِ؛ وَأَنْ نَكُونَ أَوَّلًا مِنَ الَّذِينَ سَلَّمُوا حَيَاتَهُمْ تَمَامًا لِلَّهِ الْوَاحِدِ.

إِنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ التَّسْلِيمِ لِلَّهِ سَيَجْعَلُنَا وَاضِحِينَ وَيُبْرِزُنَا لِلْآخَرِينَ،
حَيْثُ سَيَرَى الْآخَرُونَ وَيَعْرِفُونَ أَنَّنا نَحِبُّ اللَّهَ وَنَسْعَى إِلَى إِرْضَائِهِ فِي كُلِّ مَا
نَفْعَلُهُ. عِنْدَمَا نَتَصَرَّفُ عَلَى نَحْوِ يُذَكِّرُ الْآخَرِينَ بِهُوِيَّةِ اللَّهِ، سَتُفْتَحُ الْأَبْوَابُ
أَمَامَنَا لِنَتَكَلَّمَ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ فِي حَيَاتِنَا. سَيَنْجَذِبُ الَّذِينَ يَرُونَا إِلَى
مَحَبَّةِ اللَّهِ الْوَاضِحَةِ فِي حَيَاتِنَا.

يَجِبُ أَنْ نَعِيشَ حَيَاتِنَا، بِوَصْفِنَا مُؤْمِنِينَ، عَلَى نَحْوِ وَاضِحٍ أَمَامَ
الْآخَرِينَ، وَأَنْ نَحِبَّهُمْ مَحَبَّةً عَمَلِيَّةً وَاضِحَةً، وَأَنْ نَتَصَرَّفَ بِسَخَاءٍ بِتَقْدِيمِ
وَقْتِنَا وَمَوَارِدِنَا، وَأَنْ نَتَحَدَّثَ بِلُطْفٍ وَنَمْنَحَ نِعْمَةً لِلْآخَرِينَ بِوَاسِطَةِ أَقْوَالِنَا،
وَيَجِبُ أَلَّا نَغْضَبَ بِسَهْوَةٍ، وَيَجِبُ فِي الْمَقَابِلِ أَنْ نُسْرِعَ فِي الْاسْتِمَاعِ وَأَنْ
نُبْطِئَ فِي الْكَلَامِ.

بِوَاسِطَةِ مَحَبَّتِنَا لِلَّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبِنَا وَنَفْسِنَا وَقُوَّتِنَا وَخُضُوعِنَا الْكَامِلِ
لَهُ، فَسَنَسْتَمِدُّ الْقُوَّةَ لِنُشَارِكَ مَحَبَّةَ اللَّهِ الْفَرِيدَةِ الْمُقَدَّمَةِ لِلْعَالَمِ بِوَاسِطَةِ
الْمَسِيحِ يَسُوعَ. سَتَشْهَدُ كَلِمَاتُنَا وَأَفْعَالُنَا عَنْ سِيَادَةِ اللَّهِ، وَسَنَكُونُ حَقًّا
مِلْحَ الْأَرْضِ وَنُورَ الْعَالَمِ.

ضَوْءٌ سَاطِعٌ

إِنَّ «ابْنَ السَّلَامِ» هُوَ مِثْلُ الْفَرَّاشَةِ الَّتِي عِنْدَمَا تَرَى الضَّوْءَ، تَنْجَذِبُ
إِلَيْهِ وَتَتَحَرَّكُ نَحْوَهُ، بَيْنَمَا يُشَبِّهُ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ هُمْ لَيْسُوا مِنْ «أَبْنَاءِ
السَّلَامِ» الصَّرَاصِيرَ الَّذِينَ يَهْرَبُونَ مِنَ الضَّوْءِ لِيَخْتَبِئُوا فِي الْأَمَاكِنِ الْمَظْلَمَةِ.
يَسْطُعُ الضَّوْءُ بِوَاسِطَةِ أَفْعَالِنَا عِنْدَمَا نُبَادِرُ إِلَى اكْتِشَافِ الْاِحْتِيَاجِ، وَمِنْ ثَمَّ
الْقِيَامَ بِالْخَطَوَاتِ الْعَمَلِيَّةِ لَتَلْبِيَةِ الْاِحْتِيَاجَاتِ وَفَقًّا لِمَا يُزَوِّدُنَا بِهِ اللَّهُ مِنْ
إِمْكَانِيَّاتٍ. وَيَسْطُعُ الضَّوْءُ أَيْضًا بِوَاسِطَةِ كَلِمَاتِنَا. كَمَا رَأَيْنَا سَابِقًا أَنَّ الرَّسُولَ

بولس وبرنابا «تَكَلَّمَا، حَتَّى آمَنَ جُمُهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ»
(أعمال الرسل 14: 1).

إِنَّ لِكَلِمَاتِنَا تَأْثِيرًا كَبِيرًا. يُعَلِّمُنَا الرَّسُولُ بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ أَفَسَسَ
أَمْرًا مُهِمًّا- غَالِبًا مَا يَجْرِي تَجَاهُلُهُ- بِشَأْنِ كَلِمَاتِنَا، حَيْثُ يَقُولُ: «لَا تَخْرُجْ
كَلِمَةً زِدِيَّةً مِنْ أَفْوَاهِكُمْ، بَلْ كُلُّ مَا كَانَ صَالِحًا لِلْبُنْيَانِ حَسَبَ الْحَاجَةِ، كَيْ
يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلْسَامِعِينَ» (أفسس 4: 29). نَسْتَطِيعُ أَنْ نُبْنِيَ بِكَلَامِنَا أَوْ أَنْ
نَهْدِمَ بِهِ. إِنَّ كَلَامَنَا لَدَيْهِ الْقُدْرَةُ عَلَى أَنْ «يُعْطِيَ نِعْمَةً لِلْسَامِعِينَ»؛ وَتَأْتِي
النِّعْمَةُ بِوَسْطَةِ الْكَلِمَاتِ. لِذَا يَجْدُرُ بِنَا الْإِتْبَاهُ بِشَأْنِ مَا قَدْ يَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَاهِنَا وَأَنْ نَأْخُذَ بَعَيْنَ الْإِعْتِبَارِ نَوْعِيَّةَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْذِبَ
الْفَرَاشَاتِ، أَيْ أَبْنَاءَ السَّلَامِ.

نَسْتَطِيعُ أَنْ نُطَلِّقَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ تَسْمِيَةَ الْكَلِمَاتِ الْمُمْلَحَةِ أَوْ
الْحَدِيثِ الْمُمْلَحِ. إِنْ أَكَلَّ شَخْصٌ مَا الْكَثِيرَ مِنَ الرِّقَاقِ الْمَالِحَةِ أَوْ الْفُولِ
السُّودَانِيِّ الْمَالِحِ؛ فَسَيَشْعُرُ بِالْعَطَشِ وَسَيَطْلُبُ أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ. لِذَا نَنْطِقُ
بِالْكَلِمَاتِ الْمُمْلَحَةِ، أَيْ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُسَبِّبُ الْعَطَشَ لَدَى السَّامِعِينَ
لِلْحَصُولِ عَلَى الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ الَّتِي نَجِدُهَا فَقَطْ فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ. يَسْتَطِيعُ
كَلَامُنَا أَنْ يُلْعَبَ دَوْرَ الْمَصْفَاةِ لِنُمَيِّزَ مَا إِذَا كَانَ الشَّخْصُ الَّذِي نَتَكَلَّمُ مَعَهُ
هُوَ «ابْنُ السَّلَامِ» أَمْ لَا. نَسْتَطِيعُ الْمُشَارَكَةَ عَنْ يَسُوعَ، وَمِنْ ثَمَّ نُرَاقِبُ
لِنَرَى إِنْ كَانَتْ مُشَارَكَتُنَا سَتُنْتِجُ عَطَشًا وَرَغْبَةً فِي مَعْرِفَةِ الْمَزِيدِ، أَوْ إِنْ
كَانَتْ سَتُغْلِقُ بَابَ الْحَدِيثِ وَتُوقِفَ الْحَوَارَ.

يَسْتَطِيعُ الْحَدِيثُ الْمُمْلَحُ أَنْ يَظْهَرَ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ تَقْرِيبًا،
وَلَكِنْ نُقَدِّمُ فِي مَا يَلِي بَعْضَ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي يُمَكِّنُكَ أَنْ تُفَكِّرَ فِيهَا مِنْ أَجْلِ أَنْ
تُحَاوِلَ أَنْ تَشِعَّ بِنُورِ الْمَسِيحِ بِوَسْطَةِ كَلِمَاتِكَ:

- قصص الكتاب المقدس.
- شهادات شخصية (تعاملات الله في حياتك).
- استجابات الصلاة.
- آيات مُعَيَّنَةٌ تتعلق بموضوع تُناقِشُهُ.
- الصلاة مع الذين تزورهم، لا سيَّما بَعْدَ أَنْ عَبَّرُوا عَنْ احتياجٍ أو صعوبةٍ في حياتهم.
- الحديث عن التقاليد الثقافية وكيفية تسليطها الضوء على نعمة الله، أو حَجَبِهَا النُّورَ عن تلك النعمة.
- الحديث عن الأعياد الدينية ومعانيها (مَثَلًا: عيد الأضحى وتضحية إبراهيم بابنه).
- آيات من القرآن تُشيرُ إلى تَفَرُّدِ يسوع أو تَتَكَلَّمُ على نحوٍ إيجابيٍّ عن الكتب السماوية الأخرى، مثل التوراة والزبور (المزامير) والإنجيل.
- أفلام وبرامج وكُتُبٌ تُعالِجُ مواضيعٍ مثل المَحَبَّةِ والخطيئة والخلاص والألم والمعاناة...إلخ.
- بناء جسرٍ من حياتنا اليومية (مَثَلًا: أُمُورٌ تَشْكُرُ اللهَ مِنْ أَجْلِهَا في حياة أطفالك، وأُمُورٌ يُعَلِّمُكَ اللهُ إِيَّاهَا في وسط زحمةٍ سيرٍ خانقةٍ، وصعوباتٍ تُواجهُها في رعاية عائلتك، وأهميَّةِ النزاهة في عَمَلِكَ...إلخ).
- استجابة لطيفةٍ لكلماتٍ قاسيةٍ.
- نصيحةٌ حكيمةٌ.
- مشاركة الإنجيل (في بعض الأحيان، يستطيع الإعلانُ ببساطةٍ وجرأةٍ عن الأخبار السارة- المختصة بموت يسوع وقيامته- أَنْ يَلْعَبَ دورَ المصفاة لاكتشاف ما إذا كان الشخص مُهْتَمًّا بمعرفةٍ مزيدٍ أم لا).

استخدَمَ حمزة وعلياء أنواعًا مُخْتَلِفَةً من الكلام المُمَلَّح عندما قابَلاً محمَّدًا وعائلته، وشاركًا معهم قصصًا من الكتاب المقدَّس، فضلًا عن قصصِ نعمة الله في حياتهما. وقد صُلِّيا معهم مرَّاتٍ كثيرة، وقد سَطَعَ نُورُ يسوع بواسطة حضورهما وسلامهما الهادئ. وعندما قام الله بشفاء شام بطريقةٍ مُعْجِزِيَّة، فَهِمَ محمَّد وعائلته أنَّ كُلَّ الأمور التي شارَكها معهما حمزة وعلياء لَمْ تَكُنْ فقط صحيحة، بل كانت أيضًا قِيَمَةً ومُهِمَّةً وتستحقُّ أَنْ تَجْرِيَ مُشارَكَتُها مع الآخرين. وبواسطة الطاعة المُخلِصة للربِّ يسوع التي كانت لدى حمزة وعلياء، فقد وَجَدَا «ابنَ السلام».

السير في «دَرْبِ الإيمان»

1. ابْحَثْ في العهد الجديد، وقُمْ بإعداد قائمةٍ تضمُّ عشرة أشخاصٍ على الأقلٍّ مَن يُمَثِّلون ابنَ السلام أو ابنة السلام (مَثَلًا: الشخص الذي يَقْبَلُ الرسالة، وَيَفْتَحُ بَيْتَهُ لِيَسْتَمَعَ أفرادُ عائلته للرسالة نَفْسِهَا). وقد قَدَّمْنَا لك مَثَلًا واحدًا هو كرنيليوس في أعمال الرسل الأصحاح 10.
2. خُذْ وقتًا للتفكير في ولائك الشخصيِّ لله. كيف تستطيع أَنْ تنمو لِتَحِبَّ الله مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وكُلِّ نَفْسِكَ وكُلِّ قُوَّتِكَ على نحوٍ أَكْثَرَ ممَّا سَبَقَ؟ ماذا تستطيع أَنْ تَفْعَلَ لِجَعْلِ هذه المَحَبَّة لِلآخرين أَكْثَرَ وضوحًا في حياتك؟
3. شارِكِ الكلماتِ المُمَلَّحة مع شَخْصٍ غيرِ مُؤْمِنٍ في حياتك.
4. مع مَنْ سَتُشارِكِ الأمورَ التي تَعَلَّمْتَهَا عن ابنِ السلام؟

الفصل السابع

يُطِيعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ

يَجْتَمِعُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثًا فِي مَبْنَى الْكَنِيسَةِ عِرَاقِيُّونَ وَمِصْرِيُّونَ وَأُورْدُنِيُّونَ لِلْعِبَادَةِ وَلِدِرَاسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِطَرِيقَةٍ مُشَابِهَةٍ لِـ «أَسْئَلَةِ الدِّرَاسَةِ الثَّمَانِيَةِ». مُعْظَمُ الْحَاضِرِينَ هُمْ مِنْ خَلْفِيَّةٍ مَسِيحِيَّةٍ، وَلَكِنْ غَالِبًا مَا يَكُونُ مَعَهُمْ مُؤْمِنُونَ مِنْ خَلْفِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ أَيْضًا، وَقَدْ اسْتَخْدَمُوا عَلَى مَرِّ السِّنِينَ أَسْئَلَةً بَسِيطَةً لِدِرَاسَةِ أَسْفَارِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، مِثْلُ إِنْجِيلِ مَرْكُسٍ وَسِفْرِ الْأَمْثَالِ وَسِفْرِ الْمَزَامِيرِ. وَكَانَ بَعْضُ الَّذِينَ يُشَارِكُونَ بِنَشَاطٍ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ وَيَدْرُسُونَهُ يَوْمِيًّا، فِي حِينٍ لَمْ يَقْرَأْ آخَرُونَ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ بِنَاطٍ، وَكَانُوا يَقْرَأُونَ مَعًا الْقِصَّةَ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ كَانُوا يُنَاقِشُونَ الْأَسْئَلَةَ. وَفِي النِّهَايَةِ، كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يُشَارِكُ بِدَوْرِهِ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ تَطْبِيقِ مَا تَعَلَّمَ فِي أَثْنَاءِ الْأَسْبُوعِ الْمُقْبِلِ.

شَارَكَ نَوَّارٌ فِي اجْتِمَاعَاتِ دَرَسِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مِنْذُ أَنْ فَرَ مِنَ مَنْزِلِهِ هَارِبًا مِنْ «تَنْظِيمِ دَاعِشٍ»، وَقَدْ كَانَ الْإِيمَانُ أَمْرًا مُهِمًّا لَهُ، لَكِنَّهُ اكْتَشَفَ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْمَجْمُوعَاتِ الصَّغِيرَةِ قَدْ ابْتَدَأَ يَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ فِي دَاخِلِهِ بَيْنَمَا كَانُوا يَقْرَأُونَ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَيُنَاقِشُونَ مَضْمُونِ النُّصُوصِ الْكِتَابِيَّةِ مَعًا. اسْتَمْتَعَ نَوَّارٌ بِهَذِهِ الرَّاحَةِ وَرَغِبَ رَغْبَةً شَدِيدَةً فِي أَنْ تَخْتَبِرَهَا عَائِلَتُهُ أَيْضًا.

في ذات يوم، درَسَتِ المجموعاتُ الصلاةَ الربَّانيَّةَ. وَبَعْدَ أَنْ نَاقَشَتِ المجموعاتُ الأمورَ الَّتِي تَعَلَّمُوهَا عَنِ اللَّهِ وَعَنِ الْبَشَرِ مِنَ الْمَقْطَعِ الْكِتَابِيِّ، تَشَارَكَ أَفْرَادُ الْمَجْمُوعَةِ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ تَطْبِيقِ مَا تَعَلَّمُوهُ فِي حَيَاتِهِمْ. وَقَدْ تَأَثَّرَ نَوَّارٌ جَدًّا بِالآيَةِ الْآتِيَةِ: «وَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَعْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا» (مَتَّى 6: 12)، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى مُمَارَسَةِ الْاعْتِرَافِ فِي حَيَاتِهِ عَلَى نَحْوِ أَكْبَرٍ. وَمَعَ أَنَّهُ اعْتَرَفَ بِخَطَايَاهُ مِنْ قَبْلُ وَحَصَلَ عَلَى الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ، فَإِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ دَعَاهُ لِيُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَاةَ كُلَّ يَوْمٍ. لَمْ يَكُنِ الْاعْتِرَافُ أَمْرًا نَفَعْلُهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ، وَلَكِنَّهُ نَمَطُ حَيَاةٍ.

رَجَعَ نَوَّارٌ إِلَى مَنْزِلِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَ التَّزَامِ جَدِيدٍ: الْاعْتِرَافُ بِخَطَايَاهُ بِنْتَظَامٍ. وَابْتَدَأَ أَيْضًا بِتَعْلِيمِ زَوْجَتِهِ وَأَطْفَالِهِ حَوْلَ أَهْمِيَّةِ قِضَاءِ الْوَقْتِ فِي الصَّلَاةِ وَالْاعْتِرَافِ بِخَطَايَاهُمْ لِلَّهِ. وَنَتِيجَةً لَذَلِكَ، أَسَّسُوا أَنْمَاطًا مُخْتَصَّةً بِعَائِلَتِهِمْ لِلصَّلَاةِ بِنْتَظَامٍ، وَلِلْاعْتِرَافِ بِخَطَايَاهُمْ لِلرَّبِّ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ. يَنْتَظِرُ نَوَّارٌ مَعَ عَائِلَتِهِ فُرْصَةً لِلْهَجْرَةِ إِلَى أَرْضٍ جَدِيدَةٍ وَلَكِنَّهُمْ اكْتَشَفُوا فِي أَثْنَاءِ فِتْرَةِ الْإِنْتَظَارِ هَذِهِ فَرَحًا جَدِيدًا فِي حَيَاتِهِمْ: سَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَأْتِي بِوَسَاطَةِ الْاعْتِرَافِ بِالْخَطِيئَةِ بِنْتَظَامٍ. وَقَدْ وَجَدَتِ الْعَائِلَةُ، بِوَسَاطَةِ دِرَاسَةِ بَسِيطَةٍ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، طَرِيقَةً جَدِيدَةً لِتَطْبِيقِ تَعْلِيمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، وَكَانَتْ ثَمَرَةُ طَاعَتِهِمْ عَمِيقَةً.

عَامِلُونَ لَا سَامِعُونَ فَقَطْ

كَانَ نَوَّارٌ عَامِلًا بِالْكَلِمَةِ؛ لَيْسَ فَقَطْ أَنَّهُ اسْتَمَعَ إِلَى تَعَالِيمِ الرَّبِّ يَسُوعَ فِي الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ، بَلْ هُوَ أَيْضًا طَبَّقَ مَا تَعَلَّمَهُ. كَتَبَ الرَّسُولُ يَعْقُوبُ فِي رِسَالَتِهِ: «كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ، لَا سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نَفُوسَكُمْ. لِأَنَّهُ

إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعًا لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلًا، فَذَاكَ يُشَبِّهُ رَجُلًا نَاطِلًا وَجْهَ خَلْقَتِهِ فِي مِرَاةٍ، فَإِنَّهُ نَظَرَ ذَاتَهُ وَمَضَى، وَلِلْوَقْتِ نَسِيٍّ مَا هُوَ. وَلَكِنْ مَنْ اطَّلَعَ عَلَى النَّامُوسِ الْكَامِلِ - نَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ - وَثَبَّتَ، وَصَارَ لَيْسَ سَامِعًا نَاسِيًا بَلْ عَامِلًا بِالْكَلِمَةِ، فَهَذَا يَكُونُ مَغْبُوطًا فِي عَمَلِهِ» (يعقوب 1: 22-25).

تَخَيَّلْ أَنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى وَجْهِكَ فِي الْمِرَاةِ، وَمِنْ ثَمَّ تَنْصَرِفُ وَتَعْجَزُ عَنْ تَذَكُّرِ مَلَامِحِكَ. هَلْ كُنْتَ تَضَعُ نَظَارَاتٍ؟ هَلْ شَعْرُكَ مُمَشَّطٌ؟ هَلْ كَانَ وَجْهُكَ مُتَسِّحًا؟ أَنْتَ لَا تَعْرِفُ لِأَنَّكَ لَا تَتَذَكَّرُ. يَا لَهُ مِنْ أَمْرٍ مُسْتَحِيلٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ يُرَكِّزُ يَعْقُوبُ عَلَى فِكْرَةِ أَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ بِالْمَقْدَارِ نَفْسَهُ أَنْ يَقْرَأَ شَخْصٌ مَا كَلِمَةُ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَنْ يُطَبِّقَهَا فِي حَيَاتِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّا فِي كُلِّ يَوْمٍ نَتَجَاهَلُ كَلِمَةَ اللَّهِ بِسَهُولَةٍ وَنَنْسَاهَا وَنُعْصِيهَا.

بدلاً من أَنْ يَكُونَ الْعَصِيَانُ أَمْرًا لَا يُمْكِنُ التَّفَكُّيرُ بِهِ، أَصْبَحَ طَبِيعِيًّا. وَإِنْ كُنَّا صَادِقِينَ مَعَ أَنْفُسِنَا، فَسَنَعْتَرِفُ بِأَنَّ الطَّاعَةَ لَا تَحْدُثُ تَلَقَّائِيًّا، بَلْ هِيَ اخْتِيَارٌ، وَسَنَعِي أَنْ اتَّخَاذَ هَذَا الْخِيَارِ هُوَ أَمْرٌ صَعْبٌ. مِنْذُ أَنْ أَخْطَأَ آدَمُ وَحَوَّاءُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ، أَصْبَحَ الْبَشَرُ، بِطَبِيعَتِهِمْ، لَا يَرْغَبُونَ فِي الطَّاعَةِ. إِنَّ مِثْلَنَا الطَّبِيعِيَّ هُوَ الْعَصِيَانُ، وَنَرَى هَذَا الْأَمْرَ فِي الْأَطْفَالِ الصَّغَارِ. لَا يُطِيعُ الْأَطْفَالُ وَالِدِيهِمْ عَلَى نَحْوِ طَبِيعِيٍّ وَلَا يَفْعَلُونَ الصَّوَابَ، وَلَنْ يُطِيعُوا إِنْ لَمْ نُعَلِّمْهُمْ ذَلِكَ. وَمِنْ ثَمَّ، يَجْدُرُ بِالْأَطْفَالِ اخْتِيَارَ الطَّاعَةِ. تَعَلَّمَ نَوَّارٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ عَنِ الْاعْتِرَافِ عِنْدَمَا كَانَ يَدْرُسُ الصَّلَاةَ الرَّبَّانِيَّةَ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْآخَرِينَ، ثُمَّ اخْتَارَ أَنْ يُطِيعَ الْأُمُورَ الَّتِي تَعَلَّمَهَا وَعَلَّمَ عَائِلَتَهُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ أَيْضًا.

خاتمة إنجيل متى

كَتَبَ الْبَشِيرُ مَتَّى إِنْجِيلَهُ لِنَتَمَكَّنَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ وَالْإِيمَانِ بِأَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ الَّذِي مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا، وَأَنَّهُ قَامَ مِنَ الْقَبْرِ. وَيُرِيدُ الْبَشِيرُ مَتَّى مِنْ كُلِّ قُرَّاءِ صَفَحَاتِ إِنْجِيلِهِ أَنْ يَلْتَقُوا بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمُقَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. وَعَلَى نَحْوِ أَكْبَرٍ، يُرِيدُ الْبَشِيرُ مَتَّى مِنْ قُرَّاءِ إِنْجِيلِهِ أَنْ يَتَّبِعُوا الرَّبَّ يَسُوعَ تَمَامًا كَمَا فَعَلَ هُوَ.

كَتَبَ مَتَّى الْكَلِمَاتِ الْآخِرَةَ الْآتِيَةَ:

«وَأَمَّا الْأَحَدَ عَشَرَ تَلْمِيذًا فَانْطَلَقُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى الْجَبَلِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ يَسُوعُ. وَلَمَّا رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ شَكُّوا. فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: «دَفْعَ إِلَيَّ كُلِّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُّوسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أُوصِيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (مَتَّى 28: 16-20).

كَانَ بَاسِطَاعَةِ الْبَشِيرِ مَتَّى أَنْ يُنْهِى كِتَابَةَ إِنْجِيلِهِ بِآلَافِ النِّهَايَاتِ الْمَخْتَلِفَةِ، لَكِنَّهُ اخْتَارَ أَنْ يَخْتِمَهُ بِكَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ الشَّهِيرَةِ الَّتِي يُطَلِّقُ عَلَيْهَا تَسْمِيَةَ «الْمَأْمُورِيَّةِ الْعُظْمَى». سَيُخَذُّمُ التَّلَامِيذُ الرَّبَّ يَسُوعَ بِوَصْفِهِمْ سَفَرَاءَ لَهُ فِي عَالَمٍ لَمْ يَعُدْ يَسُوعَ مَوْجُودًا فِيهِ جَسَدِيًّا. ظَهَرَ الرَّبُّ يَسُوعَ لِتَلَامِيذِهِ، بَعْدَ قِيَامَتِهِ وَقَبْلَ صُعُودِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَعْطَاهُمْ هَذِهِ التَّعْلِيمَاتِ النِّهَايَّةَ. لَمْ يُضِفِ الْبَشِيرُ مَتَّى أَيَّ تَعْلِيْقٍ، وَلَكِنَّهُ سَمَحَ بِبَسَاطَةِ لِكَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ تَبَرَّزَ وَأَنْ تُشَكِّلَ الْجُزْءَ الْآخِرَ مِنْ إِنْجِيلِهِ. يَدْعُو الْبَشِيرُ مَتَّى قُرَّاءَهُ لِلِاسْتِجَابَةِ لِمَا قَالَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ بِوَاسِطَةِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي خَتَمَ بِهَا إِنْجِيلَهُ؛ فَهُوَ تَحَدَّى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ قُرَّائِهِ، وَيَتَحَدَّثَانَا الْيَوْمَ أَيْضًا.

لذا، كيف ستستجيب لدعوة يسوع المسيح، ابن الله الذي مات وقام مُنتصراً؟ هل ستتبعه؟

شَكَلْتُ كلماتُ الربِّ يسوع الأولى إعلاناً عن قُوَّتِهِ وَسُلْطَتِهِ؛ فهي بيانٌ عن مكانته ليس فقط أمام التلاميذ، بل أيضاً أمام العالمِ كُلِّهِ. قال الربُّ يسوع: «دَفَعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ» (الآية 17). لا يُوجَدُ مَنْ هو أعظمُ من الربِّ يسوع؛ لا يُوجَدُ مَلِكٌ أو رئيسٌ أو رئيسُ وزراءٍ يستطيع أن يُوجِّهَ للمسيحِ أمراً؛ إذ إنَّه مَلِكُ الملوك وربُّ الأرباب الذي له كُلُّ السلطان. لا شكَّ أنَّ يسوعَ شخصيّةٌ فريدةٌ تختلف عن جميع الذين ساروا على هذه الأرض. أعطى الله الأبُّ الربِّ يسوع كُلَّ سلطانٍ لأنَّه أطاع الله في كُلِّ شيء، حتَّى وصولاً إلى الموت. لذلك، رَفَعَهُ اللهُ وأعطاه اسماً فوق كُلِّ اسم، الذي يُرافقُه كُلُّ سلطان.

وَبَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ المسيح عن سلطانه، اسْتَخْدَمَهُ مُباشرةً. إِنَّ الوصيَّةَ المحوريَّةَ في صُلْبِ المأموريَّةِ العظمى هي أَنْ تُتْلَمَذُوا الْآخَرِينَ. قال الربُّ يسوع لتلاميذه: «وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ»، ما يعني أنَّه ليس مَلِكاً إقليمياً بل هو مَلِكُ كُلِّ الْأُمَمِ؛ إذ هو ابن الله. وقد خاطَبَ اللهُ المسيحَ مُسْتَحْدِماً تعبير «الابن» في مزمو 2: 8، وأعطاه وَعْداً إذ قال: «إِسْأَلْنِي فَأُعْطِيكَ الْأُمَمَ مِيراثاً لَكَ، وَأَقَاصِي الْأَرْضِ مُلْكاً لَكَ». إِنَّ ميراث الربِّ يسوع هو كُلُّ الْأُمَمِ. ونثق أنَّ يسوع يريد أن يَحْضَلَ على ميراثه كاملاً لأنَّه ابن الإنسان الذي أُعْطِيَ «سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ» (دانيال 7: 14). يسود الربُّ يسوع على الْأُمَمِ، ويريدهم جميعاً أن يخدموه، لذا يأمُرنا: «تَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ».

ولكن ماذا عن الوصايا الثلاث الأخرى التي أعطاهَا الربُّ يسوع: اذْهَبُوا، وَعَمِّدُوا، وَعَلِّمُوا التلاميذَ الْجُدُدَ أَنْ يطيعوه؟ هل هي تعليماتٌ

مُنْفَصِلَةٌ نَتَّبِعُهَا، إِضَافَةً إِلَى تَلْمِذَةِ الْأُمَمِ، أَمْ أَنَّهَا الْوَسِيلَةُ الَّتِي نَتَلَمَّذُ بِهَا الْأُمَمَ؟

نَعْتَقِدُ أَنَّ الْوَصَايَا الثَّلَاثَ الْآخَرَى هِيَ وَصَايَا ثَانَوِيَّةٌ تُسَاعِدُنَا عَلَى رُؤْيَا جَوْهَرِ التَّلْمِذَةِ أَوْ طَبِيعَتِهَا، الَّتِي هِيَ الْوَصِيَّةُ الرَّئِيسَةُ. وَتَشْرَحُ لَنَا الْوَصَايَا الثَّلَاثَ الْآخَرَى الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي نَتَلَمَّذُ بِهَا الْأُمَمَ بِوَسِطَةِ شَرْحِ مَا هِيَ التَّلْمِذَةُ. فَنَسْأَلُ: مَا الرَّابِطُ مَا بَيْنَ الذَّهَابِ وَالتَّلْمِذَةِ؟ وَمَا عِلَاقَةُ الْمَعْمُودِيَّةِ وَتَعْلِيمِ الْآخَرِينَ بِاطَاعَتِهِمْ لِلتَّلْمِذَةِ؟

يَجِبُ أَنْ نَذْهَبَ مِنْ أَجْلِ تَلْمِذَةِ الْأُمَمِ لِأَنَّهُمْ لَنْ يَأْتُوا إِلَيْنَا مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى الْأَقْل، لَنْ يَفْعَلَ مُعْظَمُهُمْ ذَلِكَ. لَا نَسْتَطِيعُ الْبَقَاءَ فِي مَنَازِلِنَا أَوْ فِي كَنَائِسِنَا مُتَوَقِّعِينَ مِنَ الْأُمَمِ الْمَخْتَلِفَةِ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيْنَا. يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَيْهِمْ. هَذَا مَا فَعَلَهُ يَسُوعُ، فَهُوَ لَمْ يَبْقَ فِي السَّمَاءِ، لَكِنَّهُ جَاءَ إِلَيْنَا لِيَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ (لوقا 19: 10)، وَكَمَا أَرْسَلَهُ الْآبُ، هَكَذَا يُرْسِلُنَا الرَّبُّ يَسُوعُ أَيْضًا (يُوحَنَّا 20: 21). مَثَلًا، عِنْدَمَا يُعَيِّنُ مَلِكُ الْأُرْدُنِّ سَفِيرًا لِبِلَادِهِ فِي أَلْمَانِيَا، فَعَلَى السَّفِيرِ الْاِمْتِثَالُ لِأَمْرِ التَّكْلِيفِ وَأَنْ يَذْهَبَ مُبَاشَرَةً. فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْجِزَ عَمَلَهُ فِي عَمَّانَ.

قَدْ يَعْنِي الذَّهَابُ أَنْ نَذْهَبَ إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ أَوْ أَنْ نَعْبُرَ إِلَى النَاحِيَةِ الْآخَرَى فِي الشَّارِعِ. لَا يَتَعَلَّقُ الْمَوْضُوعُ بِالْمَكَانِ الَّذِي نَذْهَبُ إِلَيْهِ بَلْ بِمَبْدَأِ الذَّهَابِ. يَجْلِسُ كَثِيرُونَ وَهُمْ مُسْتَعْبِدُونَ لِأَجْهَازَةِ التَّلْفَازِ وَالْهَوَاتِفِ الْمَحْمُولَةِ، وَنَنْتَقِلُ مِنْ دُونِ تَوَقُّفٍ بَيْنَ صَفْحَاتِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، أَوْ نَقْضِي اللَّيْلَ كُلَّهُ وَنَحْنُ نَلْعَبُ الْأَلْعَابَ الْإِلِكْتَرُونِيَّةَ عَبْرَ الْإِنْتَرْنِتِ. يَأْمُرُنَا الرَّبُّ يَسُوعُ أَنْ نَنْهَضَ وَنَذْهَبَ.

وبينما نحن ذاهبون، نَصْنَعُ التلاميذ. لكنَّ مَنْ التلميذ؟ يُعَلِّمُنَا الرَّبُّ يسوع أَنَّ تلاميذه يَتَّبِعُونَ في كلامه (يوحنا 8: 31) وَيُجِيبُونَ بعضهم بعضًا (يوحنا 13: 35) وَيُثَمِّرون (يوحنا 15: 8). يَعْتَرِفُ التلاميذُ أَنَّ الرَّبَّ يسوع هو مُعَلِّمُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ، ومنه يَتَعَلَّمُونَ وله يَخْضَعُونَ (متى 10: 24-5). وَلَنَكُونُ تلاميذَ الرَّبِّ يسوع، لا بُدَّ أَنْ نُحِبَّه أَكْثَرَ مِمَّا نُحِبُّ أَيَّ شَخْصٍ آخَرَ حَتَّى أَنْفُسِنَا، وَأَنْ نَحْمِلَ صَلِيبَنَا وَنَتَّبِعَهُ (لوقا 14: 26). بصفتنا تلاميذَ الرَّبِّ يسوع، فَإِنَّا أَوْلَا نَرْتَبِطُ بِهِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا، وَمِنْ ثَمَّ نَطِيعُهُ.

يُوضِّحُ الرَّبُّ يسوع في المأمورية العظمى نَفْسَهَا هَذِينَ الْمُكُونِينَ الرِّئِيسِينَ بِشَأْنِ كَوْنِنَا تلاميذه، أَيِ الْأَمْرِينَ الَّذِينَ يَجْدُرُ بِنَا الْقِيَامُ بِهِمَا بُغْيَةً صُنْعَ تلاميذَ للرَّبِّ يسوع. نستطيع أَنْ نُلَخِّصَ جَوْهَرَ التَّلْمِذَةِ بِالْمَعْمُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ. قَالَ الرَّبُّ يسوع: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدَّسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ» (متى 28: 19-20).

في التَّلْمِذَةِ، نَهْدَفُ أَوْلَا إِلَى أَنْ نُسَاعِدَ الْآخَرِينَ عَلَى الْبَدْءِ بِعِلَاقَةٍ شَخْصِيَّةٍ مَعَ يسوع، ونريدهم أَنْ يَتَّحِدُوا بيسوع، وَأَنْ يَكْتَشِفُوا هُويَّتَهُمْ فِيهِ، وَهَذَا مَا يَحْدُثُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ. عِنْدَمَا يَتَّخِذُ شَخْصٌ مَا خُطْوَةَ فَرِيضَةِ الْمَعْمُودِيَّةِ، فَإِنَّهُ يُعْلِنُ بِذَلِكَ اتِّحَادَهُ بيسوع فِي مَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ (رومية 6: 3-8)، وَيُعْلِنُ لِلْعَالَمِ أَنَّ وِلَايَتَهُ قَدْ تَغَيَّرَ، وَأَنَّهُ لَا يَعِيشُ فِي مَا بَعْدَ لِنَفْسِهِ أَوْ أَنَّهُ يَتَّبِعُ أَسْيَادًا آخَرِينَ أَوْ أَنَّهُ يَخْدُمُ أَصْنَامًا أُخْرَى. وَصَارَ هَذَا الشَّخْصُ الْآنَ يُخْضِعُ نَفْسَهُ بِمِلءِ إِرَادَتِهِ إِلَى الْمَلِكِ، وَيَضَعُ اسْمَ الْمَلِكِ - أَيِ اسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدَّسِ - عَلَى حَيَاتِهِ.

ترتبط المعمودية ارتباطًا وثيقًا بالإيمان والتوبة في أذهان كُتَّابِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لدرجة أَنَّنَا غَالِبًا لَا نَلَاحِظُ أَحَدَهُمَا مِنْ دُونِ الْآخَرِ. قَالَ يسوع: «مَنْ

أَمَنْ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ» (مرقس 16: 16). ويُخْبِرُ الرُّسُلُ بطرس المستمعين إليه في أعمال الرسل 2: 38 ما يلي: «تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.»

عندما أَمَرَ الرَّبُّ يَسُوعَ أَتْبَاعَهُ أَنْ يُعَمِّدُوا الْمُؤْمِنِينَ الْجُدَدَ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، طَلَّبَ مِنْهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا الْآخَرِينَ أَنْ يَتَّقُوا بِهِ، وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَتَّحِدُوا مَعَهُ، وَأَنْ يَتُوبُوا عَنْ الْأُمُورِ الَّتِي تُبْعِدُهُمْ عَنْهُ. تُشَكِّلُ هَذِهِ الْأُمُورَ بَدَايَةَ الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا. تُوجَدُ مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ تُشِيرُ إِلَى حَقِيقَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ؛ فَقَدْ ارْتَبَطْنَا بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَاتَّحَدْنَا مَعَهُ بِالْإِيمَانِ. هَذَا هُوَ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمَأْمُورِيَّةِ الْمُخْتَصِّ بِتَلْمِذَةِ جَمِيعِ الْأُمَمِ: أَنْ نَتَلَمَّذَ الْأُمَمَ لِيَتَّحِدُوا مَعَ الرَّبِّ يَسُوعَ.

بَعْدَ أَنْ يَتَّحِدَ التَّلْمِيزُ الْجَدِيدُ مَعَ يَسُوعَ بِوَسْطَةِ الْمَعْمُودِيَّةِ وَالْإِيمَانِ، نَعْلَمُهُ أَنْ يُطِيعَ كُلُّ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ يَسُوعَ. تُوضِّحُ لَنَا هَذِهِ الْخُطْوَةُ أَنَّ التَّلْمِذَةَ لَيْسَتْ مَجْرَدَ الْوَعْظِ بِالْإِنْجِيلِ أَوْ التَّعْلِيمِ عَنِ الْعَقِيدَةِ، فَإِنَّا لَا نَعْلَمُ وَصَايَا الرَّبِّ يَسُوعَ فَقَطْ؛ بَلْ نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ إِطَاعَةِ كُلِّ وَصَايَاهُ. يَقُولُ الرُّسُولُ بُولُسُ: «وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلَا رِيَاءٍ» (1 تيموثاوس 1: 5). إِنَّ غَايَةَ تَعْلِيمِنَا هِيَ أَنْ يُطِيعَ التَّلْمِيزُ وَصِيَّةَ الرَّبِّ يَسُوعَ الَّتِي تَوْصِيهِ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ قَبْلَ أَيِّ أَمْرٍ آخَرَ، وَأَنْ يُحِبَّ الْآخَرِينَ كَمَا يُحِبُّ نَفْسَهُ.

يَقْرَأُ كَثِيرُونَ هَذِهِ الْفَقْرَةَ الْكِتَابِيَّةَ وَيَتَخَطُّونَ الطَّاعَةَ، وَيُدْرِكُونَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ قَدْ تَكَلَّمَ عَنْ ضَرُورَةِ تَلْمِذَةِ كُلِّ الْأُمَمِ، وَضَرُورَةَ أَنْ نَعْلَمَهُمْ كُلَّ وَصَايَاهُ. لَكِنَّهُ أَمْرٌ وَاضِحٌ أَنَّنَا مَدْعُوعُونَ إِلَى تَعْلِيمِهِمْ أَنْ يُطِيعُوا وَصَايَا الرَّبِّ يَسُوعَ، حَيْثُ قَالَ الْمَسِيحُ: «وَعَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ.» تُوضِّحُ تَرْجُمَاتُ أُخْرَى هَذَا الْعَنْصَرَ عَلَى نَحْوِ أَكْبَرَ مِنْ تَرْجُمَةِ «فَانْدَايْكَ

– البستاني» العربيّة. نَجِدُ في «الترجمة المُشتركة» وفي ترجمة «كِتَاب الحياة» الصياغة الآتية: «وَعَلَّمُوهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِكُلِّ مَا أَوْصَيْتَكُمْ بِهِ». بينما نَقْرَأُ في «الترجمة العربيّة المُبسّطة» صياغةً أَوْضَحَ إِذْ تَقُول: «وَعَلَّمُوهُمْ أَنْ يُطِيعُوا كُلَّ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ».

لَا نَعْلَمُ التَّلَامِيذَ أَنْ يُطِيعُوا كُلَّ وَصَايَا الرَّبِّ يَسُوعَ بِمَجَرَّدِ إِخْبَارِهِمْ بِهَا. وَلَكِنْ يَجْدُرُ أَنْ تَكُونَ حَيَاتُنَا مِثَالًا عَمَلِيًّا عَنِ الطَّاعَةِ، وَأَنْ نَعِيشَ أَمَامَهُمْ حَيَاةَ الطَّاعَةِ لِلرَّبِّ يَسُوعَ بَيْنَمَا نَعْلَمُهُمْ عَنْهَا. نَسْعَى إِلَى أَنْ نَكُونَ مِنْ نَوْعِيَّةِ صُنَاعِ التَّلَامِيذِ الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ صَمَّ أَصْوَاتِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ بُولَسَ الَّذِي قَالَ: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ» (1 كورنثوس 11: 1).
عندما نَتَلَمِّذُ، نَكُونُ بِذَلِكَ نَعْلِنُ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ الَّتِي مَضْمُونُهَا هُوَ أَنَّ الْمَلَكُوتَ قَدْ اقْتَرَبَ حَتَّى يَخْضَعُ النَّاسُ لِسَيَادَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ بِالِاتِّحَادِ مَعَهُ وَإِطَاعَتِهِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ. إِنَّ التَّلَمِذَةَ هِيَ إِطَاعَةُ الْإِيمَانِ (رَاجِعِ رُومِيَّةَ 1: 5؛ 16: 26)، وَهِيَ الطَّاعَةُ الَّتِي تَنْتُجُ عَنِ الْإِيمَانِ. عِنْدَمَا نَخْضَعُ لِلرَّبِّ يَسُوعَ سَنُطِيعُهُ، لَيْسَ بِدَافِعِ الْوَاجِبِ، وَلَكِنْ انْطِلَاقًا مِنْ مَحَبَّتِنَا لَهُ، كَمَا شَرَحَ الرَّبُّ يَسُوعُ فِي إِنْجِيلِ يُوَحَنَّا: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ» (يُوَحَنَّا 14: 15).

هل التلمذة لغير المؤمنين أيضًا؟

رَبَّمَا ابْتَدَأْتُمْ تُلاحِظُونَ أَنَّنَا لَا نَعْتَقِدُ أَنَّ التَّلَمِذَةَ هِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَقَطْ، بَلْ هِيَ لِجَمِيعِ النَّاسِ. يَخْتَلِفُ التَّبَشِيرُ عَنِ التَّلَمِذَةِ لَكِنَّهُمَا مَهْمَانِ. لَكِنَّ التَّبَشِيرَ لَيْسَ فَقَطْ لِغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي حِينِ أَنْ التَّلَمِذَةَ هِيَ فَقَطْ لِلْمُؤْمِنِينَ. بِالْأُخْرَى، فَإِنَّا نُبَشِّرُ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. وَنَتَلَمِّذُ أَيْضًا

المجموعتين كِلَتِيهِمَا. نُلَاحِظُ أَنَّ الرِّسُولَ بُولَسَ قَدْ بَشَّرَ بِالْإِنْجِيلِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي رِسَالَتِهِ، وَأَنَّ يَسُوعَ قَدْ تَلَمَّذَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَنْجِيلِ.

فِي رِسَالَةِ الرِّسُولِ بُولَسَ إِلَى كَنِيسَةِ رُومَا، وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ: «مُسْتَعِدٌّ لِتَبَشِيرِكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ فِي رُومِيَّةٍ أَيْضًا» (رُومِيَّةُ 1: 15). كَتَبَ الرِّسُولُ بُولَسَ إِلَى الْكَنِيسَةِ وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ مُسْتَعِدًّا لِتَبَشِيرِهِم بِالْإِنْجِيلِ لِأَنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّ نَحْنُ نَحْتَاجُ إِلَى سَمَاعِ الْأَخْبَارِ السَّارَّةِ عَنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَعَنْ مَلَكُوتِهِ، وَأَنْ نُؤْمِنَ بِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ. لَاحِظْنَا هَذَا الْأَمْرَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفَصْلِ الرَّابِعِ، عِنْدَمَا دَرَسْنَا مَضْمُونَ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ فِي 1 كُورِنْثُوسِ الْأَصْحَاحِ 15، حَيْثُ بَشَّرَ الرِّسُولُ بُولَسَ أَسَاسًا الْمُؤْمِنِينَ فِي كُورِنْثُوسَ، بِوَاسِطَةِ تَذْكِيرِهِمْ «بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلَامٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثًا» (1 كُورِنْثُوسِ 15: 1-2). كَانَتْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَتَمَسَّكُ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي بَشَّرَ بِهَا الرِّسُولُ بُولَسَ بِوَاسِطَةِ الْاسْتِمْرَارِ فِي الْإِيمَانِ بِهَا، يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ.

تَلَمَّذَ الرَّبُّ يَسُوعَ أَتْبَاعَهُ حَتَّى قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ مِنْذُ الْبَدَايَةِ: «اتَّبِعْنِي». يُشَكِّلُ هَذَا الْأَمْرَ أَسَاسَ التَّلْمِذَةِ. لَمْ يَفْهَمْ الْاِثْنَا عَشَرَ هُويَّةَ الرَّبِّ يَسُوعَ عِنْدَمَا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ، لَكِنَّهُمْ أَتَّبَعُوهُ بِنَاءً عَلَى الْمَعْرِفَةِ الَّتِي كَانَتْ لَدَيْهِمْ عَنْهُ. حَتَّى يَهُودَا الْإِسْخَرْيُوطِيُّ، الَّذِي لَمْ يُؤْمِنْ حَقًّا، سُمِّيَ تَلْمِذًا لِأَنَّهُ تَبِعَ يَسُوعَ.

لَمْ يَنْتَظِرِ الرَّبُّ يَسُوعَ مِنْ أَتْبَاعِهِ أَنْ يَفْهَمُوا كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ وَمَحَبَّتِهِمْ لِلْآخَرِينَ. وَبِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى إِطَاعَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَثِقُوا بِهِ ثَقَّةً كَامِلَةً. لَا نَحْتَاجُ إِلَى انْتِظَارِ أَنْ يُؤْمِنُوا لِكَيْ نَعْلَمَهُمْ كَيْفِيَّةَ الطَّاعَةِ. إِنَّا نَتَلَمَّذُ

أولادنا بالطريقة نفسها، فلا ننتظر حتى يُعلنوا إيمانهم قَبْلَ أَنْ نُعَلِّمَهُم الطاعة.

قد يقول بعض الناس إنه يستحيل إطاعة الرب يسوع حقًا من دُونِ إيمان. هذا صحيحٌ لأنَّ الطاعة من دُونِ إيمانٍ هي ليست طاعةً حقيقيَّة. ولكن في كثيرٍ من الأحيان- في أثناء محاولة أَحَدِهِمْ أَنْ يطيعَ اللَّهَ- يُدْرِكُ ذلك الشخصُ احتياجه الشديد إلى مُخَلِّص، فهو يلاحظُ ضَعْفَ طاعته، ومدى سهولة عَوْدَتِهِ إلى نمط حياته القديم المليء بالخطيئة وتكرار هذا الفعل. يَعْلَمُ الشخصُ أَنَّ عليه أَنْ يطيعَ، لكنَّهُ يُدْرِكُ عَجْزَهُ. وهذا هو عَمَلُ الناموسِ في حياته. في رسالة الرسول بولس إلى أَهْلِ رومية 7: 7 قال الرسول ما يلي: «لَمْ أَعرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ: «لَا تَشْتَهَ».» وفي رومية 3: 20 قال: «لأنَّه بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلِّ ذِي جَسَدٍ لَا يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأنَّ النَّامُوسَ مَعْرِفَةُ الْخَطِيئَةِ.» عندما نواجهُ الناموسَ ومُتطلباته في حياتنا- وهي مُتطلباتٌ نَعْجزُ عن حِفْظِها أو إتمامها- فإننا نُدْرِكُ حقيقةَ كَوْنِنا خُطاةً محتاجين إلى مُخَلِّص.

لا يستطيع الناموسُ أَنْ يُخَلِّصَ، وليس هذا الغرض منه في الأصل، لكنَّهُ يَلْعَبُ دورَ المُعَلِّمِ أو الوصيِّ، وهو يُعَلِّمُنَا أَنَّنا خُطاة. يحتاج كُلُّ واحدٍ مِنَّا إلى التقابل مع قداسة اللَّه، وأنْ يُدْرِكَ مدى تَمَرُّدِهِ الذي يدينه على نحوٍ عادلٍ أمام اللَّه. عندما نصل إلى هذا الإدراك، يُصبح الإنجيلُ مُلائمًا وَثَبَّتَ الأمورَ التي اكتشفناها في الناموس؛ أي حقيقة أَنَّنا لا نستطيع أَنْ نُخَلِّصَ أَنْفُسَنَا. عندئذٍ، يُقدِّمُ لنا الإنجيلُ الأخبارَ السارةَ المختصةَ بِكَوْنِ يسوع جاء إلى العالمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ.

ما يعجز الناموسُ عن فِعْلِهِ، يستطيع الإنجيلُ أَنْ يَحَقِّقَهُ بِقُوَّةِ الروح القدس. قد تَحَرَّزْنَا بالإيمان من عبوديَّة الخطيئة وَحَصَلْنَا على القُوَّةَ لِنُطيعَ

اللَّهُ مِنْ كَيَانِنَا الدَّخَلِيّ. يَدْفَعُنَا إِيْمَانُنَا الْحَيُّ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى السَّيْرِ قُدُّمًا فِي إِطَاعَةِ رَبِّنَا.

إِلَّا أَنَّهُ لَا يَجْدُرُ بِنَا أَبَدًا أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّنَا خَلَصْنَا بِنَاءً عَلَى طَاعَتِنَا. قَدْ خَلَصْنَا بِالنِّعْمَةِ بِالْإِيمَانِ (أَفْسَسَ 2: 8-9)، كَمَا يُوَكِّدُ الرَّسُولُ بُولُسُ لَنَا: «إِذَا نَحْسِبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالْإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالٍ النَّامُوسِ» (رُومِيَّةَ 3: 28). وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ مِنْ دُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ، وَمِنْ ثَمَّ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَلِّصَ (يَعْقُوبَ 2: 14). عِنْدَمَا نَتَلَمَّذُ الْآخَرِينَ، فَإِنَّا نَتَلَمَّذُهُمْ عَلَى أَنْ يَطِيعُوا لِأَنَّ هَذَا مَا يَنْتُجُ عَنِ الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ. كَمَا قَالَ يَسُوعُ: «خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبِعُنِي» (يُوحَنَّا 10: 27).

الْزَهَايَةِ تُحَدِّدُ الْبَدَايَةَ، فَإِنْ أَرَدْنَا أَنْ يَطِيعَ النَّاسُ الرَّبَّ يَسُوعَ بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ، فَيَجْدُرُ بِنَا الْبَدْءُ بِتَعْلِيمِهِمْ كَيْفِيَّةَ الطَّاعَةِ حَتَّى قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنُوا. نَرِيدُ مِنَ الْبَدَايَةِ، أَنْ نُؤَكِّدَ أَهْمِيَّةَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَنُؤَكِّدَ الْقَنَاعَةَ بِأَنَّ كَلِمَاتِهِ ثَمِينَةٌ قَوِيَّةٌ. يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ آيَةَ كَلِمَةٍ مِنَ إِلَهِ الْكَوْنِ بِتَوَاضِعٍ وَطَاعَةٍ. وَهَكَذَا نُسَاعِدُ عَلَى زَرْعِ خَاصِيَّةِ الطَّاعَةِ فِي التَّلَامِيذِ الْجُدِّدِ، وَفِي الْكَنِيسَةِ الَّتِي نَأْمَلُ أَنْ يَكُونَهَا اللَّهُ مِنْهُمْ.

سِلْسِلَةُ طَاعَةٍ لَا تَنْتَهِي

تُشَكِّلُ وَصِيَّةُ الرَّبِّ يَسُوعَ لِتَلَامِيذِهِ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ فِي الْجَلِيلِ سِلْسِلَةً تَلْمِذَةً جَمِيلَةً لِلْأَمَمِ لَا تَنْتَهِي. وَقَدْ فَهَمَ كُلُّ مِنَ الرَّسُولِ بَطْرُسَ وَالرَّسُولِ يُوحَنَّا وَالرَّسُولِ يَعْقُوبَ وَبِقِيَّةِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّلَامِيذِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّهُ يَجْدُرُ بِهِمْ أَنْ يَطِيعُوا تِلْكَ الْوَصِيَّةَ. وَقَدْ فَعَلَ الرِّسَالُ وَالْجِيلِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّلَامِيذِ ذَلِكَ بِوَسَاطَةِ عَمَلِهِمْ عَلَى تَلْمِذَةِ

الأمم وتعليمهم أن يطيعوا جميع وصايا الرب يسوع، ويشمّل ذلك الوصيّة المختصّة بتلمذة الأمم. عندما بدأ الجيل الثاني من التلاميذ بإطاعة مأموريّة الرب يسوع، ابتدأوا هم بدورهم بتلمذة الجيل الثالث من الأمم بواسطة عمّالهم على تعليم ذلك الجيل الثالث أن يطيعوا وصيّة الرب يسوع بشأن تلمذة الأمم. وبناءً عليه، يستمرّ الأمر عبر الأجيال وفي كلّ مكان.

ابتدأت المأموريّة العظمى مع أتباع الرب يسوع الأوّلين، وقد امتدّت على مدى ألفي عامٍ حتّى يومنا هذا، وقد انتشرت من الجليل إلى أقصى الأرض. إنّها مأموريّة الرب يسوع لنا اليوم، وهي ليست فقط للرعاة والخدام والمرسلين، بل هي لجميع الذين ينتمون إلى يسوع ويسعون إلى اتّباعه بصفته تلاميذ له.

حساب التكلفة

في وسط دمشق، بالقرب من ساحة «المرّجة»، يجلس مُجمّع «يلبغا» الضخم غير المُكتمل. وفي الأردنّ، بالقرب من الدوّار السادس في عمّان، تقف «أبراج بوابة الأردنّ» شاهقة الارتفاع، وغير مُكتملة. كما أنّ مُحيط مدينة إربيل مليء أيضاً بالمباني غير المُكتملة. تبقى هذه المباني غير مُكتملة، ومثلها الكثير في جميع أنحاء الشرق الأوسط لأسبابٍ كثيرة منها: نقص السيولة الماديّة، والتحدّيات القانونيّة، وسوء البناء الذي أدّى إلى بُنيّةٍ تحتيّة غير مُستقرّة، والحرب والعنف. وفي بعض الحالات، فشَل المهندسون المعماريون في توقّع العقبات التي قد يواجهونها بعد بدء مشاريعهم. ولكنّ في حالاتٍ أُخرى، تبقى المباني كما هي بسبب عدم

وجود تخطيطٍ مُناسب، أو بسببِ ضَعْفِ القُدْرَةِ على إجراء حساب التكلفة على نحوٍ صحيح. وَمِنْ ثَمَّ، جرى التخلّي عن هذه المشاريع، لأنَّ البَنَائِينَ لَمْ يَزْعَبُوا فِي دَفْعِ التكلفة، أو لأنَّهم لَمْ يستطيعوا الحصول على الموارد الماليّة اللازمة لها.

أوضح الربُّ يسوع أَنَّهُ يجدر بتلاميذه أَنْ يَحْسِبُوا حسابَ تكلفة اتِّباعه. وَأَنْ يَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِتَحْمُلِ تكلفةٍ ولائهم له بصفته مَلِكًا. وكما كانت الطاعة مُكلِّفَةً للربِّ يسوع، فهي أيضًا سَتَكُونُ مُكلِّفَةً لنا.

لَمْ يَلْتَقِ بِاسْمٍ مِنْ قَبْلُ بِأَيِّ مُؤْمِنِينَ بِالْمَسِيحِ مِنْ خَلْفِيَّةٍ دُرْزِيَّةٍ، لَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الرَّبَّ يسوع سَفَى زَوْجَتَهُ مِنْ آلامِ الظَّهْرِ المزمَنة التي امتدَّتْ على مدى ثلاث سنوات. في إحدى الليالي، وَصَلَ بِاسْمٍ إِلَى الْمَنْزِلِ لِيَجِدَهَا مُلْقَاةً عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ، وكانت عاجزةً عن النهوض، فَلَمْ يَعْرِفْ ما ينبغي أَنْ يَفْعَلَهُ. وعلى الرغم من عدم إيمانه بوجود الله، فَإِنَّهُ صَلَّى.

كانت رحلةً بِاسْمِ الرُّوحِيَّةِ طَوِيلَةً مُعَقَّدَةً. كان يطمح في شبابه أَنْ يَصِيرَ شَيْخًا لِيُدْرَسَ دِينُهُ وَكِتَابُ الْحِكْمَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُؤْمِنُ بِهِ. ثُمَّ اعتَقَدَ أَنَّهُ سَيَجِدُ الْجَابَةَ فِي الدِّينَانَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فابتدأ بقراءة القرآن، لَكِنَّهُ -بَعْدَ دراسةٍ مُتَأَنِّيَةٍ- رَفَضَ الْإِسْلَامَ أَيْضًا وَلَمْ يُؤْمِنْ بِوُجُودِ اللَّهِ... حَتَّى تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

عندما رَأَى بِاسْمُ زَوْجَتَهُ عاجزةً، اندَفَعَ تَلَقَّائِيًا نحو الصلاة، وَصَرَخَ فِي غَضَبٍ وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَنْ كَانَ يُخَاطَبُ: «يا الله، قد بحثتُ عنك وَلَمْ أَجِدْكَ الْبَتَّةَ. فَإِنْ كُنْتَ حَقِيقِيًّا، فلا بُدَّ أَنْ تَكُونَ كَاذِبًا قَاتِلًا. وَإِنْ كُنْتَ حَقِيقِيًّا، فلماذا لا تَشْفِي ظَهْرَ زوجتي؟ وَلَكِنَّكَ أَنْتَ سَبَبُ أَلَمِهَا، لِأَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ هِيَ مِنْ عِنْدِكَ.» وَلَكِنْ بَيْنَمَا كَانَ بِاسْمُ يَصْرُخُ، ابْتَدَأَ بِالصَّلَاةِ: «إِنْ كُنْتَ حَقِيقِيًّا، فمَوْكَّدٌ أَنَّكَ لا تقتلُ أو تذبَحُ»، وَصَلَّى بِهَذِهِ الطَّرِيقَةَ مُدَّةً

عَشْرَ دَقَائِقَ تَقْرِيْبًا، وَابْتَدَأَ يَشْعُرُ بَعْدَهَا بِالسَّلَامِ الْعَمِيقِ. اخْتَفَى غَضَبُهُ وَاخْتَفَتْ أَسَلْتُهُ.

قَبْلَ أَنْ يَرَى بِاسْمِ زَوْجَتِهِ مَلَقَاةً عَلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَكُنْ قَدْ قَرَأَ الْإِنْجِيلَ فِي حَيَاتِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِصَلْبِ يَسُوعَ. وَمَعَ ذَلِكَ، شَعَرَ بِاسْمِ بَدَافِعٍ قَوِيٍّ لِكَيْ يَرْسِمَ إِشَارَةَ الصَّلِيبِ عَلَى مَنْطَقَةِ الْأَلَمِ فِي ظَهْرِ زَوْجَتِهِ، فَفَعَلَ هَذَا. وَفِي غَضُونِ ثَوَانٍ، قَامَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ وَوَقَفَتْ.

بَعْدَ مَرُورِ ثَلَاثَةِ شُهُورٍ، وَجَدَ بِاسْمُ نَسْخَةً مِنَ الْإِنْجِيلِ، وَأَحَبَّ الْأُمُورَ الَّتِي قَرَأَ عَنْهَا، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ صَارَ إِنْسَانًا. وَرَغْمَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ اقْتَنَعَ بِأَنَّ اللَّهَ مُوجُودٌ وَبِأَنَّهُ أَرْسَلَ يَسُوعَ، فَمَنْ غَيْرِهِ قَدْ شَفَى زَوْجَتَهُ؟ ابْتَدَأَ يُصَلِّي الصَّلَاةَ الرَّبَّانِيَّةَ وَصَلَّى كُلَّ صَلَوَاتِهِ بِاسْمِ يَسُوعَ. فِي إِحْدَى الْأُمُوسَاتِ، شَاهَدَ فِيلْمَ «يَسُوعَ» وَشَعَرَ حِينَهَا كَمَا لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ جَالِسًا فِي مَقْعَدِهِ، وَكَأَنَّهُ يُخَلِّقُ مَعَ الْمَسِيحِ. فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، سَلَّمَ بِاسْمِ حَيَاتِهِ لِلرَّبِّ يَسُوعَ وَصَارَ شَخْصًا جَدِيدًا، وَتَحَرَّرَ مِنْ إِدْمَانِهِ عَلَى الْكُحُولِ وَامْتَلَأَ بِالْفَرَحِ، وَشَرَعَانَ مَا تَوَاصَلَ مَعَ كَنِيسَةٍ، وَصَارَ يَتَعَلَّمُ مَعْنَى الْعَيْشِ مَعَ يَسُوعَ وَخِدْمَتِهِ.

رَأَتْ عَائِلَتُهُ بِاسْمَ كُلِّهَا شِفَاءَ زَوْجَتِهِ، وَتَقَبَّلَتْ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي شَفَاهَا. لَكِنَّ بِاسْمَ لَمْ يُخْبِرْهُمْ أَنَّهُ أَمَنَ بِمَوْتِ يَسُوعَ عَلَى الصَّلِيبِ وَبِقِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. كَمَا أَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهُمْ أَيْضًا أَنَّهُ بَاتَ يُؤْمِنُ الْآنَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ نَبِيٍّ. شَعَرَ بِاسْمُ بِالْتَرَدُّدِ وَالْخَوْفِ بِشَأْنِ مَا قَدْ يَحْدُثُ لَهُ إِذَا شَارَكَ عَنْ إِيمَانِهِ الْجَدِيدِ. وَرَغْمَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ فَهِمَ- فِي أَثْنَاءِ قِرَاءَتِهِ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ- أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ يَدْعُوهُ لِاتِّبَاعِهِ بِطَاعَةٍ، مَا يَعْنِي أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتَّخِذَ خَطْوَةَ الْمَعْمُودِيَّةِ.

حتَّى تاريخ كتابة هذه السطور، لَمْ يَعْرِفِ بِاسْمِ السَّبَبِ الكامل الذي جَعَلَهُ يَقَرَّرُ أَنْ يدَعُوَ جميعَ أفرادِ أُسْرَتِهِ إلى معموديَّته، وقد كان مُتَرَدِّدًا خائفًا على مدى شهوْرِ عِدَّةٍ لَأَنَّهُ فَهَمَ تمامًا حَجَمَ تَكْلِفَةِ اتِّبَاعِ الرَّبِّ يسوع. إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُقاوِمَ دعوةَ الرَّبِّ يسوع الواضحة لحياته، وَلَمْ يَرْغَبْ في إخفاء إيمانه بَعْدَ تلك اللحظة. نَتِيجَةً لذلك، تَبِعَ بِاسْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شجاعةٍ في فِعْلٍ طاعةٍ جريءٍ صَعْبٍ.

شَكَّلَتْ معموديَّةُ بِاسْمِ صدمةٍ كبيرةٍ لأقربائه، فَتَعَامَلَ بعضُ الناسِ مع إعلانهِ بالصمت، فيما أهانهُ آخرونَ وَعَمِلُوا على تدميرِ سُمُعَتِهِ من خِلف الكواليس، وقام آخرونَ بِلَعْنِهِ وتهديده بالضرب، كما تَجَنَّبَهُ الذين اعتادوا على زيارته. لَمْ يَعُدْ بِاسْمِ وعائلته يتلقَّونَ الدعواتِ إلى اللقاءاتِ العائليَّةِ، كما قام بعضُ أنسابائه بتهديده بالقتل.

قام اللَّهُ بحمايةِ بِاسْمِ من هذه التهديدات، وما زال عددٌ كبيرٌ من أفرادِ عائلته لا يَتَكَلَّمُونَ معه مع أَنَّهُ مضى من الوقتِ على ذلك الحدثِ عَشْرَ سنواتٍ. حَسَبَ بِاسْمِ تَكْلِفَةَ اتِّبَاعِ الرَّبِّ يسوع، وقد أَدْرَكَ أَنَّهُ سَيَدْفَعُ تَكْلِفَةً باهظة، وَلَكِنَّهُ اتَّبَعَ الرَّبَّ يسوع على أَيْةٍ حالٍ. يُقَدِّمُ بِاسْمِ اليومِ الشكرَ ليسوع في كُلِّ الأحوالِ ويُعلنُ أَنَّ اتِّبَاعَ الرَّبِّ يسوع يَسْتَحِقُّ كُلَّ هذا العناءِ.

لا نَقْصِدُ بكلامنا هذا أَنَّ اللَّهَ سَيَطْلُبُ من الجميعِ دعوةَ عائلاتهم إلى معموديَّتهم، لَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ يَطْلُبُ من كُلِّ واحدٍ مِنَّا أَنْ يطيعَ كُلَّ ما أَوْصَى به يسوع. سَتَكُونُ الطاعةُ في بعضِ الأحيان سهلةً، وسَتَرى سريعًا بركاتِ اللَّهِ بواسطتها؛ أي أَنَّهُ تَكْلِفَةُ قَلِيلَةٍ تعطي مكافأةً عظيمةً. كما سَتَكُونُ الطاعةُ في أوقاتٍ أُخرى صعبةً، وَلنْ نَخْتَرِ بركاتِ اللَّهِ فورًا؛ أي أَنَّهُ تَكْلِفَةُ كبيرةٍ تُرافِقُها خسارةٌ كبيرةٌ ظاهريًّا. لا يَعُدُّ اللَّهُ الأشخاصَ الذين يطيعونه

بالبركات المادّية (مثل المال، والصحة، والنجاح... إلخ)، لكنّه يَعِدُهُمْ بأنّه سَيَكُونُ معهم. سَيَكُونُ معنا عندما تَوَدِّي طاعتنا إلى الازدهار، وسَيَكُونُ معنا عندما تَوَدِّي طاعتنا إلى المعاناة. يجدر بنا أن نتبعه بغض النظر عن الطريقة التي يقودنا بها.

في ذروة شعبية يسوع - عندما تَبِعَتْهُ جموعٌ كبيرة (لوقا 14: 25) - عَلَّمَ يسوع عن ضرورة حساب التكلفة. قد يَظُنُّ المرء أن يسوع قد تَشَجَّع بالأعداد الكبيرة من الناس التي تَبِعَتْهُ، وأنّه فَرَحَ بالفوز بالأعداد الكبيرة من التلاميذ. وقد نَتَوَقَّع أيضًا أن يتصرّف يسوع ويُعَلِّمَ بطريقة تُحَافِظُ على تَزَايُدِ أعداد التلاميذ. ولكنّه، على نقيض ذلك، تَصَرَّفَ على نحوٍ غريب؛ فقد أَخْبَرَ حَشْدًا هائلًا من أتباعه عن التكلفة إذا أراد أَحَدٌ منهم أن يَكُونَ تلميذه، حيث قال: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَأُمَّرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيذًا» (لوقا 14: 26).

لا ننطق عادةً بهذه الأمور عندما نسعى لَجَمْعِ حَشْدٍ من الناس خَلْفَنَا. أَلَمْ يَكُنْ هدفُ يسوع أن يُعَلِّمَ الإنجيلَ لأكبر عددٍ مُمَكِنٍ من الناس؟ لماذا يقول عباراتٍ تُسَبِّبُ ابتعادَ الناس عنه والتوقُّفَ عن اتّباعه؟ لَمْ يَسْعَ يسوع وراء كَمٍّ كبيرٍ من التلاميذ، بل سعى وراء نوعيّةٍ خاصّةٍ منهم، ولا شكّ أنّه اهتمَّ بانتشار رسالة الإنجيل في كُلِّ الاتجاهات، لكنّه اهتمَّ أكثر بأن تتعمَّق تلك الرسالة في حياة التلاميذ وتتجذَّرَ فيهم.

ولهذا الغرض، أَخْبَرَ يسوع الجموعَ أنّه يجدر بالشخص الذي يَرْعُبُ في أن يَكُونَ تلميذًا له أن «يَكْرَهُ» أولئك الأشخاص المقرّبين في حياته (الذين يُحِبُّهُمْ أكثر من مَحَبَّتِهِ للغرباء). يا لها من عبارة غريبة! إذا أَخَذْنَا في الحسبان أنّه يجدر بالأولاد أن يُكْرِمُوا والديهم، كما يجدر بالزوج أن

يَلْتَصِقَ بِزَوْجَتِهِ وَيُحِبَّهَا! أَخْبَرَنَا الرَّبُّ يَسُوعَ سَابِقًا أَنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا لَيْسَ فَقَطْ أَنْ نُحِبَّ جِيرَانَنَا، بَلْ أَيْضًا أَنْ نُحِبَّ الْجَمِيعَ، حَتَّى مَنْ يُعَادُونَنَا مِنْهُمْ. هَلْ يَنْبَغِي أَنْ نُحِبَّ أَعْدَاءَنَا وَنَكْرَهُ عَائِلَتَنَا؟ مَاذَا يَقْصِدُ الْمَسِيحُ بِذَلِكَ؟

لَمْ يَقْصِدِ الرَّبُّ يَسُوعَ أَنْ يَكْرَهُ الْمَرْءَ عَائِلَتَهُ عَلَى نَحْوِ حَقِيقِيٍّ، أَيْ أَنْ يَتِمَّنَى الشَّرَّ لَهُمْ. لَكِنَّهُ اسْتَخْدَمَ مُصْطَلَحًا شَائِعًا يَعْنِي «أَنْ تُحِبَّ أَقْلًا» مِنْ أَمْرِ آخَرٍ. سَاعَدَنَا الْبَشِيرُ مَتَّى عَلَى فَهْمِ قَصْدِ الرَّبِّ يَسُوعَ، حَيْثُ كَتَبَ مَا يَلِي: «مَنْ أَحَبَّ أَبَا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي» (مَتَّى 10: 37).

لَا نُقَلِّلُ مِنْ قُوَّةِ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ بِوَاسِطَةِ فَهْمِ «الْكِرَاهِيَّةِ» عَلَى أَنَّهَا «مَحَبَّةٌ أَقْلًا»؛ إِذْ حَافِظُنَا عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ وَهُوَ: أَنْ نُحِبَّ الرَّبَّ يَسُوعَ أَكْثَرَ مِمَّا نُحِبُّ أَيَّ شَخْصٍ آخَرَ، حَتَّى الْأَقْرَبِ إِلَيْنَا، وَأَنْ نَلْتَزِمَ نَحْوَ الرَّبِّ يَسُوعَ أَكْثَرَ مِنَ التَّزَامِنَا نَحْوَ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ. كَمَا يَتَضَمَّنُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ فِكْرَةً أَنْ نُعْطِيَهُ وَلَاءَنَا الْكَامِلَ، أَيْ أَنْ نُطِيعَهُ حَتَّى عِنْدَمَا تُرْفَضَ وَصَايَاهُ مِنْ قَبْلِ وَالِدَيْنَا أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَشْخَاصِ الْقَرِيبِينَ مِنَّا.

قَدَّمَ الرَّبُّ يَسُوعَ فِي إِنْجِيلِ لُوقَا الْأَصْحَاحِ 14 شَرْطَيْنِ لِيَكُونَ شَخْصٌ مَا تَلْمِيزًا لَهُ؛ لَيْسَ فَقَطْ أَنْ نَكْرَهُ عَائِلَتَنَا، بَلْ أَيْضًا أَنْ نَكُونَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلتَّخَلِّيِ عَنْ حَيَاتِنَا مِنْ أَجْلِهِ. «وَمَنْ لَا يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيزًا» (لُوقَا 14: 27). كَانَ الصَّلِيبُ فِي أَيَّامِ يَسُوعَ أَدَاةً لِلْمَوْتِ، وَمَنْ كَانَ يَحْمِلُهُ إِنَّمَا كَانَ يَحْمِلُهُ لِيَمُوتَ عَلَيْهِ. إِذَا، يَجْدُرُ بِنَا مِنْ أَجْلِ اتِّبَاعِ يَسُوعَ أَنْ نُحِبَّهُ أَكْثَرَ مِمَّا نُحِبُّ أَنْفُسَنَا.

وَفِي نَهَايَةِ الْأَصْحَاحِ تَقْرِيبًا، قَالَ الرَّبُّ يَسُوعَ: «فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَا يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيزًا» (لُوقَا 14: 33). اَكْرَهُ

عائلتَكَ. وَاكْرَهُ حَيَاتَكَ. وَاكْرَهُ مَمْلَكَاتِكَ. يُشْكَلُ اتِّبَاعُ الرَّبِّ يَسُوعَ التَّزَامًا كاملاً، فهو يريد كُلَّ ما نحن عليه وكُلَّ ما لدينا. يستلزم اتِّبَاعُ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ نَطِيعَ أَعْظَمَ وَصِيَّةٍ، وهذه الوصِيَّةُ العظمى هي أَنْ نُحِبَّ الرَّبَّ إِلَهَنَا مِنْ كُلِّ قَلْبِنَا وَكُلِّ أَنْفُسِنَا وَكُلِّ قُوَّتِنَا. إِنَّ الْوَلَاءَ الْحَقِيقِيَّ لِلَّهِ الْوَاحِدِ هُوَ بِوَاسِطَةِ اتِّبَاعِ الرَّبِّ يَسُوعَ فِي خُضُوعٍ كَامِلٍ.

في سياق الوصف الذي قَدَّمَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ لِلْأَحْوَالِ الْجَذَرِيَّةِ الْضَّرُورِيَّةِ حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نَتَّبِعَهُ وَأَنْ نَكُونُ تَلَامِيذَ لَهُ، قَالَ مَا يَلِي:

«وَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجًا لَا يَجْلِسُ أَوَّلًا وَيَحْسِبَ النِّفْقَةَ، هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزِمُ لِكَمَالِهِ؟ لِنَلَّا يَضَعِ الْأَسَاسَ وَلَا يَقْدِرَ أَنْ يَكْمَلَ، فَيَبْتَدِئَ جَمِيعُ النَّاطِرِينَ يَهْزَأُونَ بِهِ، قَائِلِينَ: هَذَا الْإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَكْمَلَ. وَأَيُّ مَلِكٍ إِنْ ذَهَبَ لِمُقَاتَلَةِ مَلِكٍ آخَرَ فِي حَرْبٍ، لَا يَجْلِسُ أَوَّلًا وَيَتَشَاوَرُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلَاقِيَ بَعَشْرَةَ آلَافٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفًا؟ وَإِلَّا فَمَا دَامَ ذَلِكَ بَعِيدًا، يُرْسِلُ سَفَارَةً وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ» (لوقا 14: 28-32).

يُعَدُّ مُجْمَعُ «يَلْبَعَا» و«أَبْرَاجِ بَوَّابَةِ الْأُرْدُنِّ» تَذَكِيرًا صَارِخًا لِنَتِيجَةِ الْفَشَلِ فِي حِسَابِ التَّكْلِفَةِ. كَانَ أَفْضَلُ لَوْ أَنَّ الْبَنَائِينَ لَمْ يَبْدَأُوا عَمَلِيَّةَ الْبِنَاءِ مِنَ الْأَصْلِ. إِنَّ اتِّبَاعَ الرَّبِّ يَسُوعَ لَيْسَ أَمْرًا بَسِيطًا. صَحِيحٌ أَنَّ الْخُلَاصَ بِوَاسِطَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ مَجَّانِيٌّ، لَكِنَّ اتِّبَاعَهُ مُكَلَّفٌ، وَمُهُمُّ أَنْ نَحْسِبَ هَذِهِ التَّكْلِفَةَ قَبْلَ أَنْ نَدْفَعَهَا حَتَّى لَا نَكُونُ مِثْلَ الْبَذَارِ الْمَزْرُوعَةِ عَلَى أَرْضٍ صَخْرِيَّةٍ، وَهِيَ الْبَذَارُ الَّتِي تَنْبُثُ سَرِيعًا وَلَيْسَ لَهَا جَذُورٌ، فَتَذْبُلُ سَرِيعًا عِنْدَمَا يَأْتِي الضِّيقُ أَوْ الْاضْطِهَادُ (رَاجِعْ مَرْقَسَ 4: 16-17).

وبينما نسعى إلى تلمذة الأمم، لا بُدَّ أَنْ نَتَذَكَّرَ دَائِمًا كَلْفَةَ اتِّبَاعِ الرَّبِّ يَسُوعَ، وَأَنْ نَحْمِلَ صَلِيبَنَا يَوْمِيًّا وَنَتَّبِعَهُ، وَأَنْ نُحِبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ أَمْرٍ آخَرَ. يَفْرِضُ عَلَيْنَا وَلَاؤُنَا لِلرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ نَطِيعَ كُلَّ وَصَايَاهُ. وَهَكَذَا نَتَغَيَّرُ عَلَى نَحْوِ مُتَزَايِدٍ إِلَى صُورَةِ ابْنِ اللَّهِ الَّذِي أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ. حَسَبَ بَاسْمِ التَّكَلُّفَةِ، وَكَانَ مُسْتَعِدًّا لِدَفْعِ ثَمَنِ الطَّاعَةِ. نَحْتَاجُ إِلَى أَنْ نُعَلِّمَ الْآخَرِينَ إِطَاعَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ وَحَسَابَ تَكَلْفَةِ تِلْكَ الطَّاعَةِ. وَنَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى أَنَّنا نَسْتَطِيعُ أَيْضًا أَنْ نُعَلِّمَهُمُ عَنِ الْمَكَافَأَةِ.

عَلَّمَ الرَّبُّ يَسُوعَ لَيْسَ فَقَطْ عَنِ تَكَلْفَةِ اتِّبَاعِهِ، بَلْ عَلَّمَنَا أَيْضًا عَنِ الْمَكَافَأَةِ.

«فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَادًا أَوْ حُقُولًا، لِأَجَلِي وَلِأَجَلِ الْإِنْجِيلِ، إِلَّا وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الْآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ، بُيُوتًا وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَمَهَاتٍ وَأَوْلَادًا وَحُقُولًا، مَعَ اضْطِهَادَاتٍ، وَفِي الدَّهْرِ الْآتِي الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ» (مرقس 10: 29-30).

لَا شَكَّ أَنَّنا سَنُضَحِّي بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْ أَجْلِ اتِّبَاعِ الرَّبِّ يَسُوعَ. قَدْ نَضْطُرُّ إِلَى التَّضَحِّيَةِ بِعَائِلَتِنَا وَمَمْتَلِكَاتِنَا وَحَتَّى حَيَاتِنَا. لَكِنَّا سَنَكْسِبُ «مِئَةَ ضِعْفٍ الْآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ» فِي مُقَابِلِ كُلِّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي سَنُخْصِرُهَا. يُوَدِّي اتِّبَاعُ يَسُوعَ إِلَى تَعَرُّضِنَا إِلَى الاضْطِهَادَاتِ (وهي تَكَلْفَةٌ كَبِيرَةٌ)، إِضَافَةً إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ (وهي مَكَافَأَةٌ أَكْبَرُ).

اسمعوا وأطيعوا

بَعْدَ أَنْ أَعْطَى الرَّبُّ يَسُوعَ شَرْوْطَه الثَّلَاثَةَ لِيَكُونَنَّ شَخْصٌ مَا تَلْمِيزُهُ لَهُ وَعَلَّمَ عَنْ ضَرْوَرَةِ حَسَابِ التَّكْلُفَةِ، ثُمَّ خَتَمَ كَلَامَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ: «الْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلَكِنْ إِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ، فَبِمَاذَا يُصْلَحُ؟ لَا يَصْلَحُ لِأَرْضٍ وَلَا لِمَرْبَلَةٍ، فَيَطْرَحُونَهُ خَارِجًا. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ» (لوقا 14: 34-35).

لَا جَدْوَى مِنْ اتِّبَاعِ الرَّبِّ يَسُوعَ جَزْئِيًّا، بَلْ يَجْعَلُنَا هَذَا الْأَمْرَ، إِنْ قُمْنَا بِهِ، غَيْرَ نَافِعِينَ، مِثْلَ الْمَاءِ الْفَاتِرِ الَّذِي سَيَتَقَيَّأُ الرَّبُّ يَسُوعَ مِنْ فَمِهِ (رُؤْيَا يُوْحَنَّا 3: 16). يَدْعُونَا الرَّبُّ يَسُوعَ إِلَى الْوَلَاءِ الْكَامِلِ وَإِلَى إِطَاعَةِ كُلِّ وَصَايَاهُ، وَأَنْ نَدْعُوَ نَحْنُ بِدَوْرِنَا تَلَامِيذَنَا إِلَى الْوَلَاءِ نَفْسِهِ، وَأَنْ نُعَلِّمَهُمْ أَنْ يَطِيعُوا كُلَّ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ يَسُوعَ. لَا نَرِيدُ أَنْ نَكُونَ مِلْحًا مِنْ دُونِ مِلْوَحَةٍ، أَوْ أَنْ نَكُونَ غَيْرَ نَافِعِينَ فَتُطْرَحَ خَارِجًا.

لِذَلِكَ، نُؤَلِّيْهِمُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِوَصِيَّةِ الرَّبِّ يَسُوعَ فِي نِهَآيَةِ هَذَا النَّصِّ: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ». بِمَعُونَةِ اللَّهِ، سَنَسْمَعُ وَنَسْتَطِيعُ. وَمِنْ ثَمَّ، بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، سَنُعَلِّمُ تَلَامِيذَنَا أَنْ يَسْتَمِعُوا إِلَى تَعَالِيمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَيَطِيعُوهَا أَيْضًا.

السَّيْرُ فِي «دَرْبِ الْإِيمَانِ»

1. اقْرَأْ مَزْمُورَ 119. سَجِّلْ عِدَدَ الْمَرَّاتِ الَّتِي تَحَدَّثُ فِيهَا كَاتِبُ الْمَزْمُورِ عَنْ إِطَاعَةِ كَلِمَةِ اللَّهِ. مَا دَوْرُ كَلِمَةِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ فِي «دَرْبِ الْإِيمَانِ» الَّذِي يُوْدِّي إِلَى الطَّاعَةِ؟

2. افحص حياتك الخاصة. أين تتصارع من أجل الطاعة؟ ماذا تستطيع أن تفعل لتنمو في الطاعة في هذه النواحي من حياتك؟
3. كيف تستطيع مساعدة الآخرين على حساب تكلفة اتباع الرب يسوع ورؤية مكافآت اتباعه؟
4. مع من ستشارك الأمور التي تعلمتها؟ من الشخص الذي ستعلمه أن يطيع الرب يسوع في أثناء الأسبوع الحالي؟

الفصل الثامن

مجموعات لا أفراد

أيقن شادي وزياذ عئما قابلًا إبراھيمَ للمرة الأولى أنه مُمَيِّزٌ بطريقةٍ ما. عَرَفَ إبراھيمَ عن يسوع وعن الإنجيل بواسطة المواقع الإلكترونية، وبعء أن أنهى مجموعةً من الدراسات المتنوعة عبر الإنترنت، أراد مُقابلة شَخْصٍ ما للتحءث أكثر. التقى شادي بالكثير من الأشخاص بواسطة الإحالات عبر الإنترنت، وقد أرادوا عادةً مُقابلة شَخْصٍ ما بطريقةٍ فرديةٍ لأنهم يخشون أن يصل الخبرُ إلى عائلاتهم أو أصدقاءهم بأنهم يستكشفون الإيمان المسيحي.

لكنَّ إبراھيمَ كان مُختلفًا، إذ كان مثل كرنيليوس. فقد دعا شادي وزياذ إلى منزله إضافةً إلى صديقٍ له. كان مسرورًا جدًا بقاء شادي وزياذ وبلاستماع منهما عن المسيح. وطلبَ منهما الاستمرار في زيارته، فلبيا دعوته وزاراه أسبوعيًا ليتلمذاه في بيته بحضور الكثير من أفراد أسرته أو أصدقاءه.

باشَرَّ إبراھيمَ فورًا في مشاركة جيرانه عن يسوع. وبحثَ عن وسائلٍ لخدمة الآخرين وتلبية احتياجاتهم. كما أنه لم يخف أي شيء عن زوجته أو أطفاله أو أصدقاءه المُقربين، ولم يمارس أي ضغطٍ على أولاده ليتبعوه

في إيمانه، لكنّه أظْهَرَ لَهُمْ قُوَّةَ الْحَيَاةِ الْمُتَغَيِّرَةِ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ حَيَاةً خَاضِعَةً لِلَّهِ بِوَسْطَةِ الْمَسِيحِ.

فِي أَحَدِ الْإَيَّامِ، اتَّصَلَ إِبْرَاهِيمُ بِشَادِي وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَتَّخِذَ خُطْوَةَ الْمَعْمُودِيَّةِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَابْنِهِ الْأَصْغَرِ. عَمَدَ شَادِي بِسُرُورٍ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي بِدَوْرِهِ عَمَدَ زَوْجَتَهُ وَابْنَهُ، وَقَدْ حَضَرَ أَوْلَادُ إِبْرَاهِيمَ الثَّلَاثَةُ الْبَالِغِينَ لِمُشَاهَدَةِ الْمَعْمُودِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ بَعْدَ لَاتِّبَاعِ خُطَى وَالِدِهِمْ، وَلَكِنْ بَعْدَ عَامٍ، آمَنُوا بِدَوْرِهِمْ فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ بِتَعْمِيدِهِمْ، وَهَكَذَا تَشَكَّلَتْ فِي مَنْزِلِهِمْ كَنِيسَةٌ صَغِيرَةٌ. وَمَعًا، عَكَسَتْ هَذِهِ الْعَائِلَةُ نُورَ الْمَسِيحِ فِي مَدِينَتِهِمُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ رِسَالَةُ الْإِنْجِيلِ قَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهَا بَعْدُ.

إِنَّ الْإِيمَانَ بِيَسُوعَ وَاتِّبَاعَهُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْيَسِيرِ، وَتُرَافِقُهُ تَحْدِيثَاتٌ وَصُعُوبَاتٌ، لَا سِيَّمَا لِلَّذِينَ لَيْسُوا مِنْ خَلْفِيَّةٍ مَسِيحِيَّةٍ. شَكَرَ إِبْرَاهِيمُ اللَّهَ لِأَنَّهُ أَحْضَرَ عَائِلَتَهُ لِتُرَافِقِهِ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ، وَشَكَلَ وَجُودَهُمْ مَعًا مَصْدَرًا لِلْقُوَّةِ وَالتَّشْجِيعِ، لَا سِيَّمَا فِي الْأَوْقَاتِ الصَّعْبَةِ.

هل المجموعات مُمكنة حقًا؟

إِنْ كُنَّا صَادِقِينَ مَعَ أَنْفُسِنَا، فَإِنَّا نَجِدُ صُعُوبَةً فِي أَنْ نَتَخَيَّلَ عَائِلَاتٍ كَامِلَةً تَأْتِي إِلَى الْإِيمَانِ. لَمْ نَخْتَرِ مِنْ قَبْلُ مَجْمُوعَاتٍ أَوْ عَائِلَاتٍ تَأْتِي إِلَى الْإِيمَانِ مَعًا. غَالِبًا مَا نَرَى فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ أَنَّ شَخْصًا وَاحِدًا يُؤْمِنُ بِيَسُوعَ، وَنَتِيجَةً لَذَلِكَ يَدْفَعُ تَكْلَفَةً بَاهِظَةً. يَعْتَقِدُ كَثِيرُونَ أَنَّ أَحْدَاثَ يَوْمِ الْخَمْسِينَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَحْدُثَ مُجَدَّدًا. هَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَخَيَّلَ أَنَّ ثَلَاثَةَ آلَافِ شَخْصٍ يُسَلِّمُونَ حَيَاتَهُمْ لِلرَّبِّ يَسُوعَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟

يَسْهُلُ عَلَيْنَا أَكْثَرَ أَنْ نَتَوَقَّعَ أَنْ يُؤْمِنَ أَفْرَادٌ بِالْمَسِيحِ، وَاحِدًا تَلُو الْآخَرَ، وَلَكِنْ يَصْعُبُ تَخِيلُ أَنْ عَائِلَةً كَامِلَةً تُؤْمِنُ مَعًا أَوْ تَقْرِبًا فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ بِيَسُوعَ. إِنَّمَا نَتَوَقَّعُ مَا سَبَقَ أَنْ رَأَيْنَاهُ وَاخْتَبَرْنَاهُ. نَأْمَلُ فِي هَذَا الْفَصْلِ أَنْ نَرْفَعَ مَسْتَوَى تَوَقُّعَاتِكَ. لَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ يُخَلِّصُ أَفْرَادًا، وَاحِدًا تَلُو الْآخَرَ، وَتَفْرَحُ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ. لَكِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ جَدًّا عَلَى أَنْ يُخَلِّصَ عَائِلَاتٍ كَامِلَةً، فَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ مَعَ عَائِلَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَعَ عَائِلَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً.

نَرْغَبُ فِي أَنْ نَرْفَعَ مَسْتَوَى تَوَقُّعَاتِكَ، لَكِنَّمَا لَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِإِخْبَارِكَ قِصَّةً عَنْ مَجْمُوعَاتٍ مِنَ النَّاسِ ابْتَدَأَتْ بِاتِّبَاعِ يَسُوعَ مَعًا، لِأَنَّكَ قَدْ تَحَسَّبْتَ قِصَّةً خَيَالِيَّةً أَوْ مُبَالِغًا فِيهَا. عِوَضًا عَنْ ذَلِكَ، نُرِيدُ أَنْ نُرَكِّزَ عَلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَعَلَى نُمُوِّ الْكَنِيسَةِ الْأُولَى. مَاذَا اخْتَبَرُوا؟ هَلْ نُلَاحِظُ فِي غَالِبِيَّةِ الْأَحْيَانِ، فِي سِفَرِ أَعْمَالِ الرِّسَالِ مَثَلًا، أَفْرَادًا يُؤْمِنُونَ وَيَأْتُونَ إِلَى يَسُوعَ؟ أَمْ إِنَّمَا نَرَى فِي مُعْظَمِ الْأَحْدَاثِ إِيمَانَ مَجْمُوعَاتٍ مِنَ النَّاسِ؟

عائلات ومجموعات

«البيت». كلمة مُهِمَّةٌ يَجْرِي تَجَاهُلُهَا فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْأَوْقَاتِ. وَعِنْدَمَا نَسْمَعُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ، نُفَكِّرُ عَادَةً فِي الْمَبْنَى بَدَلًا مِنَ التَّفَكُّيرِ فِي الْأُسْرَةِ الَّتِي تَعِيشُ فِي دَاخِلِهِ. نُلَاحِظُ أَهْمِيَّةَ الْعَائِلَةِ فِي لَوْقَا الْأَصْحَاحِ 10، وَهُوَ النَّصُّ الَّذِي دَرَسْنَاهُ فِي الْفَصْلِ 6. أَخْبَرَ يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ مَا يَلِي: «وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلًا: سَلَامٌ لِهَذَا الْبَيْتِ» (لَوْقَا 10: 5). يَشْمَلُ «البيت» الَّذِي تَدْخُلُهُ الْمَبْنَى، وَلَكِنَّ «البيت» الَّذِي تُقَدِّمُ لَهُ تَحِيَّةَ السَّلَامِ هُوَ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي هَذَا الْمَبْنَى، لِأَنَّ الْأَشْخَاصَ هُمُ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سَلَامِ اللَّهِ، وَلَيْسَ الْمَبْنَى.

لا يُرَكِّزُ يسوع- في حديثه عن «البيت»- على شَخْصٍ واحدٍ فقط، أي ابن السلام، بل يُرَكِّزُ عليه وعلى عائلته أيضًا. يُشير يسوع إلى التركيز على جميع أفراد العائلة باستخدامه صيغة الجمع في الآية 7: «وَأَقِيمُوا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ أَكِلِينَ وَشَارِبِينَ مِمَّا عِنْدَهُمْ». ويواصل يسوع تركيزه على المجموعات بإظهار اهتمامه بالمُجْتَمَع كُلِّهِ: «وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَقَبِلُوكُمْ... وَاشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا وَقُولُوا لَهُمْ...» (لوقا 10: 8-9).

نُلاحظُ في العهد الجديد، في كثيرٍ من الأحيان، إيمانَ مجموعاتٍ من الأشخاص بيسوع. يُخبرنا البشيرُ يوحنا عن قِصَّةِ خادم الملك في قانا الذي كان ابنه مريضًا (يوحنا 4: 46-53)، وطلبَ من يسوع أن يشفي ابنه فجاءه يسوع: «اذهب. ابْنُكَ حَيٌّ» (الآية 50). صدَّقَ الرَّجُلُ يسوعَ ورجع إلى مَنْزِلِهِ لِيَكْتَشِفَ أَنَّ ابنه قد شُفِيَ في الوقت الذي أَعْلَنَ فيه يسوع أنه سيعيش. لذلك كَتَبَ يوحنا: «فَأَمَّنَ هُوَ وَبَيْتُهُ كُلُّهُ» (الآية 53).

سَبَقَ أَنْ رَأَيْنَا كَيْفِيَّةَ إِيْمَانِ كَرْنِيلْيُوسَ مع أصدقائه وأقاربه الذين كانوا معه يستمعون إلى الرسول بطرس الذي أَعْلَنَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ عن يسوع؛ إذ نَقَرُوا أَنَّهُ قَبْلَ وَصُولِ الرَّسُولِ بِطَرَسَ، كان كَرْنِيلْيُوسَ قد: «دَعَا أَنْسِبَاءَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ الْأَقْرَبِينَ» (أعمال الرسل 10: 24). وبينما كانوا يستمعون إلى الرسول بطرس: «حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ» (الآية 44). وَأَمَّنَ بِرِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ الْجَمِيعُ: كَرْنِيلْيُوسَ وَأَصْدِقَاؤَهُ وَعَائِلَتُهُ.

نَرَى مَجْمُوعَةً أُخْرَى مِنَ النَّاسِ تُؤْمِنُ فِي أَعْمَالِ الرَّسُلِ 9: 32-35، حيث شَفَى الرَّسُولُ بِطَرَسُ إِيْنِيَّاسَ، وَهُوَ رَجُلٌ مَشْلُولٌ كان طريح الفراش فترة ثماني سنوات. ونقرأ الكلمات الآتية: «وَرَأَهُ جَمِيعُ السَّاكِنِينَ فِي لُدَّةَ

وَسَارُونَ الَّذِينَ رَجَعُوا إِلَى الرَّبِّ» (الآية 35). آمَنَ ليس فقط الرَّجُلُ الذي شُفِيَ، بل أيضًا جميع الذين رأوا هذه المعجزة.

التقى الرسول بولس ليدية في فيلبّي، «فَفَتَحَ الرَّبُّ قَلْبَهَا لِتُصْغِيَ إِلَى مَا كَانَ يَقُولُهُ بُولُسُ» (أعمال الرسل 16: 14). آمَنَتُ ليدية واتَّخَذَتْ خطوة المعمودية «هِيَ وَأَهْلُ بَيْتِهَا» (الآية 15). وَحَدَّثَ الأمرُ نَفْسَهُ مع سَجَّانِ فيلبّي. إِذْ بَعَدَ وَقُوعَ الزَّلْزَالِ الذي فَتَحَ أَبْوَابَ السِّجْنِ، كَانَ السَّجَّانُ عَلَى وَشَكِّ إِنْهَاءِ حَيَاتِهِ لِتَيَقُّنِهِ أَنَّ السُّلْطَاتِ سَتُعْذِمُهُ لِأَنَّهُ سَمَحَ لِلْسَّجْنَاءِ بِالْهَرَبِ، لَكِنَّ السَّجْنَاءِ (وَيَشْمَلُ ذَلِكَ الرَّسُولَ بُولُسَ وَسِيْلَا) لَمْ يَهْرَبُوا. كَانَ السَّجَّانُ مُنْدهِشًا لدرجة أَنَّهُ صرَّخَ: «يَا سَيِّدِي، مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِيْكَ أَخْلَصَ؟» (أعمال الرسل 16: 30). رَكَزَ كُلُّ مَنْ الرَّسُولَ بُولُسَ وَسِيْلَا لَيْسَ فَقَطْ عَلَى هَذَا السَّجَّانِ، بَلْ كَانَا أَيْضًا مُهْتَمِّينَ بِعَائِلَتِهِ، فَقَالَا لَهُ: «آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ» (الآية 31)، وَشَارَكَا الْأَخْبَارَ السَّارَةَ مَعَهُ وَمَعَ عَائِلَتِهِ وَنَتِيجَةً لذلك: «اعْتَمَدَ فِي الْحَالِ هُوَ وَالَّذِينَ لَهُ أَجْمَعُونَ» (الآية 33). وَابْتَهَجُوا جَمِيعًا لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ (الآية 34).

لَا حَظَّنَا بِوِاسْطَةِ هَذِهِ الْقِصَصِ أَنَّ الْإِيمَانَ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى شَخْصٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، وَلَكِنْ امْتَدَّ لِيَشْمَلَ مَجْمُوعَةً مِنَ النَّاسِ. كَانَ هَذَا أَمْرًا مُتَكَرِّرًا فِي زَمَنِ يَسُوعَ وَتَلَامِيذِهِ. فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، عِنْدَمَا نَقْرَأُ جَمِيعَ قِصَصِ الْإِيمَانِ فِي سِفْرِ أَعْمَالِ الرِّسْلِ (يُخْبِرُنَا سِفْرُ أَعْمَالِ الرِّسْلِ عَنْ مَا يُعَادِلُ تَقْرِيبًا ثَلَاثِينَ مَرَّةً مُخْتَلِفَةً سُجِّلَ فِيهَا أَنَّ النَّاسَ آمَنُوا بِيَسُوعَ)، سَنَجِدُ مِنْهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَطْ يُؤْمِنُ فِيهَا فَرْدٌ وَلَيْسَ مَجْمُوعَةٌ، وَهَذِهِ الْمَرَّاتُ الثَّلَاثُ هِيَ: قِصَّةُ إِيْمَانِ الْخَصِيِّ الْحَبْشِيِّ وَحْدَهُ فِي أَعْمَالِ الرِّسْلِ الْأَصْحَاحِ 8، إِضَافَةً إِلَى شَاوُلِ الطَّرْسُوسِيِّ فِي أَعْمَالِ الرِّسْلِ الْأَصْحَاحِ 9، وَالْوَالِي سَرَجِيُوسَ بُولُسَ فِي أَعْمَالِ

الرسل 13: 12. نَسْتَخْلِصُ إِذَا أَنْ تَسْعِينَ بِالْمِئَةِ مِنْ قِصَصِ الْإِيمَانِ هِيَ لِمَجْمُوعَاتٍ مِنَ النَّاسِ وَلَيْسَ مَجَرَّدَ أَفْرَادٍ.

لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ التَّرْكِيزَ عَلَى الْمَجْمُوعَاتِ وَلَيْسَ الْأَفْرَادِ هُوَ أَمْرٌ قَاطِعٌ. إِذْ نَفْرَحُ عِنْدَمَا يُؤْمِنُ أَيُّ شَخْصٍ. فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، تَفْرَحُ مِلَانُكَةُ اللَّهِ «بِحَاطِطٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ» (لوقا 15: 7). فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، قَدْ يَأْتِي إِلَى الْإِيمَانِ شَخْصٌ وَاحِدٌ فَقَطْ مِنْ دُونِ أَنْ يُؤْمِنَ أَيُّ فَرْدٍ آخَرَ مِنْ أُسْرَتِهِ. وَرَغْمَ ذَلِكَ، فَإِنَّا مُقْتَنِعُونَ أَنَّ النَّمْطَ السَّائِدَ فِي أَيَّامِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ كَانَ إِيمَانِ الْمَجْمُوعَاتِ وَالْعَائِلَاتِ. يَرِيدُ اللَّهُ، الَّذِي هُوَ نَفْسُهُ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ (الْعِبْرَانِيِّينَ 13: 8) أَنْ يُخَلِّصَ الْعَائِلَاتِ وَالْمَجْمُوعَاتِ الْيَوْمَ أَيْضًا.

فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، لَا نَحْتَاجُ إِلَى فِعْلٍ أَيِّ شَيْءٍ لِلْبَحْثِ عَنْ مَجْمُوعَةٍ مِنَ النَّاسِ، كَمَا فِي حَالَةِ إِبْرَاهِيمَ الْمَذْكُورَةِ أُنْفًا، لِأَنَّ «ابْنَ السَّلَامِ» قَدْ جَمَعَهُمْ مُسَبِّقًا. بَلْ قَدْ نَحْتَاجُ فِي أَحْيَانٍ أُخْرَى إِلَى أَنْ نُشَجِّعَ الْفَرْدَ عَلَى التَّفَكُّيرِ فِي مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَاتِهِ. عِنْدَمَا يُعَبِّرُ أَحَدُهُمْ عَنْ اهْتِمَامٍ بِالْأُمُورِ الرُّوحِيَّةِ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطْرَحَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ: «هَلْ تَعْرِفُ أَشْخَاصًا آخَرِينَ يَتَسَاءَلُونَ أَوْ يُفَكِّرُونَ بِالْأَسْئَلَةِ نَفْسَهَا؟» عِنْدَمَا نَدْعُو أَحَدَهُمْ إِلَى قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَعَنَا وَاسْتِخْدَامِ «أَسْئَلَةِ الدِّرَاسَةِ الثَّمَانِيَّةِ»، نَسْتَطِيعُ الْمُشَارَكَةَ بِشَأْنِ حَجْمِ الْاسْتِفَادَةِ الَّتِي حَصَلْنَا عَلَيْهَا بِوَسْطَةِ حِكْمَةِ الْآخَرِينَ وَمُدَاخَلَتِهِمْ فِي الدِّرَاسَةِ مَعًا فِي مَجْمُوعَاتٍ. وَمِنْ ثَمَّ نَسْأَلُ: «هَلْ تَعْرِفُ شَخْصًا آخَرَ قَدْ يَرْعُبُ فِي الْقِرَاءَةِ مَعَنَا؟»

عِنْدَمَا نَتَعَامَلُ مَعَ شَخْصٍ يَبْحَثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ، نَرْعُبُ فِي أَنْ نُشَجِّعَهُ عَلَى عَدَمِ إِخْفَاءِ أَسْئَلَتِهِ عَنِ الْآخَرِينَ، وَأَنْ نُشَجِّعَ الْمُؤْمِنِينَ الْجُدُدَ عَلَى عَدَمِ إِبْقَاءِ إِيمَانِهِمْ سِرًّا، فَتُرِيدُهُمْ أَنْ يُشَارِكُوا الْحَقَائِقَ الَّتِي يَكْتَشِفُونَهَا. وَيَتَطَلَّبُ هَذَا الْأَمْرَ حِكْمَةً. وَلَا يَغِيبُ عَنَّا وَجُودَ تَحْدِيَّاتٍ حَقِيقِيَّةٍ عِنْدَمَا

يبدأ الشخص في السعي الجاد في إيمانه بيسوع. قد تُسبَّب الطريقة التي يُعلن فيها عن هذا الإيمان الجديد طَرْدَهُ مِنْ عائلته، أو حتَّى ما هو أسوأ مِنْ ذلك، لذا نَعْلَمُه كَيْفِيَّةَ المُشَارَكَةِ مع أَصْدِقَائِهِ وَأَفْرَادِ عائلته بِطَرِيقَةٍ تَجْذِبُ الفِراشات التي تُحِبُّ النُّورَ. نريد ليس فقط أَنْ نُوضِّحَ رسالةَ الإنجيل له، بل نريد أيضًا مُساعدته لإدراك كَيْفِيَّةَ توضيحها للآخرين. سنعمِّق أَكْثَرَ في هذا الموضوع في الفصل القادم الذي يَحْمِلُ عنوان: «أجيالٌ بدءًا مِنْ الأوَّلِ إلى الثالث».

لا نَرْكُزُ فقط على العائلات في أثناء تفكيرنا بالمجموعات. تُوجَدُ أيضًا مجموعات الأصدقاء وزملاء العمل والمجموعات الاجتماعية (مثلًا: الفنَّانون، لاعبو كرة القدم، نوادي التمارين الرياضية). ولن نسعى وراء المجموعات ما لَمْ نُؤْمِنْ بِأَنَّ اللَّهَ يستطيع أَنْ يُخَلِّصَ المجموعات وأنَّه يَقُومُ بذلك فِعْلًا. وَإِنْ لَمْ نَسْعَ وراء المجموعات، فلن نَخْتَبِرَ مجيء تلك المجموعات إلى الإيمان. وإذا لَمْ نَخْتَبِرَ هذا الأمر، فسيؤكِّد ذلك توقُّعاتنا المُسَبَّقة أَنَّ الفرد فقط هو مَنْ يَأْتِي إلى المسيح. ولكن عندما نَرَى في الأناجيل وفي سَفَرِ أعمال الرسل أَنَّ أَسْرًا كاملة - وحتَّى قُرَى - تأتي إلى الإيمان، نَتَذَكَّرُ أَنَّ اللَّهَ قادِرٌ على أَنْ يَفْعَلَ أَكْثَرَ ممَّا نَطْلُبُ أو نفتكر، وهو الأمر الذي يَفْعَلُهُ في الواقع؛ حيث نجد أَنَّ عائلاتٍ ومجموعاتٍ يأتون إلى الإيمان، كما تَشْهَدُ لكم بكلُّ سرورٍ عائلةُ إبراهيم.

مِنْ مجموعاتٍ إلى كنائس

نَعْلَمُ جميعُنا مدى أَهْمِيَّةِ المُجْتَمَعِ في ثقافة الشرق الأوسط. تُشكِّلُ العائلات والعشائر والقبائل والقُرَى رِكَائِزَ محوريَّةٍ لهُوِيَّتِنَا. يعتقد بعض

الناس أَنَّ الْإِيمَانَ بِيَسُوعَ يَتَعَلَّقُ فَقَطْ بِاتِّخَاذِ قَرَارِ اتِّبَاعِهِ. أَمَّا لِأَخْرَيْنِ كَثِيرِينَ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَجَنُّبَ حَقِيقَةِ أَنَّهُ قَدْ يَعْنِي أَيْضًا الْإِنْفِصَالَ عَنِ أُسْرِهِمْ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ. نَرِيدُ أَنْ نَتَفَادَى هَذَا الْأَمْرَ قَدْرَ الْإِمْكَانِ، مَعَ أَنَّنا نُدْرِكُ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُمَكِّنٍ دَائِمًا. وَرَغْمَ ذَلِكَ، لَا نَرِيدُ أَنْ يَبْقَى بَعْضُ النَّاسِ مِنْ دُونِ مُجْتَمَعٍ مُحِيطٍ بِهِمْ.

نَهْدَفُ بِوِاسْطَةِ إِعْلَانِ الْإِنْجِيلِ أَنْ نَدْعُو النَّاسَ لِيَكُونُوا جُزْءًا مِنْ مُجْتَمَعٍ؛ مُجْتَمَعٍ حَقِيقِيٍّ يَتَأَلَّفُ مِنْ إِخْوَةٍ وَأَخَوَاتٍ فِي الْمَسِيحِ. نُرَكِّزُ أَوَّلًا عَلَى الْمَجْمُوعَاتِ فِي كِرَازَتِنَا لِأَنَّ الْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي تَأْتِي إِلَى الْإِيمَانِ مَعًا تَعِيشُ ضِمْنَ نِظَامٍ دَعْمٍ طَبِيعِيٍّ، فَيَسْتَطِيعُ أَفْرَادُهَا أَنْ يُشَجَّعُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي مَسِيرَتِهِمْ الْجَدِيدَةِ مَعَ يَسُوعَ، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى بِنَاءِ الثِّقَةِ، لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ لَدَيْهِمْ فِي الْأَصْلِ.

وَنُرَكِّزُ ثَانِيًا عَلَى الْمَجْمُوعَاتِ لِأَنَّ هَدَفَنَا لَيْسَ تَلَامِيذًا مُفْرَدِينَ وَمُنْتَشِرِينَ فِي أَمَاكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ. نَهْدَفُ إِلَى تَكْوِينِ جَسَدِ الْمَسِيحِ الْمُجْتَمِعِ مَعًا، الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ. نُلَاحِظُ قُوَّةَ الْمَجْمُوعَاتِ مِنْ قِصَّةِ بَاسِمٍ فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ. شَفَى الرَّبُّ يَسُوعَ ظَهَرَ زَوْجَتَهُ بِمَعْجَزَةٍ فَأَمَنَّ بَاسِمٌ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ حَقًّا الْمَسِيحُ الَّذِي مَاتَ عَلَى الصَّلِيبِ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا. وَاخْتَارَ أَنْ يَتَّبَعَ الرَّبَّ يَسُوعَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ اضْطِهَادِ عَائِلَتِهِ لَهُ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِ الْجَدِيدِ.

كَانَ بَاسِمٌ مُمْتَنًا لِأَنَّ ابْنَتَهُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ سِنِّهَا، قَدْ اتَّبَعَتْ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ، مِثْلَمَا فَعَلَ هُوَ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَدْ عَانَى مَعَ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ الْكَبِيرَةِ، حَيْثُ وَقَفُوا ضِدَّهُ، وَلَا سِيَّما ابْنَهُ، عَلِيٍّ، الَّذِي اتَّبَعَ خَطَوَاتِ وَالِدِهِ فِي الْإِلْحَادِ وَكَانَ مُعَارِضًا لِإِيمَانِ وَالِدِهِ بِيَسُوعَ. وَبَعْدَ قِضَاءِ بَضْعِ سِنَوَاتٍ وَحِيدًا، شَارَكَ بَاسِمٌ الْأَخْبَارَ السَّارَّةَ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ، مَنِيرِ. جَلَسَ

بِاسْمِ مع منير وزَوْجَتِهِ على مدى ثلاثة أَيَّامٍ متتاليةٍ وَهُمْ يقرأون الكتابَ المُقدَّسَ معًا. فَتَحَ اللَّهُ عَيْنِي منيرَ فَاْمَنَ هو وزَوْجَتُهُ.

تَقَلَّصَ الضَّغْطُ على نحوٍ ملحوظٍ من ناحية عائلة بِاسْمِ بَعْدَ إيمان منير وزَوْجَتِهِ. استمَرَّ بعض الناس بموقفهم المُعارضِ بينما ابتدأ آخرون بِتَقَبُّلِ إيمان بِاسْمِ. كانت ابنةُ الصغرى مَصْدَرُ تشجيعٍ لوالدها، بينما شكَّلَ ابنُ عمِّه دعمًا قويًّا. بَعْدَ فترةٍ وجيزة، آمَنَت زوجةُ بِاسْمِ أيضًا، ولكنَّ إيمان ابنه استغرقَ فترةً أطول. خَضَعَ عليٌّ في النهاية لِلَّهِ وَآمَنَ بالربِّ يسوع بَعْدَ مرور عشر سنواتٍ تقريبًا من إيمان والده.

استمَرَّ بِاسْمِ في المُشاركة مع جميع الذين استمَعُوا له وابتدأ يُصَلِّي على وجه التحديد مِنْ أَجْلِ أُسْرَتِهِ وَشَعْبِ قريته. عاش بِاسْمِ في العاصمة، والتقى بشقيقتين يعيشان في قريته الأصليَّة، وقد استمتعا عند سماعهما قصص يسوع، فَاْمَنَّا كلاهما أَنَّ يسوع هو المسيح الذي أُرْسِلَ ليموت مِنْ أَجْلِ خطايانا وليَقُومَ من بين الأموات. كان بِاسْمِ يتنقَّلُ أسبوعيًّا مسافة 100 كيلومترٍ من العاصمة لزيارتهم في قريتهما وليتجمَعَ بهما في مكتبهما. بَعْدَ فترةٍ وجيزة، آمَنَت والدتهما واثنتان من أخواتهما وزوجة الأخ الأصغر. وهكذا ابتدأت كنيسةُ بيتيَّةٍ بالاجتماع في مَنْزِلهما.

وفي الوقت نَفْسِهِ، شارك بِاسْمِ مع عائلةٍ أخرى التقى بها في إحدى زياراته الأسبوعيَّة إلى القرية. وَبَعْدَ مُدَّةٍ وجيزة، آمَنَ كُلُّ من الزوج والزوجة، وأَسَّسَا مجموعةً تَجْتَمِعُ في مَنْزِلهما مع أفرادٍ آخَرِينَ مِنْ أُسْرَتِهِمْ لقراءة الكتاب المُقدَّس معًا.

انتَقَلَ بِاسْمِ ليعيش في القرية لِيُخَصَّصَ الوقت لرعاية الكنيسة النامية. وبوجود زَوْجَتِهِ وابنته معه، إضافةً إلى ابن عمِّه وعائلته، شَعَرَ بالتشجيع

وشاركَ بِحُرِّيَّةٍ وَجَرأةٍ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ لِرِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ. تَوَسَّعَتِ الْمَجْمُوعَتَانِ الْبَيْتِيَّتَانِ اللَّتَانِ كَانَتَا تَجْتَمِعَانِ فِي قَرْيَتِهِ سَرِيعًا إِلَى شَبَكَةٍ وَاسِعَةٍ مِنْ الْاجْتِمَاعَاتِ فِي بَيُوتٍ أُخْرَى، حَيْثُ رَأَوْا أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ كَنِيسَةٌ وَاحِدَةٌ. فِي غُضُونِ بَضْعِ سَنَوَاتٍ، كَانَتْ هُنَاكَ عَشْرُ مَجْمُوعَاتٍ نَمَتْ عَلَى مَدَارِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ لِتَصِلَ إِلَى 80 مَجْمُوعَةً تَقْرِيبًا تَتَوَزَّعُ عَلَى 12 قَرْيَةً مُخْتَلِفَةً.

حَصَلَ هَذَا النَّمُوُّ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِوَاسِطَةِ أَفْرَادٍ سَمِعُوا وَآمَنُوا وَشَارَكُوا لَاحِقًا مَعَ أَفْرَادِ عَائِلَاتِهِمْ. وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى، اسْتَمَعَتْ عَائِلَاتٌ كَامِلَةٌ وَآمَنْتْ مَعًا. رَكَزَ بَاسِمْ عَلَى الْمَجْمُوعَاتِ بِوَاسِطَةِ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ مَعَ الْعَائِلَاتِ وَلَيْسَ الْأَفْرَادِ. أَحْضَرَ اللَّهُ بَرَحْمَتَهُ عَائِلَاتٍ إِلَى الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ مَعًا، وَحَصَلَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْجَدِيدُ عَلَى الدَّعْمِ الَّذِي احتَاجُوهُ لِمُوَاصَلَةِ اتِّبَاعِ الرَّبِّ يَسُوعَ فِي وَسْطِ الضِّيقَاتِ. نَشَأَتِ الْكَنِيسَةُ فِي هَذِهِ الْمَنَازِلِ مَعَ أَشْخَاصٍ يَعْرِفُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا فِي الْأَصْلِ، وَيُثِقُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَيُحِبُّونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

مَا الْكَنِيسَةُ؟

نُرَكِّزُ عَلَى الْمَجْمُوعَاتِ لِأَنَّنا نَهْدَفُ إِلَى زَرْعِ كَنَائِسَ جَدِيدَةٍ. تَكْمُنُ إِحْدَى الصُّعُوبَاتِ الَّتِي نَوَاجِهُهَا الْيَوْمَ فِي حَقِيقَةِ أَنَّهُ عِنْدَمَا يَسْمَعُ مُعْظَمُ النَّاسِ كَلِمَةَ «كَنِيسَةٌ» أَوْ يَقْرَأُونَهَا، فَإِنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ أَوَّلًا فِي الْمَبْنَى. وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ، أَنَّ مُعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَسِيحِيِّينَ الْأَسْمِيِّينَ وَالْعِلْمَانِيِّينَ يُفَكِّرُونَ أَيْضًا بِالطَّرِيقَةِ نَفْسَهَا. وَلَكِنْ، هَلْ هَذِهِ هِيَ الْكَنِيسَةُ؟ مَا تَعْرِيفُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِمَفْهُومِ «الْكَنِيسَةِ»؟

مثير للاهتمام أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ لَا يَسْتُخْدِمُ بَتَاءً كَلِمَةَ «كَنِيسَة» (ἐκκλησία - إيكليسيا، باللغة اليونانية) للإشارة إلى المبنى؛ بل تُشير دائماً إلى مجموعةٍ من الأشخاص. لذا عندما كَتَبَ الرُّسُولُ بولس إلى فليمون، مُرْسِلاً التَّحِيَّةَ «إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِكَ» (فليمون الآية 2)، نَجِدُ أَنَّهُ كَانَ يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ «الكنيسة» ليست هي المبنى لأنها تَجْتَمِعُ فِي بَيْتِ فِلِيمُون. أَشار الرُّسُولُ بولس إلى الأشخاص الذين يجتمعون في منزل فليمون للصلاة والعبادة باسمِ الرَّبِّ يَسُوع.

فَعَلَ الرُّسُولُ بولس الأَمْرَ ذاته عندما أَرْسَلَ تَحِيَّتَهُ وَسَلَّمَهُ عَلَى بَرِيْسَكِلَّا وَأَكِيَلَا، مُضِيفًا: «وَعَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا» (رومية 16: 5). نَجِدُ مَرَّةً أُخْرَى أَنَّ الْكَنِيسَةَ لَيْسَتْ هِيَ الْمَبْنَى، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تُوجَدُ دَاخِلَ مَنْزِلِ بَرِيْسَكِلَّا وَأَكِيَلَا. أَضَفَ إِلَى ذَلِكَ كَلَامَ الرُّسُولِ بولس: «جَمِيعُ كَنَائِسِ الْأُمَمِ» تُقَدِّمُ الشُّكْرَ لِبَرِيْسَكِلَّا وَأَكِيَلَا (رومية 16: 4). لَا تُقَدِّمُ الْمَبَانِي الشُّكْرَ بِلِ النَّاسِ.

يُقَدِّمُ الرُّسُولُ بولس في رسالته الأولى لأَهْلَ كورنثوس تعليماتٍ حَوْلَ الْأُمُورِ الَّتِي يَجْدُرُ بِالْمُؤْمِنِينَ الْقِيَامُ بِهَا، وَالْكِفِيَّةُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَصَرَّفُوا بِهَا عِنْدَمَا يَجْتَمِعُونَ مَعًا بِوَصْفِهِمْ كَنِيسَةً. فِي الْأَصْحَاحَاتِ مِنْ 12 إِلَى 14 مِنْ رِسَالَةِ كورنثوس، يُعَلِّمُ الرُّسُولُ بولس الْمُؤْمِنِينَ فِي كورنثوس عَنِ الْاسْتِخْدَامِ الصَّحِيحِ لِلْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ، وَلَا سَيِّمًا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْهَبَيِ التَّكَلُّمِ بِاللِّسَنَةِ وَالتَّنْبُؤِ، فَقَالَ مَا يَلِي: «فَإِنْ اجْتَمَعَتِ الْكَنِيسَةُ كُلُّهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَنَةِ» (1 كورنثوس 14: 23). لَا تَجْتَمِعُ الْمَبَانِي مَعًا وَهِيَ بِالتَّأَكِيدِ لَا تَحَدِّثُ بِاللِّسَنَةِ. الْكَنِيسَةُ هِيَ إِذَا الشَّعْبُ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ بِوَسْطَةِ الْمَسِيحِ، وَيُمَارِسُ مَوَاهِبَهُ الرُّوحِيَّةَ لِبُنْيَانِ الْآخَرِينَ.

تَحَدَّثَ الرُّسُولُ بولس عَنِ النَّاسِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ذَكَرَ فِيهَا الْكَنِيسَةَ. يَرِدُ أَحَدُ أَوْضَاحِ التَّعْرِيفَاتِ لِكَلِمَةِ «الكنيسة» فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَأَكْثَرُهَا

إِجَازًا فِي 1 كورنثوس 1: 2-3، حَيْثُ كَتَبَ الرَّسُولُ بُولَسَ: «إِلَى كَنِيسَةِ اللَّهِ الَّتِي فِي كُورِنْثُوسَ، الْمُقَدَّسِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الْمَدْعُودِينَ قَدِيسِينَ مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَهُمْ وَلَنَا: نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ أَبِيْنَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.»

تَذَكَّرْ أَنَّهُ عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ الرَّسُولُ بُولَسَ عَنِ الْكَنِيسَةِ فِي كُورِنْثُوسَ فَإِنَّهُ لَا يَقْصِدُ الْمَبْنَى. مَا الَّذِي نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ عَنِ الْكَنِيسَةِ؟ نُلَاحِظُ فِي الْبَدَايَةِ أَنَّ الْكَنِيسَةَ تَخْصُ اللَّهَ، فَهِيَ «كَنِيسَةُ اللَّهِ». وَمِنْ ثَمَّ، نَكْتَشِفُ أَنَّ الْكَنِيسَةَ مَحَلِّيَّةٌ، وَتُوجَدُ فِي مَدِينَةٍ مُعَيَّنَةٍ هِيَ كُورِنْثُوسَ. وَتَمْتَلِئُ الْكَنِيسَةُ مِنَ الَّذِينَ تَقَدَّسُوا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ مُقَدَّسًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يَعْنِي أَنْ يَجْرِيَ فَرْزُهُ، وَأَنْ يَنْتَمِيَ لِلْمَسِيحِ عَلَى نَحْوِ فَرِيدٍ، وَأَنْ يَكُونَ مُكْرَسًا. إِنَّ الْأَشْخَاصَ الْمُقَدَّسِينَ فِي يَسُوعَ يُدْعَوْنَ أَيْضًا «قَدِيسِينَ». إِنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ جُزْءٌ مِنَ الْكَنِيسَةِ هُمْ قَدِيسُونَ، لِأَنَّ مَنْ يَتَقَدَّسُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ وَيُفَرِّزُ بِصِفَتِهِ قُدْسًا لِلرَّبِّ؛ فَهُوَ قَدِيسٌ.

يَرْتَبِطُ الْقَدِيسُونَ فِي كَنِيسَةِ كُورِنْثُوسَ مَعَ الْقَدِيسِينَ الْمَوْجُودِينَ فِي أَمَاكِنَ أُخْرَى. وَهُمْ مُتَّحِدُونَ مَعَ جَمِيعِ الْمَوْجُودِينَ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ». لِذَا فَإِنَّ الْكَنِيسَةَ هِيَ كَنِيسَةٌ مَحَلِّيَّةٌ (فِي كُورِنْثُوسَ) وَكَنِيسَةٌ عَالَمِيَّةٌ (مَعَ جَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ). كَمَا نَجِدُ سَمَةً أُخْرَى مُهِمَّةً لِلْكَنِيسَةِ هِيَ أَنَّ شَعْبَهَا يُقَدِّمُ الدُّعَاءَ لِلَّهِ بِاسْمِ يَسُوعَ، فَيَتَوَقَّعُونَ مِنْهُ الْمُسَاعَدَةَ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ بَدَلًا مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَى الْآخَرِينَ. وَنُلَاحِظُ آخِرًا أَنَّ الْكَنِيسَةَ لَا تَنْتَمِي فَقَطْ إِلَى اللَّهِ، بَلْ أَيْضًا أَنَّ لَهَا رَبًّا هُوَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ وَتَتَّبَعُهُ فِي طَاعَةٍ.

لذلك نَكشِفُ، استنادًا إلى 1 كورنثوس 1: 2-3، أَنَّ الكنيسةَ هي شَعْبُ
اللَّهِ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِي الْمَسِيحِ، أَي الَّذِينَ دَعَاهُمُ اللَّهُ مِمَّنْ يَدْعُونَ بِاسْمِ
الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

زَرْعُ الْكِنَائِسِ لَا بِنَاؤُهَا

عندما نتحدَّثُ عن زَرْعِ الْكِنَائِسِ، فَإِنَّا نَقْصِدُ بِذَلِكَ إِنْشَاءَ مَجْمُوعَاتٍ
جَدِيدَةٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ مَعًا وَيُقَدِّمُونَ الدَّعَاءَ لِلَّهِ بِاسْمِ
الرَّبِّ يَسُوعَ، كَمَا يَجْتَمِعُونَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ، بِاسْتِخْدَامِ مَوَاهِبِهِمُ
الرُّوحِيَّةِ لِبِنَاءِ حَيَاةِ الْآخَرِينَ وَالشَّهَادَةِ عَنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

رَبِّمَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ سَنَزِعُ كَنِيسَةً، وَمِنْ ثَمَّ نَبْنِي
مَبْنًى. لَا تَتَطَلَّبُ عَمَلِيَّةُ زَرْعِ الْكَنِيسَةِ وَجُودَ بِنَاءٍ لِلْكَنِيسَةِ، حَيْثُ تَسْتَطِيعُ
الْكَنِيسَةُ أَنْ تَجْتَمَعَ فِي حَقْلٍ أَوْ تَحْتَ جِسْرِ أَوْ فِي مَنَازِلِ الْمُؤْمِنِينَ.

نُلاحِظُ إِذَا، أَنَّ الصَّليْبَ الْمَوْجُودَ عَلَى مَبْنًى لَا يَجْعَلُ الْكَنِيسَةَ كَنِيسَةً،
بَلِ النَّاسِ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ دَاخِلَ الْمَبْنَى هُمْ مَن يَجْعَلُونَهَا كَنِيسَةً. إِنَّ مَا
يُحَدِّدُ الْكَنِيسَةَ هُوَ هُويَّةُ الْمُجْتَمِعِينَ وَعَمَلُهُمْ مَعًا وَإِيمَانُهُمُ الْمُشْتَرَكُ.
نَجِدُ الْكَثِيرَ مِنَ الشَّوَاهِدِ الْكِتَابِيَّةِ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لِنَتَعَلَّمَ مِنْهَا عَنْ مَا هِيَ
الْكَنِيسَةُ وَعَنْ عَمَلِهَا. وَنَحْسِبُ رِسَائِلَ الرُّسُولِ بُولُسَ مَفِيدَةً عَلَى نَحْوِ
خَاصٍّ. وَلَكِنْ سَنَدْرُسُ أَيْضًا مَا يُخْبِرُنَا بِهِ لَوْقَا عَنِ الْكَنِيسَةِ الْأُولَى فِي أَعْمَالِ
الرَّسْلِ 2: 42-47، حَيْثُ نَقْرَأُ مَا يَلِي:

«وَكَاثِلُوا يُوَاظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ، وَالشَّرِكَةِ، وَكَسْرِ الْخُبْزِ،
وَالصَّلَوَاتِ. وَصَارَ خَوْفٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ. وَكَانَتْ عَجَائِبُ وَأَيَّاتٌ كَثِيرَةٌ

تُجْرَى عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعًا، وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا. وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُقْتَنِيَاتُ كَانُوا يَدْعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ، كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احتِياجٌ. وَكَانُوا كُلُّ يَوْمٍ يَواظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ، كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةٍ قَلْبٍ، مُسَبِّحِينَ اللَّهَ، وَلَهُمْ نِعْمَةٌ لَدَى جَمِيعِ الشَّعْبِ. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ.»

يُخْبِرُنَا الْبَشِيرُ لَوْحًا أَنَّ الْكَنِيسَةَ الْأُولَى كَانَتْ مُكَرَّسَةً لِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ هِيَ: تعليم الرسل، والشركة، وكسر الخبز، والصلوات. تُشَكِّلُ هَذِهِ الْأُمُورُ الْأَرْبَعَةُ أَسَاسَ الْكَنِيسَةِ.

شَمَلَ تَعْلِيمُ الرُّسُلِ تَعْلِيمَهُمْ عَنْ يَسُوعَ وَعَنِ الْإِنْجِيلِ، وَعَلَّمُوا أَنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ هُوَ الْمَسِيحُ، وَأَنَّهُ الْمَلِكُ الْمُعَيَّنُ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ الْمَمْسُوحُ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَقَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ. وَمُؤَكَّدٌ أَيْضًا أَنَّهُ شَمَلَ كَلِمَاتِ يَسُوعَ نَفْسِهِ وَوَصَايَاهُ. وَقَدْ عَلَّمَ الرُّسُلُ الْآخَرِينَ كَيْفِيَّةَ إِطَاعَةِ كُلِّ مَا أَوْصَانَا بِهِ الرَّبُّ يَسُوعَ. لَمْ يَكُنْ تَعْلِيمُ الرُّسُلِ مُجَرَّدَ سَرْدِ حَقَائِقَ عَنِ اللَّهِ أَوْ عَنْ يَسُوعَ، بَلْ كَانَ تَعْلِيمًا يَتَوَافَقُ مَعَ التَّقْوَى (1 تيموثاوس 6: 3) وَيَقُودُ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْقِدَاسَةِ، كَمَا كَانَ مُتَجَدِّدًا فِي نصوص العهد القديم الذي أُوجِي بِهِ مِنَ اللَّهِ (2 تيموثاوس 3: 16). نَحْمِلُ الْيَوْمَ بَيْنَ أَيْدِينَا تَعْلِيمَهُمُ الْمَدُونَّ عَلَى صَفَحَاتِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَتُكْرَسُ الْكَنِيسَةُ نَفْسَهَا لِهَذَا التَّعْلِيمِ؛ تَعْلِيمُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. أَيُّ أَنَّنَا نَتَمَسَّكُ بِهَذَا التَّعْلِيمِ تَمَسُّكًا شَدِيدًا، وَهُوَ يُعِيدُ تَشْكِيلَنَا فِي أَثْنَاءِ إِطَاعَتِنَا لَهُ.

كَرَّسَ الْمَسِيحِيُّونَ الْأَوَائِلَ أَنْفُسَهُمْ أَيْضًا لِلشَّرَكَةِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، وَلَمْ يَسْعَوْا إِلَى عَيْشِ حَيَاةِ الْإِيمَانِ الْجَدِيدَةِ بِمَفْرَدِهِمْ، بَلْ تَجَمَّعُوا مَعًا، وَاشْتَرَكُوا بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ وَشَجَّعُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَمْضَوْا أَوْقَاتَهُمْ مَعًا، وَأَظْهَرُوا الْمَحَبَّةَ بِوَاسِطَةِ الْخِدْمَةِ وَالْإِرْشَادِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّشْجِيعِ وَالصَّلَاةِ. فَقَدْ فَهِمَ الْمُؤْمِنُونَ الْجَدَدَ مِنْذُ بَدَايَةِ الْكَنِيسَةِ أَنَّ اللَّهَ كَانَ سَيَخْلُقُ شَعْبًا جَدِيدًا مُتَّحِدًا بِالرُّوحِ فِي جَسَدِ الْمَسِيحِ. وَقَدْ احْتَاجُوا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَاسْتَمْتَعُوا بِوُجُودِهِمْ مَعًا.

كَمَا وَاطَبَ الْمَسِيحِيُّونَ الْأَوَائِلَ عَلَى كَسْرِ الْخُبْزِ، وَفِي هَذَا، أَطَاعُوا وَصِيَّةَ الرَّبِّ يَسُوعَ لَهُمْ، الَّتِي مَضْمُونُهَا أَنْ يَجْتَمِعُوا مَعًا، لِيَكْسِرُوا الْخُبْزَ وَلِيَتَذَكَّرُوا مَوْتَهُ. وَكَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِعْلَ عِبَادَةٍ تَجْتَمِعُ الْكَنِيسَةُ الْجَدِيدَةُ مِنْ حَوْلِهِ، كَمَا كَانَ يُمَثِّلُ الصُّورَةَ الْمَلْمُوسَةَ لِتَعْلِيمِ الرِّسْلِ؛ فَكَانُوا فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ وَيَشْرَبُونَ الْكَأْسَ وَيَذَكَّرُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ قَدْ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَاهُمْ، وَأَنَّهُ كَسَرَ جَسَدَهُ وَسَفَكَ دَمَهُ. إِنَّ مَوْتَ الْمَسِيحِ هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي وَحَدَهُمْ. فَقَدْ كَسَرَ يَسُوعُ جَسَدَهُ الْمَادِّيَّ لِكَيْ يَجْمَعَ جَسَدًا جَدِيدًا؛ أَيِ كَنِيسَتِهِ. وَقَدْ كَانَ كَسْرُ الْخُبْزِ أَسَاسَ شَرَكَتِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ.

وَأَخِيرًا، وَاطَبَ الْمَسِيحِيُّونَ الْأَوَائِلَ عَلَى الصَّلَوَاتِ، فَاجْتَمَعُوا مَعًا بِطَرِيقَةٍ رَسْمِيَّةٍ لِلصَّلَاةِ لِلَّهِ، فَقَضَوْا وَقْتَهُمْ لَيْسَ فَقَطْ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، بَلْ أَيْضًا قَضَوْا وَقْتَهُمْ مَعًا فِي مَخْضَرِ اللَّهِ. وَقَدْ دَعَا اللَّهُ الْمَسِيحِيِّينَ الْأَوَائِلَ لِلدُّخُولِ إِلَى مَخْضَرِهِ بِالصَّلَاةِ بِاسْمِ الْمَسِيحِ.

تُشَكِّلُ هَذِهِ الْأُمُورُ الْأَرْبَعَةَ أَسَاسَ الْكَنِيسَةِ؛ فَمِنْ دُونِ تَعْلِيمِ الرِّسْلِ وَالشَّرَكَةِ وَتَذَكُّرِ مَوْتِ يَسُوعَ بِتَعَبُّدٍ بِوَاسِطَةِ كَسْرِ الْخُبْزِ وَالصَّلَوَاتِ، لَا تُوجَدُ كَنِيسَةٌ. وَبَقِيَّةُ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي مِنْ سِفْرِ أَعْمَالِ الرِّسْلِ تُكَمِّلُ صُورَةَ الْكَنِيسَةِ الْأُولَى.

هذا المَقْطَعُ في أعمال الرسل 2: 42-47 يُعَلِّمُنَا- إضافةً إلى تعليمنا السمات التأسيسية الأربع للكنيسة الأولى- طُرُقًا أُخْرَى أَظْهَرَتْ فِيهَا الكنيسةُ قُوَّةَ اللَّهِ وَمَجْدَهُ. «وَصَارَ خَوْفٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ. وَكَانَتْ عَجَائِبُ وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُجْرَى عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ» (الآية 43). أثبت الله مصداقيةَ كَلِمَتِهِ بواسطة العجائب والآيات الكثيرة. كما شهدت قُوَّةُ الروح القدس للربِّ يسوع ولإنجيله. الكنيسةُ الحقيقيةُ لا تُكْرَسُ فقط نَفْسُهَا لتعليم الرسل (كلمة الله)، بل أيضًا تمتلئ مِنَ الروح القدس. يَشْهَدُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ وَيَشْهَدُ الْרוْحُ الْقُدُسُ لحقيقة يسوع المسيح.

امتَلَأَتِ الْكَنِيسَةُ الْأُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ، وَلَمْ يَكُونُوا أَشْخَاصًا اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ الْحَصُولَ عَلَى الْإِسْتِفَادَةِ الْمَادِّيَّةِ بِوَسْطَةِ التَّجْمُّعِ مَعَ الْمَسِيحِيِّينَ. تَجَمَّعَ الْمُؤْمِنُونَ مَعًا وَأَحَبُّوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِوَسْطَةِ الْمُشَارَكَةِ فِي مَا بَيْنَهُمْ، وَقَدْ لُبُّوا حَاجَاتِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِطَرِيقَةٍ أَرْضَتْ الْجَمِيعَ (الآيتان 44-45)، وعاشوا وَفَقًا لوصية الربِّ يسوع في أَنْ يُحِبُّوا قَرِيبَهُمْ كَمَا يُحِبُّونَ أَنْفُسَهُمْ.

اجْتَمَعَ الْمُؤْمِنُونَ مَعًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ، فَهُمْ اجْتَمَعُوا فِي أَمَاكِنَ عَامَّةٍ كَبِيرَةٍ لِلصَّلَاةِ وَلِتَقْدِيمِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، كَمَا التَّقَوُّا فِي أَمَاكِنَ خَاصَّةٍ صَغِيرَةٍ فِيمَا كَانُوا يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي مَنَازِلِهِمْ (الآية 46)، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْفَرَحِ وَالتَّسْبِيحِ لِلرَّبِّ.

وَنُلاحِظُ آخِرًا أَنَّ الْكَنِيسَةَ الْأُولَى كَانَتْ مَثْمَرَةً، فَقَدْ تَضَاعَفَتْ وَنَمَتْ «وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ» (الآية 47).

النهاية تُحدّد البداية

تَعَلَّمْنَا أَنَّ الكنيسة هي شَعْبُ اللَّهِ الْمُجْتَمِعُ معًا في المسيح، أي الذين دعاهم الله والذين يدعون باسم الرَّبِّ يسوع المسيح. تُكْرَسُ الكنيسةُ نَفْسُهَا لتعليم الرسل والشركة وكسْرِ الخبز والصلوات. كما تهتَمُّ الكنيسةُ بأعضائها وتُحِبُّهُمْ بواسطة العطاء لتلبية احتياجات الجميع، وهي ممثلةٌ بقوة الروح القدس لتشهدَ عن موت يسوع وقيامته من بين الأموات. تَتَكَوَّنُ الكنيسة من شَعْبٍ مَلِيٍّ بالفرح والتسبيح لله، وهي جَسَدٌ ينمو على نحوٍ طبيعيٍّ.

هل هذا هو مفهومك عن كنيسة الله؟ ماذا عن مفهوم الذين حَوْلَكَ؟ تَحَكَّمَتْ بنا ثقافتنا لدرجة أن مُعْظَمَنَا ما زال يُفَكِّرُ في شَكْلِ مَبْنَى عليه صليبٌ عندما نقرأ أو نسمع كلمة «كنيسة». ولكن، ليس هذا ما يَجْعَلُ الكنيسةَ كنيسةً.

تتمحور الكنيسةُ حَوْلَ رَبِّهَا يسوع المسيح، وتستمدُّ قُوَّتَهَا من الروح القدس الساكن فيها، وذلك لأنَّ الكنيسة هي هيكل الله، وهي مكانٌ لعيش المَحَبَّةِ، حيث يختبر الناس فيها الرحمة واللفظ. والكنيسة هي شَعْبٌ يُحِبُّ اللَّهَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وهي تُحِبُّ الْآخَرِينَ كما تُحِبُّ نَفْسَهَا.

لا تُوجَدُ كنيسةٌ تُجَسَّدُ كُلُّ هذه العناصر على نحوٍ مثاليٍّ. فلكلِّ كنيسةٍ نقاطُ قُوَّةٍ ونقاطُ ضَعْفٍ. ويجدرُ بِكُلِّ كنيسةٍ أَنْ تنموَ، وذلك لأنَّ كُلَّ أعضائها قد جرى تقديسهم وفرزهم وتخصيصهم. تُحَافِظُ الكنيسةُ على تركيزها على هذه السمات الرئيسة التي دَرَسْنَاهَا في أعمال الرسل الأصحاح 2، سواءً أكانت تجتمع في مَبْنَى كنسيٍّ كبيرٍ أَمْ في مَنْزِلٍ. نلاحظُ طبعًا سِمَاتٍ وأدوارًا مُهِمَّةً أُخْرَى للكنيسة في كُلِّ العهد الجديد، لكنَّ الكنيسة في الأساس هي

شَعَبَ اللَّهِ الْمُجْتَمِعِ فِي الْمَسِيحِ، أَيِ الَّذِينَ دَعَاهُمُ اللَّهُ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .

نَتَذَكَّرُ مَرَّةً أُخْرَى أَنَّ النِّهَايَةَ تُحَدِّدُ الْبَدَايَةَ. وَمِنْ ثَمَّ، مِنْ أَجْلِ زَرْعِ
كَنِيسَةٍ جَدِيدَةٍ؛ نَحْتَاجُ أَنْ تَكُونَ لَدَيْنَا، حَتَّى قَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ، صُورَةً وَاضِحَةً
عَنْ مَاهِيَةِ الْكَنِيسَةِ الْكِتَابِيَّةِ الصَّحِيَّةِ. يُوجَدُ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي نَحْتَاجُ إِلَى
تَعَلُّمِهَا أَوْ الَّتِي يَجْدُرُ بِنَا تَعَلُّمُهَا عَنِ الْكَنِيسَةِ لِتَتَوَضَّحَ لَنَا الصُّورَةُ عَلَى نَحْوِ
أَفْضَلٍ، لَكِنَّ بِذَوْرِهَا مَوْجُودَةٌ.

رَبَّمَا تَتَذَكَّرُ أَنَّنا فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ قَدْ أَدْخَلْنَا فِكْرَةَ «أَسْئَلَةُ الدِّرَاسَةِ
الْثَمَانِيَةِ»، وَقَدْ جَرَى اخْتِيَارُ الْأَسْئَلَةِ لَيْسَ فَقَطْ لِمُسَاعَدَةِ النَّاسِ عَلَى الْفَهْمِ
عِنْدَمَا يَدْرُسُونَ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ زَرْعِ الْبَذُورِ الَّتِي
مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُسَاعِدَ عَلَى تَشْكِيلِ مَجْمُوعَةٍ جَدِيدَةٍ لِتَصِيرَ كَنِيسَةً فِي أَثْنَاءِ
مَجِيءِ أَفْرَادِهَا إِلَى الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ، وَهَذِهِ الْبَذُورُ هِيَ بِذُورُ الشُّكْرِ وَالْعِبَادَةِ
وَالْتَشْجِيعِ وَالشَّفَاعَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْمَسَاءَلَةِ وَالطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ وَالتَّبَشِيرِ.
تُوجَدُ أُمُورٌ أُخْرَى تَحْتَاجُ إِثْبَتَ كَنِيسَةٍ جَدِيدَةٍ أَنْ تَتَعَلَّمَهَا وَأَنْ تَعِيشَهَا بَيْنَمَا
تُفَكِّرُ فِي النَتَائِجِ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَزْرَعَ بِذُورَ كَنِيسَةٍ صَحِيَّةٍ مِنْذُ الْبَدَايَةِ،
حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ أَفْرَادُهَا كَنِيسَةً.

مَاذَا نَسَمِّي الْكَنِيسَةَ؟

يُسَاءُ فَهْمُ كَلِمَةِ «الْكَنِيسَةِ» بِسَهُولَةٍ، فَهِيَ تَسْتَحْضِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَفْكَارِ
الْمُخْتَلِفَةِ بَيْنَ الْمُحِيطِينَ بِنَا. تَحْمِلُ كَلِمَةُ «الْكَنِيسَةِ» لَدَى بَعْضِ النَّاسِ
دَلَالَاتٍ إِبْرَائِيلِيَّةً مِنْهَا: النَّمُوُّ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَاخْتِبَارُ حُضُورِ اللَّهِ، وَالشَّرَكَةُ
الْحُلُوةُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَشْجِيعِهِمْ. وَتَحْمِلُ ذَاتُ الْكَلِمَةِ، «الْكَنِيسَةُ»، لَدَى

آخَرِينَ دلالاتٍ سلبيةً منها: الاستبداد، والطقوس الميئة، وعبادة ثلاثة آلهة، والنفاق.

لاحظنا في الجزء الثاني من الفصل الرابع أنَّ إحدى الوسائل لجعل الإنجيل أكثر وضوحاً هي بواسطة استخدام الكلمات المألوفة للآخرين، أو الكلمات التي لا تحمل معانٍ سلبية، ويصحُّ الأمر ذاته أيضاً في ما يختصُّ باستخدام كلمة «كنيسة». فبدلاً من استخدام كلمة «كنيسة»، نستطيع أن نستخدم تعبير «جماعة المؤمنين» كما تردُّ في ترجمة «الكتاب الشريف»، أو ربّما تستطيع التفكير بعباراتٍ أفضل لتُناسب المجتمع الذي تعيش فيه، وهكذا تملأ الكلمات التي تستخدمها بالمعاني الكتابية بدلاً من المعاني الثقافية أو التقليدية أو الصورة النمطية التي لدى المجتمع عنها.

سأبني كنيسة

وعَدَ الربُّ يسوع ببناء كنيسته، فالعمل هو عمَلُهُ، ولكنّه بحكمته، دعانا لنشترك معه بصفتنا عاملين مع الله (1كورنثوس 3: 9)، وهكذا نشترك نحن أيضاً في عملية بناء كنيسته، ونُعَلِن - مُعْتَمِدِينَ عليه - رسالة الإنجيل وندعو الآخرين إلى الانضمام إلينا بينما نتبع الربَّ يسوع، مَلِكُنَا وَمُخَلِّصُنَا. نثق في خِصْمِ عَمَلِنَا أَنَّ الربَّ يسوع سَيَجْمَعُ شَعْبَهُ وهو يدعوهم لِيَخْرُجُوا من تحت سلطان الظُّلْمَةِ وَلِيَخْدُمُوا مَلِكُوته، وعندما يَفْعَلُ ذلك، نستمرُّ في العمل معه بواسطة تعليم شَعْبِهِ أَنْ يطيعوا كُلَّ ما أوصانا به.

تَرَكَّزَ بعضُ أهمِّ الوصايا حَوْلَ العبارة المتكررة في كثيرٍ من الأحيان في العهد الجديد: «بعضكم بعضاً». فنقرأ عباراتٍ مثل: «تَحِبُّوا بَعْضُكُمْ

بَعْضًا» (يوحنا 13: 34)، و«مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ» (رومية 12: 10)، و«مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا» (رومية 12: 16)، و«اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (رومية 15: 7)، و«بِالْمَحَبَّةِ اخْدُمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (غلاطية 5: 13)، إضافةً إلى وصايا أخرى كثيرة. لا نستطيع إطاعة هذه الوصايا إلَّا إذا عشنا في مُجْتَمَعٍ مع آخَرِينَ. وينبغي أَنْ نُشَجَّعَ منذ البداية جميعَ أبناءِ السلام المُحْتَمَلِينَ على دعوة الآخرين إلى رحلة التعرُّفِ إلى يسوع، فَنُسَاعِدَهُمْ على التفكير في الأشخاص الذين يَعْرِفُونَهُمْ لِيَكْتَشِفُوا من بينهم المنفتحين إلى سماع رسالة الإنجيل. كما نُعَلِّمُ هؤلاء الأشخاص كيفيةَ مُشاركة الكلمات المُملَّحة حتَّى يَتِمَكَّنُوا هُمْ أيضًا بدورهم من تحديد الشخص المنفتح لسماع مزيد. نجتمع بصفتنا مجموعاتٍ حَوْلَ كلمة الله ونسعى للتعرُّفِ على الله بواسطة كَلِمَتِهِ. وبهذه الطريقة، تَنشَأُ كنيسةٌ جديدةٌ عندما يُصَمِّمُ هؤلاء المُؤْمِنُونَ الجدد على اتِّباعِ الرَّبِّ يسوع، وعلى إطاعة كُلِّ ما أوصانا به.

عندما تعيش الكنيسة دَعْوَتَهَا في طاعةٍ مُخْلِصَةٍ لِلرَّبِّ يسوع، فإنَّها ستَنمو. هذا هو مصير كُلِّ الكائنات الحيَّة. نُلَاحِظُ هذه الحقيقة في أعمال الرسل 9: 31 حيث نقرأ: «وَأَمَّا الْكَنَائِسُ فِي جَمِيعِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْجَلِيلِ وَالسَّامِرَةِ فَكَانَ لَهَا سَلَامٌ، وَكَانَتْ تُبْنَى وَتَسِيرُ فِي خَوْفِ الرَّبِّ، وَبِتَعَزِيَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ كَانَتْ تَتَكَاثَرُ». نبحث عن بناءِ سلامِ الله ونعمتِهِ. نخافُ الله ونستريح في تعزية الروح القدس، ثُمَّ نثق به لِيُضَاعِفَ الكنيسةَ، وَيُصَمِّمُ الرَّبُّ إِلَيْهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ.

السير في «دَرْبِ الإيمان»

1. اقرأ وتأمل في رومية 12: 3-8. ماذا نتعلّم عن الكنيسة في هذه الفقرة؟
2. اسأل خمسة أشخاصٍ مُختلفين عما يتبادر إلى أذهانهم عندما يسمعون كلمة «الكنيسة».
3. خذ وقتًا للصلاة من أجل كنيستك، أي مجموعة المؤمنين الذين تجتمع معهم لعبادة الله. صلّ على نحوٍ خاصّ ليُساعد الله كنيستك على النموّ في النواحي الضعيفة.
4. مع مَنْ ستُشارك الأمور التي تعلّمتها في هذا الفصل؟

الفصل التاسع

أجيالٌ بدءًا من الأول إلى الثالث

يُشكِّلُ سامي ورياضُ دَرْسًا في التناقضات؛ فقد أَحَبَّ الرَّبَّ يسوع، وخدمَا مع كنيستهما للوصول إلى المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ المحليِّ، وقد اختَبَرَا كِلَاهُمَا مشكلاتٍ زوجيَّةً أَصْبَحَتْ واضحةً لقادة الكنيسة. اهتمَّ رعاةُ الكنيسة بقداسة هذين الخادِمَيْنِ وكانوا على استعدادٍ للاجتماع بهما على الرغم من صعوبة الحوار. لذلك التَقَى الراعي- ورافقه قائدٌ من قادة الكنيسة- مع كُلِّ واحدٍ منهما على حِدة لمواجهة قضايا الزواج هذه بالحق الذي أعلَّنه لنا يسوع.

جَلَسَ القسُّ يعقوب مع كُلِّ من سامي وزَوْجَتِهِ، سارة، لِيَتَحَدَّثَ معهما عن زواجهما والتحدّيات التي يواجهانها. كانت سارة تذبذب تحت قيادة سامي المُستبدِّة. وقد شَعَرَ القسُّ بأنَّ سامي لَمْ يَكُنْ مثلاً صالحاً للزوج الذي يُحِبُّ زَوْجَتَهُ كما يُحِبُّ المسيحُ الكنيسةَ، لذا احتاج إلى التوقُّف عن الخدمة من أجلِّ إصلاح زواجه.

أَمَّا في ما يخصُّ رياض، فقد رآه القسُّ هاني مَرَّةً وهو يَتَنَاوَلُ طعامَ الغداء في مطعمٍ مع امرأةٍ لَمْ تَكُنْ زَوْجَتَهُ، لذا طَلَبَ من مجموعةٍ صغيرةٍ من قادة الكنيسة أَنْ تنضمَّ إليه للاستفسار من رياض عن الموضوع. أَصَرَ رياض

على عدم وجود أيٍّ أَمْرٍ خارجِ المألوفِ مع تلكِ المرأة. وقد بَرَّرَ أفعالهَ بأنَّه كان يُشارِكها بالأخبارِ السارةِ عن يسوع. إِلَّا أَنَّ زَوْجَتَهُ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّهَما كانا يتناولان طعامَ الغذاءِ معًا. أَخْبَرَ القسُّ هاني رِياضَ أَنَّه غير مقبولٍ أَنْ يَتَصَرَّفَ بهذه الطريقةِ وبضرورة أَنْ يَعْتَرِفَ لَزَوْجَتِهِ بما فَعَلَ. أراد قَادَةُ الكنيسة أَنْ يُصَلُّوا معه وَأَنْ يُبْقُوا رِياضَ تحتِ المساءلةِ، فقد احتاج للنموِّ في القداسة والعمل على إصلاح ذاته قَبْلَ أَنْ يَتِمَكَّنَ من الاستمرار في دوره بصفته خادماً في الكنيسة. كان القسُّ هاني على استعدادٍ كاملٍ للوقوف إلى جانبه ومُساعدته مع زَوْجَتِهِ لتقوية زواجهما.

استمَعَ سامي إلى القسِّ يعقوب وتَصَرَّفَ وَفَقًّا للأُمُور التي شَجَّعَهُ القسُّ عليها. التقى هو وزَوْجَتَهُ مع أشخاصٍ آخَرِينَ مِنْ أَجْلِ الحصولِ على المشورة الزوجية والخضوع للمساءلة، واعترفَ بخطيئته وتَوَاضَعَ. أَمَّا رِياضُ، فقد رَفَضَ إخبارَ زَوْجَتِهِ وهرب ببساطةٍ إلى كنيسةٍ أُخْرَى، وهو لا يَرِغُبُ في التوبة عن الخطيئة في حياته. استردَّ سامي خِدْمَتَهُ، وهو يقود اليوم فريقَ خِدْمَتِهِ. بينما انقطع الاتصال ما بين رِياضَ من جهة، والقسُّ هاني والكنيسة من جهةٍ أُخْرَى، وَهُم لَا يَعْرِفُونَ إِنْ كَانَ ما يزال تابِعاً للربِّ يسوع أم لا.

ضرورة القداسة في الجيل الأول

كانت كِلتا الحالتان صعبة؛ فَصَعُبَ أَنْ نُواجهَ الخطيئة التي نلاحظُها في أشخاصٍ آخَرِينَ، لكنَّنا نَفْعَلُ ذلكَ لأنَّنا نهتمُّ اهتماماً شديداً بالقداسة وبكرامة اسم المسيح، فنحن نُحِبُّ الذين نُتلمِذهم ونقودهم بِمَحَبَّةٍ الأب أو الأُمُّ لطفلهما.

شَعَرَ الرسول بولس بِالْمَوَدَّةِ نَفْسَهَا نحو تيموثاوس. على الرغم من أَنَّ الرسول بولس لَمْ يَقْدُ بِنَفْسِهِ تيموثاوسَ إِلَى الإِيْمَانِ بيسوع (حيث آمَنَ تيموثاوسُ بيسوع بواسطة والدته وَجَدَتْه، كما وَرَدَ فِي 2 تيموثاوس 1: 5)، فَإِنَّ الرسول بولس قام بتلمذته والخدمة معه على مدى سنوات. كَتَبَ الرسول بولس في المراحل الأخيرة من حياته رسائلَ تشجيعٍ لتيموثاوس بهدف إرشاد تيموثاوس في الخدمة، فَكَتَبَ فِي رسالته الأولى إِلَى تيموثاوس قائلاً له: «إِلَى تيموثاوس، الابنِ الصَّريحِ فِي الإِيْمَانِ» (1 تيموثاوس 2: 1). كما كَتَبَ الرسول بولس في رسالته الثانية إِلَى تيموثاوس: «إِلَى تيموثاوس الابنِ الحَبِيبِ» (2 تيموثاوس 1: 2). تَمَيَّزَتْ علاقة الرسول بولس بتيموثاوس بالعمق والمَحَبَّة، فقد أَحَبَّ تيموثاوسَ كما يُحِبُّ الأبُّ ابْنَه.

كان الرسول بولس يَمْتَلِكُ المَحَبَّةَ الأبَوِيَّةَ نَفْسَهَا لجميع الذين تَلَمَّذَهُم، فَكَتَبَ إِلَى كنيسة كورنثوس:

«لَيْسَ لِي أَحْجَلُكُمْ أَكْتُبُ بِهِذَا، بَلْ كَأَوْلَادِي الأَحِبَّاءِ أَنْذِرْكُمْ. لَأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لَكُمْ رَبَّوَاتٌ مِنَ المُرْشِدِينَ فِي المَسِيحِ، لَكِنْ لَيْسَ آبَاءٌ كَثِيرُونَ. لِأَنِّي أَنَا وَلَدْتُكُمْ فِي المَسِيحِ يَسُوعَ بِالإِنْجِيلِ. فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي. لِذَلِكَ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ تيموثاوسَ، الَّذِي هُوَ ابْنِي الحَبِيبُ وَالْأَمِينُ فِي الرَّبِّ، الَّذِي يُذَكِّرُكُمْ بِطُرُقِي فِي المَسِيحِ كَمَا أَعْلَمُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فِي كُلِّ كَنِيسَةٍ» (1 كورنثوس 4: 14-17).

عانت الكنيسة في كورنثوس من مشكلاتٍ كثيرة؛ فكانت بين شَعْبِهَا مُخَاصَمَاتٌ، وتغاضوا عن الخطايا الجنسيَّة المخلجة وأساءوا استخدام المواهب الروحيَّة وحوَّلُوها لمجدهم الشخصي، حتَّى إِنَّهُمْ كانوا يسكرون في

أثناء العشاء الربَّانيِّ في الكنيسة. ورغم ذلك، أَحَبَّهُم الرسولُ بولسُ إذ كانوا بمثابة أَوْلَادِهِ الْأَحِبَّاءِ، وقد كَتَبَ ليس لكي يُخَجِّلَهُمْ، بل لِيُحَذِّرَهُمْ، فكان شَوْقُ قَلْبِهِ قِدَاسَتَهُمْ. احتلَّ أَهْلُ كورنثوس مكانةً فريدةً في قَلْبِ الرَسُولِ بولس لأنَّه كان أباهم الروحي، فبواسطة خِدْمَتِهِ، آمَنُوا بِالرَّبِّ يَسُوعَ (راجع أعمال الرسل الأصحاح 18). ولأنَّه كان أباهم في الإيمان، اهتَمَّ بعمقٍ بهذا الجيل الأول من الْمُؤْمِنِينَ.

وبناءً على ذلك، كان الرسولُ بولس على استعدادٍ للكتابة عن مواضيع صعبة، وعندما تكلَّم عن الانقسامات التي بينهم، كَتَبَ: «وَأَنَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيَّيْنِ، بَلْ كَجَسَدِيَّيْنِ كَأَطْفَالٍ فِي الْمَسِيحِ» (1 كورنثوس 3: 1). وعندما واجههم بالخطيئة الجنسيَّة المُسْتَهْجَنَةِ حتَّى بين الأمم؛ قال لهم: «أَفَأَنْتُمْ مُنْتَفِخُونَ وَبِالْحَرِيِّ لَمْ تَتَوَخَّأُوا» (1 كورنثوس 5: 1 و2).

وَنَجِدُ مَرَّةً أُخْرَى حَقِيقَةَ قَلْبِ الرَسُولِ بولس نحو الكنائس في 2 كورنثوس 1: 4-2، حيث يقول:

«وَلَكِنِّي جَزَمْتُ بِهَذَا فِي نَفْسِي أَنْ لَا آتِيَ إِلَيْكُمْ أَيْضًا فِي حُزْنٍ. لِأَنَّهُ إِنْ كُنْتُ أُحْزِنُكُمْ أَنَا، فَمَنْ هُوَ الَّذِي يُفْرِحُنِي إِلَّا الَّذِي أَحْزَنْتُهُ؟ وَكَتَبْتُ لَكُمْ هَذَا عَيْنَهُ حَتَّى إِذَا جِئْتُ لَا يَكُونُ لِي حُزْنٌ مِنَ الَّذِينَ كَانَ يَجِبُ أَنْ أَفْرَحَ بِهِمْ، وَاثِقًا بِجَمِيعِهِمْ أَنَّ فَرَحِي هُوَ فَرَحُ جَمِيعِهِمْ. لِأَنِّي مِنْ حُزْنٍ كَثِيرٍ وَكَاتِبَةٍ قَلْبٍ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِدُمُوعٍ كَثِيرَةٍ، لَا لِكَيْ تَحْزَنُوا، بَلْ لِكَيْ تَعْرِفُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي عِنْدِي وَلَا سِيَّمَا مِنْ نَحْوِكُمْ.»

لَمْ يَزْعَبِ الرَسُولُ بولس في أَنْ يُسَبِّبَ لَهُمُ الأَلَمَ عندَ زيارته لَهُم، وَلَكِنَّهُ، مِنْ أَجْلِ قُدَاسَتِهِمْ، كَانَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلتَّكَلُّمِ بِأَسْلُوبٍ حَازِمٍ. حَدَّثَتْ هَذِهِ الْحَوَارِثُ الصَّعْبَةَ بِدَافِعِ المَحَبَّةِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي وَسْطِ كِتَابَاتِهِ الَّتِي رَافَقَهَا الْحُزْنُ وَالدَّمُوعُ. وَقَدْ حَمَلَ الرَسُولُ بولس فِي قَلْبِهِ الأَلَمَ وَالمَحَبَّةَ نَفْسَيْهِمَا لِجَمِيعِ الكَنَائِسِ، فَكَتَبَ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةِ 4: 19 الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ: «يَا أَوْلَادِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ».

اشْتَقَ الرَسُولُ بولس لِرُؤْيَا المَسِيحِ مُتَجَلِّيًا فِي الْكَنِيسَةِ لِيَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ قَدِيسِينَ كَمَا أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ قَدُّوسَ، وَلِيَصِيرُوا مُشَابِهِينَ لِيَسُوعَ. وَأَنْ يَقِفُوا ضِدَّ الخَطِيئَةِ بَدَلًا مِنَ التَّسَاهُلِ مَعَهَا. وَأَنْ يَكُونُوا قَدِيسِينَ حَقًّا لَا أَنْ يَتَكَلَّمُوا عَنِ الْقُدَاسَةِ فَقَطْ. إِنَّ الرَسُولَ بولس لَمْ يَكْتُبْ فَقَطْ بِأَسْلُوبٍ حَازِمٍ دَاعِيًا الْكَنَائِسَ إِلَى الْقُدَاسَةِ، بَلْ هُوَ أَيْضًا عَاشٍ وَفَقَّاءٌ لَتَعَالِيمِهِ، فَهُوَ نَفْسُهُ كَانَ مِثَالًا لَهُم، فَقَالَ لِأَهْلِ كُورِنْثُوسَ: «فَاطْلُبْ إِلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي» (1 كُورِنْثُوسَ 4: 16).

توسيع الرؤية من الجيل الأول إلى الثالث

فِي دَعْوَةِ الرَسُولِ بولس هَذِهِ إِلَى التَّمَثُّلِ بِهِ، بَدَأَ الرَسُولُ فِي تَوْسِيعِ رُؤْيَا مُؤْمِنِي الْجِيلِ الْأَوَّلِ. نَعَمْ، تَمَثَّلَ مُؤْمِنُو الْجِيلِ الْأَوَّلِ بِالرَسُولِ بولس فِي الْقُدَاسَةِ وَأَيْضًا فِي دَعْوَتِهِ لِلآخَرِينَ لِلْعِيشِ بِقُدَاسَةٍ. أَصْبَحَ الرَسُولُ بولس الْأَبَ الرُّوحِيَّ لِأَهْلِ كُورِنْثُوسَ بِوَاسِطَةِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ، وَأَرَادَهُمُ الْآنَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهِ بِأَنْ يَصِيرُوا آبَاءً وَأُمَّهَاتٍ لِآخَرِينَ بِوَاسِطَةِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ؛ أَيْ أَنْ يَصِيرُوا آبَاءً وَأُمَّهَاتٍ يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُحْتَدَى بِهِمْ. سَعَى الرَسُولُ بولس مِنْ أَجْلِ قُدَاسَةِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُورِنْثُوسَ، مَعَ سَعْيِهِ فِي

الوقت نَفْسُهُ لِنَمُوَّ الْكَنِيسَةِ عِبْرَ الْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ. وَقَدْ أَرْسَلَ الرَّسُولُ بُولُسَ تِيموثَاوَسَ إِلَيْهِمْ لِيَذْكُرَهُمْ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا (أَيُّ بُولُسِ الرَّسُولِ) فِي الْمَسِيحِ لَيْسَ فَقَطْ لِيَتَّبِعُوهَا، بَلْ أَيْضًا لِكَيْ يُعَلِّمُوهَا لِآخَرِينَ. كَانَ يَجْدُرُ بِهِمْ أَنْ يَتِمَثَّلُوا بِطَاعَةِ الرَّسُولِ بُولُسِ بِوَاسِطَةِ نَمُوِّهِمْ فِي الْقُدَّاسَةِ وَتَعْلِيمِ الْآخَرِينَ أَنْ يَنِمُوا هُمْ بِدَوْرِهِمْ فِي الْقُدَّاسَةِ.

جاء زَيْدٌ إِلَى الْكَنِيسَةِ مُتَشَوِّقًا لِلخِدْمَةِ، وَسَاعَدَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ الْمَتَاحَةِ بِكُلِّ سُرُورٍ، لَكِنَّهُ رَغَبَ رَغْبَةً شَدِيدَةً فِي زِيَارَةِ اللَّاجئينِ السُّورِيِّينَ. نَشَأَ زَيْدٌ مُحَاطًا بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَكَانٍ سَكَنَهُ وَفِي مَدْرَسَتِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ مِنْ قَبْلُ فِي التَّحَدُّثِ مَعَهُمْ عَنْ مَحَبَّةِ يَسُوعَ؛ وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ السَّبِيلَ لِذَلِكَ.

جَرَى تَشْجِيعُ يَوْسُفَ-الَّذِي كَانَ يَزُورُ اللَّاجئينِ السُّورِيِّينَ عَلَى مَدَى سَنَوَاتٍ كَثِيرَةٍ- عَلَى مُقَابَلَةِ زَيْدٍ وَالتَّعَرُّفِ عَلَى شَغْفِهِ. لَمْ يَكُنْ زَيْدٌ يَمْتَلِكُ أَيَّةَ خُبْرَةٍ فِي الْخِدْمَةِ لَكِنَّهُ امْتَلَكَ الدَّافِعَ الْمُنَاسِبَ. تَذَكَّرَ يَوْسُفُ نَوَاجِي الشَّبهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَيْدٍ. فَقَدْ آمَنَ يَوْسُفُ بِيَسُوعَ وَهُوَ فِي سِنِّ 14 عَامًا لَكِنَّهُ نَادِرًا مَا شَارَكَ الْأَخْبَارَ السَّارَةَ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحِيطِينَ بِهِ فِي أَثْنَاءِ سَنَوَاتِ إِيْمَانِهِ الْأَوَّلَى، وَقَدْ تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى سِنِّ 19 عَامًا وَابْتَدَأَ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَدِرَاسَتِهِ. غَيَّرَ اللَّهُ حَيَاةَ يَوْسُفَ وَأَعْطَاهُ شَغْفًا لِلْوُصُولِ بِالْإِنْجِيلِ إِلَى الْآخَرِينَ، لَكِنَّ يَوْسُفَ افْتَقَرَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ الْمُنَاسِبَةِ لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ.

وَقَدْ أَدَّى افْتِقَارُ يَوْسُفَ لِلْمَعْرِفَةِ الْمُنَاسِبَةِ إِلَى جَعْلِهِ يَطْلُبُ مِنْ أَبِي دَانِيَالٍ، وَهُوَ رَجُلٌ أَكْبَرُ سِنًّا يَمْتَلِكُ الْخُبْرَةَ فِي التَّلْمِذَةِ، أَنْ يُعَلِّمَهُ كَيْفِيَّةَ مُشَارَكَةِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ وَتَلْمِذَةِ الْآخَرِينَ. لَمْ تَكُنْ لَدَى يَوْسُفَ أَيَّةُ خُبْرَةٍ فِي التَّبَشِيرِ وَالتَّلْمِذَةِ، لَكِنَّ أَبَا دَانِيَالٍ رَأَى إِمْكَانِيَّةَ يَوْسُفِ الْمَتَمَثِّلَةِ فِي شَغْفِهِ لِإِطَاعَةِ وَصِيَّةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمُخْتَصَّةَ بِتَلْمِذَةِ الْأُمَمِ. اقْتَرَحَ أَبُو دَانِيَالٍ عَلَى

يوسف أن يذهب إلى الجامعة لمُشاركة رسالة الإنجيل مع الطّلبة، وطلّب من يوسف أن يصرّف الوقت في الصلاة بينما يتحدثان مع الآخرين. وفي كلّ مرّة ذهب فيها أبو دانيال مع يوسف، كان يوسف يُصلي بصمتٍ بينما كان أبو دانيال يبدأ بالحديث مع الآخرين ويُعرّف عن نفسيهما. كان أبو دانيال يطرح الأسئلة على الطالب الذي كانا يتحدثان معه ليتعرّفا عليه، ومن ثمّ يستخدم كلماتٍ مُملّحةً للدخول في مواضيع روحية، ثمّ يتحدث عن يسوع ويُشارك رسالة الإنجيل.

كان أبو دانيال شغوفًا بمُشاركة الأخبار السارة عن يسوع المسيح مع طلبة الجامعة، لأنّه شخصيًا آمنَ بالمسيح عندما كان طالبًا جامعيًا، ولم يكن الإيمانُ باللّه غريبًا عليه، لكنّه اعتقد أنّه يحتاج إلى القيام بأعمالٍ صالحةٍ كافيةٍ حتّى ينال قبول اللّه. كان أبو دانيال يبلغُ ثمانية عشر عامًا عندما أصغى بصدقٍ إلى رسالة النعمة وفهمها؛ تلك الرسالة التي تقول إنّ اللّه يقبلنا ليس بناءً على أعمالنا الصالحة، بل بناءً على موت يسوع المسيح وقيامته من بين الأموات. اعتقدَ أبو دانيال دائمًا أنّه يحتاج أن يكونَ صالحًا بما يكفي من أجل أن يحقّ له التمسك بيسوع، لكنّه أدرك في ما بعد أن الربّ يسوع هو من كان يُمسك به وأنّه لا أحد يستطيع أن ينتزعه من يد الربّ يسوع.

بعد ذلك، انضمَّ أبو دانيال إلى مجموعةٍ لدراسة الكتاب المقدّس يقودها رامي، وهو خادمٌ في الكنيسة. علّم رامي أبا دانيال كيفية دراسة الكتاب المقدّس، كما طلب منه مرافقته عندما كان يُشارك الأخبار السارة عن الإنجيل مع الآخرين، وعلّمه كيفية مُشاركة الأخبار السارة بطريقةٍ مفهومة.

وَبَعْدَ مَرُورِ سِنَوَاتٍ عَدَّةٍ، قَامَ أَبُو دَانِيَالُ بِفِعْلِ الْأَمْرِ نَفْسَهُ مَعَ يَوْسُفَ. شَارَكَ مَعَ طُلَّابٍ عَنِ الْمَسِيحِ أَمَامَ يَوْسُفَ عَدَدًا مِنَ الْمَرَّاتِ، لَذَا قَرَّرَ أَنْ يَقُولَ لِيَوْسُفَ: «هَذِهِ الْمَرَّةَ، سَتَبْدَأُ الْحَوَارَ بِإِلْقَاءِ التَّحِيَّةِ عَلَى الشَّخْصِ الَّذِي سَنَلْتَقِي بِهِ وَتَطْرَحُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْأَسْئَلَةِ لِلتَّعَارُفِ. وَمِنْ ثَمَّ، سَأَتَابِعُ الْحَدِيثَ مَعَهُ، لِأَجْدِ فُرْصَةً لِمُشَارَكَةِ الْإِنْجِيلِ». وَبَعْدَ عَدَدٍ مِنَ اللَّقَاءَاتِ مَعَ الطَّلَبَةِ قَالَ أَبُو دَانِيَالُ لِيَوْسُفَ: «حَانَ الْوَقْتُ لَكَ أَصْلِي أَنَا بَيْنَمَا تَقُومُ أَنْتَ بِمُشَارَكَةِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ».

شَعَرَ يَوْسُفَ بِالتَّوَتُّرِ، لَكِنَّهُ كَانَ قَدْ رَأَى أَبَا دَانِيَالٍ وَسَمِعَهُ وَهُوَ يُشَارِكُ الْإِنْجِيلَ مَرَّاتٍ عَدَّةً، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ فِعْلَ ذَلِكَ. كَانَ يَوْسُفَ وَأَبُو دَانِيَالُ يَتَحَدَّثَانِ مَعًا، بَعْدَ الْانْتِهَاءِ مِنَ الْحَدِيثِ مَعَ أَحَدِ الْأَشْخَاصِ، لِمُرَاجَعَةِ مَا حَدَّثَ. فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، كَانَتْ لَدَى يَوْسُفَ أَسْئَلَةٌ حَوْلَ سَبَبِ مُشَارَكَةِ أَبِي دَانِيَالٍ بِأُمُورٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ طَرَحِهِ أَسْئَلَةً مُعَيَّنَةٍ. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ، كَانَ أَبُو دَانِيَالُ يَشْرَحُ لِيَوْسُفَ وَيُعَلِّمُهُ وَيُشَجِّعُهُ، حَتَّى جَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي قَالَ فِيهِ لِيَوْسُفَ: «أُرِيدُكَ غَدًا أَنْ تُقَابِلَ مَزِيدًا مِنَ الطَّلَبَةِ، لَكِنِّي لَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ. خُذْ مَعَكَ أَحَدَ الْمُؤْمِنِينَ الْجَدِيدِ». وَهَكَذَا، ابْتَدَأَ يَوْسُفَ بِمُشَارَكَةِ الْأَخْبَارِ السَّارَةِ عَنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ إِضَافَةً إِلَى تَدْرِيبِ الْآخَرِينَ عَلَى الْقِيَامِ بِذَلِكَ أَيْضًا.

لِذَلِكَ، عِنْدَمَا أَرَادَ زَيْدٌ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفِيَّةَ مُشَارَكَةِ الْأَخْبَارِ السَّارَةِ مَعَ جِبْرَانِهِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعَ الْكَثِيرِ مِنَ اللَّاجئينِ السُّورِيِّينَ الْقَادِمِينَ إِلَى الْبَلَدِ، كَانَ يَوْسُفَ مُسْتَعِدًّا لِأَخْذِهِ مَعَهُ وَلِتَدْرِيبِهِ. لَمْ يُشَارِكْ زَيْدٌ كَثِيرًا فِي الْبَدَايَةِ، بَلِ اسْتَمَعَ وَصَلَّى وَتَعَلَّمَ. وَلَكِنَّهُ شَرَعَانَ مَا ابْتَدَأَ بِالْمُشَارَكَةِ أَيْضًا. كَانَ يَوْسُفَ وَزَيْدٌ شَرِيكَيْنِ رَائِعَيْنِ؛ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُشَارِكُ قِصَّةً مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَخْدِمُ الْآخَرُ هَذِهِ الْقِصَّةَ لِيَنْتَقِلَ إِلَى قِصَّةٍ أُخْرَى،

فاكتشفّا أنّهما معًا يستطيعان مشاركة الأخبار السارة على نحوٍ أفضل ممّا لو كانا يَفْعَلان ذلك مُنفصلين.

لَمْ يَحْدُثْ لِقَاءٌ ما بين زيدٍ وأبي دانيال، كما لَمْ يَتَعَرَّفْ يوسفُ على رامي. ورغم ذلك، نَجِدُ سلسلةً واضحةً من التلمذة تربط ما بين رامي وأبي دانيال ويوسف وزيد، وتمتدُّ هذه السلسلة إلى اليوم حيث إنهم مستمرُّون في تلمذة أشخاصٍ آخرين. اعتمدَ رامي (الجيل المؤسّس) منذ البداية رؤيةً مضمونها ليس فقط أن يُتَلَمَذَ أبا دانيال (الجيل الأوّل)، بل أيضًا أن يُعَلِّمَهُ كيفيةً تعليم أشخاصٍ آخرين مثل يوسف (الجيل الثاني) عن كيفية تلمذة آخرين مثل زيد (الجيل الثالث) بدورهم. لَمْ يَكُنْ تفكير رامي مُنَحَصِرًا فقط في أبي دانيال، الذي انتمى إلى الجيل التالي من المؤمنين- حيث من وَجْهَةٍ نَظَرٍ رامي، يُمَثِّلُ أبو دانيال الجيل الأوّل بَعْدَهُ- ولكنّه فَكَّرَ أيضًا في الأجيال التي ستأتي إلى يسوع بَعْدَ أبي دانيال، وفكَّرَ في أشخاصٍ مثل يوسف وزيد.

الرسول بولس وثلاثة أجيال

كان الرسول بولس يَمْتَلِكُ التركيزَ نَفْسَهُ. نَرى ذلك بوضوحٍ في رسالته الثانية إلى تيموثاوس. كَتَبَ الرسول بولس: «فَتَقَوَّ أَنْتَ يَا ابْنِي بِالنِّعْمَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدَعَهُ أَنَا سَاءَ أَمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءَ أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا» (2تيموثاوس 2: 1-2).

كما ذَكَرْتُ آنفًا، لَمْ يَقُدْ الرسولُ بولس تيموثاوسَ إلى الإيمان؛ ولكن من وَجْهَةٍ نَظَرٍ الرسول بولس، يُمَثِّلُ تيموثاوس جزءًا من الجيل الأوّل من التلاميذ الذين آمَنُوا بَعْدَ الرسول بولس (الجيل المؤسّس) وتأثَّروا مباشرةً به وتَلَمَذُوا على يديه.

قضى الرسول بولس وقتًا طويلًا في تلمذة تيموثاوس في أثناء زيارتهما معًا للكثير من المدن في مناطق فريجِيَّة وغلَاطِيَّة. بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ للرسول بولس في رؤيا الرُّجُل من مقدونيَّة، انضمَّ إليه تيموثاوس للذهاب إلى فيلبِّي حيث التقى الرسول بولس ببعض «أبناء السلام» و«بنات السلام»: ليدِّيَّة وسَجَّان فيلبِّي. وفي أثناء فترة وجودهما معًا، سَمِعَ تيموثاوس وتَعَلَّمَ أمورًا كثيرةً من الرسول بولس الذي عَلَّمَهُ في حضور شهودٍ كثيرين. لَمْ يَنفَرِدِ الرسول بولس بتيموثاوس لِيُعَلِّمَهُ إنجيل يسوع المسيح سرًّا، بل عَلَّمَ تيموثاوسَ أمام كثيرين. وهنا أيضًا نلاحظُ تركيزَ الرسول بولس على المجموعات وليس على الأفراد. لا شكَّ أَنَّ الرسول بولس رَكَزَ على شَخْصٍ واحد، أي تيموثاوس، ولكنَّه رغم ذلك حافظَ على اهتمامه بالمجموعات.

أَخْبَرَ الرسول بولس تيموثاوسَ في رسالته، أَنَّ يُودِعَ كُلَّ الأمور التي تَعَلَّمَهَا منه لدى رجالٍ أَمَناء. إِنَّ إيداعَ أَمْرٍ ما مع شَخْصٍ آخَرَ يعني أَنَّ يَضَعُ الإنسانُ شيئًا ثمينًا تحت رعاية ذلك الشخص الآخر، فنحن لا نُودِعُ عادةً الأشياءَ غير الثمينة، كما أَنَّا لا نُودِعُ شيئًا ثمينًا مع أيِّ شَخْصٍ غير موثوق به. لهذا السبب، أَخْبَرَ الرسول بولس تلميذَه تيموثاوس أَنَّهُ يحتاج إلى إيداع الأمور التي سَمِعَهَا لدى أشخاصٍ أَمَناء. لا بُدَّ أَنَّ يَكُونَنَّ مَنْ سَيَسْتَلِمُ هذا الكنزَ أَمِينًا وجديرًا بالثقة.

إِنَّ الأشخاصَ الأَمَناءَ الذين استودَعَهُم تيموثاوسُ الإنجيلَ يُشَكِّلُونَ الجيلَ الثاني، أي الذين يأتون إلى الإيمان وَيَتَعَلَّمُونَ أَنْ يطيعوا وصايا الربِّ يسوع من الجيل الأوَّل (الذي هو تيموثاوس في هذه الحالة). يجدر بهؤلاء الأشخاص في الجيل الثاني أَنْ يَكُونُوا أَمَناءَ في المَقَامِ الأوَّل، وأنَّ يَكُونُوا قادرين على تعليم الآخرين الذين يُشَكِّلُونَ الجيلَ الثالث، وهكذا تَكْتَمِلُ الحَلَقَةُ.

لو قام الرسول بولس فقط بتعليم تيموثاوس وأشخاص آخرين في الجيل الأوّل بشأن كَيْفِيَّةِ اتِّبَاعِ وصايا الربِّ يسوع، لكان نموُّ الكنيسة قد تَوَقَّفَ عند رحيلهم. لذلك، تَوَجَّبَ على الرسول بولس أن يُعَلِّمَ الجيل الأوّل ليس فقط كَيْفِيَّةِ اتِّبَاعِ وصايا الربِّ يسوع، بل أيضًا كَيْفِيَّةِ إِيْدَاعِ هذا التعليم لدى آخرين. ومع ذلك، لو اقْتَصَرَ عَمَلُ الرسول بولس على هذين الأمرين (خطوة الاتِّبَاعِ، وخطوة الإِيْدَاعِ) فقط، لكانت الكنيسة تَوَقَّفَتْ بَعْدَ الجيل الثاني (الذي تَتَلَمَّذَ على يد جيل تيموثاوس) لأنَّ الأشخاص الأُمَنَاءَ لا يَعْرِفُونَ كَيْفِيَّةَ تدريب الآخرين. أمَّا إذا استطاع الرسول بولس أن يُعَلِّمَ تيموثاوس الأمر الثالث، الذي هو كَيْفِيَّةُ تعليم الأشخاص الأُمَنَاءَ (خطوة التعليم) عن كَيْفِيَّةِ تعليم الآخرين وتدريبهم أن يطيعوا كُلَّ وصايا الربِّ يسوع وأن يُتَلَمَّذَوْهُمْ، فلن تتوقَّفَ سلسلة التلمذة في هذه الحالة؛ إذ سَيَعْرِفُ الأشخاص الأُمَنَاءَ من الجيل الثاني (الذين أودَعَ جيل تيموثاوس) كَيْفِيَّةَ تعليم الآخرين أن يُعَلِّمُوا آخرين بَعْدَهُمْ. وسَيَعْرِفُ الآخرون كَيْفِيَّةَ تعليم الآخرين أن يُعَلِّمُوا آخرين. وبهذه الطريقة، رَكَزَ بولس الرسول ليس فقط على تيموثاوس (أي الجيل الأوّل الذي كُتِبَتْ له الرسالة)، بل رَكَزَ أيضًا على الجيل الثاني (أي الأشخاص الأُمَنَاءَ الذين علَّمَهُم تيموثاوس)، وعلى الجيل الثالث (الآخرين الذين كانوا سَيَتَعَلَّمُونَ من الأُمَنَاءَ في الجيل الثاني). علَّمَ الرسول بولس تيموثاوس بأسلوبٍ من شأنه أن يُنتِجَ نموًّا يَمْتَدُّ (من الجيل المُؤَسَّس) إلى ثلاثة أجيالٍ تاليةٍ وما بَعْدَهَا.

إنَّ هذا النموَّ عَبْرَ الأجيال لا يَطَالَ فقط الأجيال الجسديَّة - أي الانتقال من الوالد إلى الابن إلى الحفيد - بل يَطَالَ أيضًا الأجيال الروحيَّة. ومِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ وتيرة التضاعف أَسْرَعُ بكثيرٍ من الأجيال الجسديَّة؛ فقد يمتدُّ الجيل الجسديُّ على مدى 20 أو 30 عامًا، في حين أنَّ امتدادَ الجيل

الروحي أَقْصَرُ بكثيرٍ، إذ قد يمتدُّ عامًا أو عامين فقط أو ربَّما حتَّى مُدَّةَ أَشْهُرٍ قليلة.

من الجيل الأوَّل إلى الثالث

كيف نلاحظُ هذا النموَّ من الجيل الأوَّل وصولًا إلى الجيل الثالث وما بَعْدَهُ؟ ما الأمور التي يجدر بنا القيام بها بينما نُتَلَمِّدُ الجيل الأوَّل لنُعَيِّنَ النموَّ عَبْرَ الأجيال؟

بادئ ذي بدء، نحتاج إلى أن نُقَرِّرَ في أفكارنا وفي قلوبنا عدم محاولة تجميع مزيدٍ من التلاميذ تحت قيادتنا. يَتَطَلَّبُ التَّطَلُّعُ إلى الجيل الثالث أن نَرْغَبَ رَغْبَةً شديدةً في رؤية تلاميذ يتجاوزوننا؛ أي تلاميذ يَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُونَ ويثمرون أَكْثَرَ مِنَّا.

قَبْلَ عامٍ تقريبًا من حلول جائحة كورونا، لاحظَ راعٍ في مؤتمرٍ للقساوسة الإنجيليين أَنَّهُ يُوجَدُ بينهم فقط قَسَّيْنِ ما دُونَ الأربعين عامًا. ومنذ ذلك الوقت ولغاية الآن، لَمْ يَتَغَيَّرْ شيءٌ من هذا الواقع سوى تَقَدُّمِ القساوسة في السِّنِّ. عمومًا، فإننا نصطدم بغياب الدافع في تمكين القادة الأصغر سنًا بسبب خوف القساوسة من خسارة نفوذهم. عندما جرى حُثُّ أَحَدِ القساوسة على تنمية خادمٍ أَصْغَرَ سنًّا منه لِيُسَاعِدَ في الخدمة، أَجاب حرفيًّا: «وَأَجْعَلْهُ يأخذ مكاني؟!».

أَمَّا لِمَنْ هو مُقْتَنِعٌ بضرورة أن ينمو التلاميذ أَكْثَرَ من مُعَلِّمهم وأن يَقُومُوا بأُمُورٍ أَعْظَمَ منه (راجعُ يوحنا 14: 12)، فَتَطَرَّحُ السُّؤَالُ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ إنشاءِ قادةٍ جُدِّدٍ ليس فقط يقودون آخَرِينَ (خطوة الاتِّبَاعِ)، بل أَيضًا

يُودِعُونَ الْحَقَّ بِدَوْرِهِمْ فِي قَادَةِ جُذْدٍ أَمْنَاءٍ (خطوة الإيداع) لِيُذَرِّبُوا قَادَةَ جُذْدًا آخَرِينَ (خطوة التعليم) وهكذا دواليك. (راجع العنوان «الرسول بولس وثلاثة أجيال»، المذكور آنفاً قَبْلَ بضع فقرات).

بواسطة دراسة أسلوب يسوع في تلمذة الاثني عشر تلميذاً، نستطيع أن نُحَدِّدَ أَرْبَعَ خطواتٍ رَئِيسَةٍ فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ: أَوَّلًا، نَكُونُ مِثَالًا لَهُمْ. وَثَانِيًا، يَتَّبِعُونَ مِثَالَنَا. وَثَالِثًا، نُطْلِقُهُمْ فِي الْخِدْمَةِ. وَرَابِعًا، نُشْرِفُ عَلَيْهِمْ وَنُشَجِّعُهُمْ. نَجِدُ هَذِهِ الْخُطُوبَاتِ الْأَرْبَعَ فِي قِصَّةِ أَبِي دَانِيَالِ وَيُوسُفَ الَّتِي قَرَأْنَاهَا فِي جِزءٍ سَابِقٍ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ.

قَبْلَ أَنْ يَتَوَقَّعَ أَبُو دَانِيَالِ مِنْ يُوسُفَ أَنْ يُشَارِكَ الْإِنْجِيلَ مَعَ الْآخَرِينَ، جَعَلَهُ يَرَى كَيْفِيَّةَ الْقِيَامِ بِذَلِكَ. عَاشَ أَبُو دَانِيَالِ أَمَامَهُ مِثَالًا لِلْكِرَازَةِ الْجَرِيئَةِ الْمُحِبَّةِ الْحَكِيمَةِ. اعْتَمَدَ يُسُوعُ الْأُسْلُوبَ نَفْسَهُ لِيُعَلِّمَ تَلَامِيذَهُ كَيْفِيَّةَ الْخِدْمَةِ مَعَ الْآخَرِينَ. يُخْبِرُنَا الْبَشِيرُ مَتَّى مَا يَلِي: «وَكَانَ يُسُوعُ يَطُوفُ الْمُدُنَ كُلَّهَا وَالْقُرَى يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهَا، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ» (متَّى 9: 35). عَلَّمَ يُسُوعُ وَكَرَّزَ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ وَشَفَى الْمَرْضَى. كَانَ يُسُوعُ مِثَالًا عَمَّا يَعْنِيهِ أَنْ تُحِبَّ الْآخَرِينَ بِوَسْطَةِ خِدْمَتِهِمْ وَالْكِرَازَةِ بِالْأَخْبَارِ السَّارَةِ.

بَعْدَ بضع آيَاتٍ فِي الْفَقْرَةِ نَفْسِهَا، نَقْرَأُ أَنَّ الرَّبَّ يُسُوعَ أَرْسَلَ تَلَامِيذَهُ الْإِثْنَيْ عَشَرَ، وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرُزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. اشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ» (متَّى 10: 7-8). كَيْفَ عَرَفَ تَلَامِيذُ الرَّبِّ يُسُوعَ كَيْفِيَّةَ الْقِيَامِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ؟ وَكَيْفَ عَرَفُوا عَنْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ الَّذِي كَانُوا سَيَكْرِزُونَ بِهِ؟ وَكَيْفَ عَرَفُوا عَنْ كَيْفِيَّةِ الشِّفَاءِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَإِخْرَاجِ

الشياطين؟ عَرَفُوا كَيْفِيَّةَ الْقِيَامِ بِكُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُعَايِنُونَ يَسُوعَ وَهُوَ يَقُومُ بِهَا.

عندما نَتَلَمَّذُ الْآخَرِينَ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَعَلَّمُونَ بَيْنَمَا يُرَاقِبُونَا- يَتَعَرَّفُ كَثِيرُونَ عَلَى كَيْفِيَّةِ الْقِيَامِ بِالْخِدْمَةِ فَقَطْ بِمُرَاقَبَةِ الْآخَرِينَ فِي أَثْنَاءِ قِيَامِهِمْ بِهَا- وَلِذَلِكَ سَيُصَلُّونَ بِالطَّرِيقَةِ نَفْسَهَا الَّتِي نُصَلِّي بِهَا، وَسَيَتَعَرَّفُونَ عَلَى كَيْفِيَّةِ الْمُبَادَرَةِ إِلَى اكْتِشَافِ الْحَاجَاتِ بِوَسْطَةِ مُشَاهَدَتِنَا وَنَحْنُ نَفْعَلُ ذَلِكَ. سَيُشَارِكُ التَّلَامِيذُ مَعَ الْآخَرِينَ الْأُمُورَ الَّتِي يَسْمَعُونَهَا مِنَّا فِي أَثْنَاءِ مَشَارَكَاتِنَا، وَسَيَتَعَلَّمُونَ كَيْفِيَّةَ تَوْضِيحِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ إِلَى أَشْخَاصٍ مُخْتَلِفِينَ بِوَسْطَةِ الْمِثَالِ الَّتِي قَدَّمْنَاهُ لَهُمْ. يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ دَائِمًا، وَمِنْذُ بَدَايَةِ تَدْرِيبِنَا لِلْمُؤْمِنِينَ الْجَدِيدِ أَنَّهُمْ يُرَاقِبُونَا وَيَتَعَلَّمُونَ مِنَّا. عِنْدَمَا أَرَادَ يَوْسُفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفِيَّةَ مُشَارَكَةِ الْإِنْجِيلِ، لَمْ يُعْطِهِ أَبُو دَانِيَالُ كِتَابًا لِيَقْرَأَهُ أَوْ تَعْلِيمَاتٍ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ الْمُشَارَكَةِ، إِنَّمَا اصْطَحَبَهُ مَعَهُ لِيَسْتَمِعَ وَيَتَعَلَّمَ مَضْمُونِ الْمُشَارَكَةِ وَأَسَالِيِبِهَا.

إِنَّ أَخَذَ هَذَا الْأَمْرَ بَعِينَ الْعَتَبَارِ مِنْذُ الْبَدَايَةِ هُوَ أَمْرٌ مَهْمٌ، حَتَّى قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ الشَّخْصُ مُؤْمِنًا. لَنَتَذَكَّرَ حَقِيقَةَ أَنَّنَا نَعْلَمُهُمْ مِنْذُ بَدَايَةِ الرِّحْلَةِ أَنْ يُطِيعُوا كَلِمَةَ اللَّهِ، وَمِنْ ثَمَّ، نُسَجِّعُهُمْ عَلَى مُشَارَكَةِ الْأُمُورِ الَّتِي يَتَعَلَّمُونَهَا مَعَ الْآخَرِينَ، شَرْطًا أَنْ يَشَارِكُوهَا بِحِكْمَةٍ. لَذَا، يَجْدُرُ بِنَا فِي أَثْنَاءِ مُشَارَكَاتِنَا مَعَ شَخْصٍ مَا، أَنْ نُعَبِّرَ انْتِبَاهَنَا إِلَى الْأَشْخَاصِ الْآخَرِينَ فِي بَيْتِهِ، وَالْأَشْخَاصِ ضِمْنَ شَبَكَةِ عِلَاقَاتِهِ، وَأَنْ نُفَكِّرَ فِي كَيْفِيَّةِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِلْأُمُورِ الَّتِي نَتَكَلَّمُ عَنْهَا وَأَنْ نُفَكِّرَ فِي الْأَسْلُوبِ الَّتِي نَعْتَمِدُهَا.

مَثَلًا، قَدْ نَلْتَقِي بِشَخْصٍ نَشَأَ فِي مَنطِقَةٍ سَكْنِيَّةٍ يُوجَدُ فِيهَا مَسِيحِيُّونَ. وَمِنْ ثَمَّ، مُمَكِّنْ أَنْ هَذَا الشَّخْصُ قَدْ اعْتَادَ عَلَى سَمَاعِ الْمَسِيحِيِّينَ وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ عَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِذَلِكَ حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ مُؤْمِنًا، لَنْ يَشْعُرَ

بالانزعاج عندما يستمع إلينا فيما نُصَلِّي إلى الربِّ يسوع أو عندما نُشير إليه على أنّه ابنُ الله. ولكنّ ماذا عن أنسابه الذين نشأوا في القرية التي لا يُوجدُ فيها كنيسة؟ ربّما لم يسمّوا من قبل باسم يسوع، فلن يكوّنوا على استعدادٍ لسماع أيّ كلامٍ عن كونه ابن الله أو الرب. لذا، نُشارك من البداية مع صديقنا الجديد بأسلوبٍ يستطيع تكراره بسهولة مع أنسابه في القرية. فلا نُشارك عن كونه يسوع «ابن الله»، ولكننا نُخبره عن «عيسى ابن مريم» الذي هو كلمة الله. نختار كلماتنا وعبارتنا التي توضح رسالة الإنجيل بحكمة وعناية، ليس فقط لصديقنا، ولكن أيضًا للذين سيشارك هو معهم لاحقًا. من أجل تحقيق الاستدامة وصولًا إلى الجيل الثالث، لا نُشارك فقط بأسلوبٍ يفهمه الشخص الذي نركز له، ولكننا نُشارك بأسلوبٍ يفهمه المحيطون به أيضًا. يتطلّب هذا الأمر مِنّا بذلَ مجهودٍ كبيرٍ في التعرّف على رسالة الإنجيل على نحوٍ صحيح، وفي التعرّف على ثقافة صديقنا الجديد على نحوٍ جيّد.

بعد أن أظهرنا لتلاميذنا كيفيّة اتباع الربِّ يسوع، فإننا ندعوهم إلى أن يَتَمَثَّلُوا بنا. وهو أمرٌ مُقلِّقٌ في حدّ ذاته. فهل يا ترى نعيش حياةً تَسْتَحِقُّ التمثّلَ بها؟ يجدر بنا السعي لتحقيق ذلك. كتَبَ الرسول بولس عن ضرورة أن نُمجِّدَ الله في كلّ ما نفعل وأن نسعى إلى إرضاء الجميع كما فعل هو، وهو ما يَظْهَرُ في كلماته: «غَيْرَ طَالِبٍ مَا يُوَافِقُ نَفْسِي، بَلِ الْكَثِيرِينَ، لِكَيْ يَخْلُصُوا» (1 كورنثوس 10: 33)، ثمّ يضيف بجرأة: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ» (1 كورنثوس 11: 1). بكلماتٍ أخرى، ما يقوله بولس هو: «تَمَثَّلُوا بِي. افْعَلُوا الْأُمُورَ الَّتِي تُمَجِّدُ اللَّهَ، وَأَظْهَرُوا الْمَحَبَّةَ لِلْآخَرِينَ، وَهِيَ الْأُمُورُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَقُودَهُمْ لِلخَلاصِ. هَذَا مَا أَفْعَلُهُ».

إِلَى أَيِّ مَدَى نَتَمَثَّلُ بِيَسُوعَ؟ هَلْ تُشَبِّهُ حَيَاتُنَا حَيَاتَهُ عَلَى نَحْوِ كَبِيرٍ لِدَرَجَةٍ تَجْعَلُنَا نَطْلُبُ مِنَ الْآخَرِينَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِنَا؟ عِنْدَمَا يُرْسِلُنَا الرَّبُّ يَسُوعَ، يَرِيدُ مِنَّا أَنْ نَتَمَثَّلَ بِهِ، وَعِنْدَمَا نَحْقُقُ هَذَا الْأَمْرَ، نَصِيرُ مِثَالًا لِلْآخَرِينَ. إِنْ أَرَادَ أَيُّ شَخْصٍ أَنْ يَفْهَمَ مَعْنَى اتِّبَاعِ الرَّبِّ يَسُوعَ، فَعَلَيْهِ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى حَيَاتِنَا لِيُدْرِكَ جَوْهَرَ الْأَمْرِ.

إِذَا، نَعِيشُ أَمَامَ تَلَامِيذِنَا مِثَالِ اتِّبَاعِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَخِدْمَةِ الْآخَرِينَ، وَمِنْ ثَمَّ نَدْعُوهُمْ لِلتَّمَثُّلِ بِنَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ نُطَلِّقُهُمْ إِلَى الْخِدْمَةِ الْفَعْلِيَّةِ. وَكَمَا رَأَيْنَا أَنفَاءً فِي إِنْجِيلِ مَتَّى الْأَصْحَاحِ 10، لَمْ يَقْتَصِرْ دَوْرُ التَّلَامِيذِ فَقَطْ عَلَى مُشَاهَدَةِ يَسُوعَ وَهُوَ يَخْدُمُ الْآخَرِينَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ يَسُوعَ أَعْطَاهُمْ دَوْرًا إِضَافِيًّا إِذْ أَطْلَقَهُمْ وَأَرْسَلَهُمْ لِفِعْلِ الْأَمْرِ نَفْسِهِ. يُخْبِرُنَا الْبَشِيرُ لُوقَا مَا يَلِي عَنْ يَسُوعَ: «وَدَعَا تَلَامِيذَهُ الْإِثْنَيْ عَشَرَ، وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَانًا عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ وَشِفَاءِ أَمْرَاضٍ، وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى» (لُوقَا 9: 1-2). لَاحِظُوا أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ قَدْ أَعْطَاهُمْ سُلْطَانَهُ وَزَوَّدَهُمْ بِالْقُوَّةِ وَبِكُلِّ مَا قَدْ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ إِنْجَازِ الْمَهْمَةِ الَّتِي دَعَاهُمْ إِلَيْهَا، فَقَدْ أَرَادَهُمْ أَنْ يَنْجَحُوا. لَمْ يَصِرْ يَسُوعَ عَلَى أَنْ يَكُونَ هُوَ دَائِمًا مَنْ يَشْفِي أَوْ يَعْلَمُ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَقُومَ بِالْخِدْمَةِ بِمُفْرَدِهِ. فَلَوْ قَامَ يَسُوعَ بِكُلِّ الْأُمُورِ بِنَفْسِهِ، لَمَا عَرَفَ التَّلَامِيذُ كَيْفِيَّةَ الْقِيَامِ بِالْخِدْمَةِ بَعْدَ صُعُودِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

قَالَ الرَّبُّ يَسُوعَ لِلتَّلَامِيذِ فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لِأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي» (يُوحَنَّا 14: 12). أَرَادَ يَسُوعَ لِلتَّلَامِيذِ لَيْسَ فَقَطْ أَنْ يَنْجَحُوا، بَلْ أَيْضًا أَنْ يَتَفَوَّقُوا وَأَنْ يَقُومُوا بِأَعْمَالٍ أَعْظَمَ مِنَ الَّتِي قَامَ بِهَا. هَلْ هَذَا مَوْقِفُنَا مِنَ الْجِيلِ الْقَادِمِ؟ هَلْ نَأْمَلُ أَنْ يَثْمَرَ الَّذِينَ نَتَلَمِّذُهُمْ إِثْمَارًا أَكْثَرَ مِنَّا؟

وفي نهاية المطاف، بعد أن كنّا مثلاً لتلاميذنا وشجّعناهم على التمثّل بنا وأطلقناهم في الخدمة، نبقي معهم ونقف إلى جانبهم مثل المُدرّب الذي يدعم ويُشجّع. عندما أطلق الربّ يسوع تلاميذه وأرسلهم، تابع العمل معهم لتدريبهم وتشجيعهم وتعليمهم.

تعلّمنا في الفصل الأوّل عن الدعاء والصلاة. حاول التلاميذ طرد الروح النجس من الصبي ولم يتمكّنوا. وبعد أن طرد الربّ يسوع الروح النجس، سأله التلاميذ عن سبب عجزهم، فانتَهز يسوع هذه الفرصة ليعلّمهم عن أهميّة الصلاة والصوم ليتمكّنوا القوّة على طرد ذلك الروح النجس (مرقس 9: 28-29).

أرسل الربّ يسوع تلاميذه للشفاء وإعلان اقتراب ملكوت الله في مناسبتين، وفقًا لإنجيل لوقا (لوقا 9: 1-2؛ 10: 1)، وبعد رجوعهم في كلّ مرّة، رغب في أن يُقدّم لهم الفرصة ليخبروه عمّا حدث معهم وليستمع إلى تقاريرهم، ومن ثمّ، يُقدّم لهم النصائح. بعد أن سجّل البشير لوقا لنا حادثة إرسال المسيح الاثني عشر تلميذًا، أضاف الآتي: «ولمّا رجع الرُّسل أخبروه بجميع ما فعلوا، فأخذهم وأنصرف مُنفردًا إلى موضعٍ خلاّ لمدينة تُسمّى بيت صيدا» (لوقا 9: 10).

وبعد مدّة وجيزة، أرسل سبعين تلميذًا وصرف الوقت معهم بعد عودتهم.

«فرجع السبعون بفرح قائلين: «يا ربّ، حتّى الشياطين تخضع لنا باسمك!». فقال لهم: «رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء. ها أنا أعطيتكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكلّ قوّة العدو، ولا

يَضْرُكُمُ شَيْءٌ. وَلَكِنْ لَا تَفْرَحُوا بِهَذَا: أَنَّ الْأَزْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرْبِ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ» (لوقا 10: 17-20).

شَعَرَ السبعون تلميذاً بالحماسة والفرح الشديد بينما كانوا يشاركون مع يسوع ما حَدَثَ معهم. أَكَّدَ لَهُم يسوع أَنَّهُمْ بَلَا شَكٍّ قَدْ رَأَوْا وَفَعَلُوا أُمُورًا عَظِيمَةً، وَشَجَّعَهُمْ عِنْدَمَا أَظْهَرَ لَهُم الصُّورَةَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِهَزِيمَةِ الشَّيْطَانِ. كَمَا أَعَادَ تَوْجِيهَ أَنْظَارِهِمْ بِوَاسِطَةِ تَعْلِيمِهِمْ أَنَّ الْفَرَحَ الْأَعْظَمَ هُوَ فِي خِلَاصِهِمْ وَلَيْسَ فِي إِخْضَاعِ الشَّيَاطِينِ.

نُرِيدُ أَنْ نُرَكِّزَ هُنَا عَلَى حَقِيقَةِ أَنَّ الرَّبَّ يسوع عِنْدَمَا أَرْسَلَ تَلَامِيذَهُ، لَمْ يَتْرَكْهُمْ يُصَلِّحُونَ أَخْطَاءَهُمْ وَحْدَهُمْ، وَلَمْ يَتْرَكْهُمْ يُرَكِّزُونَ عَلَى الْأُمُورِ الْخَاطِئَةِ، بَلْ قَامَ بِمُرَافَقَتِهِمْ وَتَدْرِيبِهِمْ بِوَاسِطَةِ تَشْجِيعِهِ لَهُمْ وَتَصْحِيحِهِ لِأَخْطَائِهِمْ. وَنَحْنُ أَيْضًا نَفْعَلُ الْأَمْرَ نَفْسَهُ عِنْدَمَا نُدْرِبُ الْآخَرِينَ. نَعِيشُ الْمِثَالَ أَمَامَهُمْ وَنَدْعُوهُمْ لِلتَّمَثُّلِ بِنَا وَنُطْلِقَهُمْ، ثُمَّ نَتَابِعُ مَعَهُمْ وَنُشْرِفُ عَلَيْهِمْ.

رَاقِبْ عَنْ كَثَبٍ

أَعْطَى الرَّسُولُ بُولُسُ تَعْلِيمَاتٍ وَاضِحَةً جَدًّا لِتِيْمُوثَاوُسَ بِشَأْنِ عِيشِ الْقِدَاسَةِ وَحُجْمِ تَأْثِيرِهَا عَلَى الْآخَرِينَ، فَكَتَبَ فِي 1 تِيْمُوثَاوُسَ 4: 16 الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ: «لَا حِظَّ نَفْسِكَ وَالتَّعْلِيمِ وَدَاوِمِ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا، تُخَلِّصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضًا». أَرَادَ الرَّسُولُ بُولُسُ مِنْ تِيْمُوثَاوُسَ أَنْ يُخَلِّصَ الْآخَرِينَ، أَيْ أَنْ يُسَاعِدَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاتِّبَاعِهِ بِطَاعَةٍ، وَأَرَادَ مِنْ تِيْمُوثَاوُسَ أَنْ يُعَيِّدَ إِنتَاجَ أَجْيَالٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ. وَقَدْ عَلِمَ

الرسول بولس أنه من أجل حدوث هذا الأمر، سيتوجّب على تيموثاوس القيام بأمرين هما: **أولاً**، يجدر به أن يُراقب نفسه عن كذب. **وثانيًا**، يجدر به أن يلاحظ التعليم عن كذب أيضًا.

أولاً، كان يجدر بتيموثاوس أن يُراقب نفسه عن كذب، لأنه ما نفع التعليم الجيد إن عانى من تبعات الشخصية السيئة؟ قد يتعلّم التلاميذ جميع الإجابات الصحيحة من المُعلّم، ولكنهم سيتبعون أيضًا مثاله في الخطيئة. **وثانيًا**، يجدر بتيموثاوس في الوقت نفسه أن يُراقب التعليم عن كذب، لأنه إن علّم عقيدة مغلوطة فسيقود الآخرين نحو الضلال. إذا، يجدر به أن يُراقب حياته وتعليمه، إذ بواسطة مراقبة شخصيته وتعليمه، والاستمرار في ذلك، سيخلص نفسه والذين يستمعون إليه.

إذا أردنا أن نرى أجيالاً صحيّة تعيش حياة القداسة، فلا بدّ أن نصبّ كلّ جهودنا من أجل الجيل الأول. أي أن نصرف أوقاتًا طويلة مع الذين نتملّذهم. لا تحدّث التلمذة الجيدة في اجتماع أسبوعيّ قد يمتدّ على مدى ساعتين. سيتعلّم الأشخاص الذين نتملّذهم كيفية اتّباع الربّ يسوع برويتهم لنا في طريقة اتّباعنا للربّ يسوع. ويتضمّن هذا الأمر طبعًا مُشاهدتنا بينما نعيش أمامهم الكرازة الأمانة وتلمذة آخرين. ويشمل أيضًا الأسلوب الذي نتفاعل فيه مع عائلاتنا وأزواجنا وأطفالنا. سيلاحظون كيفية تقديمنا الشكر لله من أجل بركاته وكيفية اعتمادنا على الله في الشدائد.

نتمثّل بيسوع ونعلّم الجيل الأول من التلاميذ كيفية تقديمنا للطاعة للربّ يسوع في كلّ ما أوصانا به، ونهتّم بقداستهم، لأنه إن أطاع الجيل الأول يسوع على نحو أقلّ ممّا نفعل نحن، فكيف سيبدو الجيل الثاني أو الثالث؟ نبلّغ ذروة تلمذتنا، كما وردَ في 2 كورنثوس 4: 15، عندما تنطبق

علينا كلمات الرسول بولس: «لأنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ هِيَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لِيَكُنْ النِّعْمَةُ وَهِيَ قَدْ كَثُرَتْ بِالْأَكْثَرِينَ، تَزِيدُ الشُّكْرَ لِمَجْدِ اللَّهِ». تَكْثُرُ النِّعْمَةُ مع تلمذة عددٍ متزايدٍ من الناس. ومع ازدياد النعمة يزداد الشكر، حيث يُقَدَّمُ مزيدٌ من الأشخاص الشكر على كُلِّ الْأَشْيَاءِ مهما بَلَغَ حَجْمُهَا. إِنَّ اِمْتِدَادَ النِّعْمَةِ وازدياد الشكر يُوَدِّيانِ إِلَى مَجْدِ اللَّهِ. هذا هو هدفنا من وراء قداسة الجيل الأول ووصول الإنجيل إلى الجيل الثالث وما بعده.

تَجَنَّبَ الرُّسُولُ بولس الثنائِيَّةَ الزائفة التي تقول إِنَّنا يَجِبُ أَنْ نُرَكِّزَ إِمَّا على غُمْقِ التلمذة، وإِمَّا على سرعة التوسُّع. أَصَرَ الرُّسُولُ بولس على التركيز على كليهما؛ أي أَنَّهُ رَكَّزَ على قداسة الجيل الأول، وعلى نموِّ الأجيال القادمة. والنتيجة لذلك هي تلاميذٌ أَصْحَاءٌ يتكاثرون. وكنائسٌ صَحِيَّةٌ تزرع كنائسَ جديدة.

السَّيْرُ فِي «دَرْبِ الْإِيمَانِ»

1. اقرأ 1 تسالونيكي 2: 1-20. كيف يَصِيرُ الْوَاحِدُ مِنَّا أَخًا وَأُمًّا وَأَبًا لتلاميذه؟ لماذا مُهِمٌّ في أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ أَنْ يَكُونَ الْوَاحِدُ مِنَّا أَخًا أَوْ أُمًّا أَوْ أَبًا؟
2. لِمَنْ تعيش في حياتك مِثَالِ الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ؟ ما الذي تستطيع فِعْلُهُ هذا الأسبوع لمُساعدَتِهِمْ على النَمُوِّ في الْقِدَاسَةِ وَلِتُطَلِّقَهُمْ نحو خدمةٍ أَكْبَرَ؟
3. صَلِّ لِلَّهِ لِيُعْطِيكَ نِعْمَةً لَتَتَلَمَّذَ الْآخَرِينَ وَتُعَلِّمَهُمْ وَتُدَرِّبَهُمْ على الْقِدَاسَةِ وَالْإِثْمَارِ.
4. مع مَنْ سَتُشَارِكُ الْأُمُورَ الَّتِي تَعَلَّمْتَهَا فِي هَذَا الْفَصْلِ؟

الفصل العاشر

نزر الرؤية في الناس

كرهَ عبد الله العيشَ في قريته، وانتقلَ إلى دمشق لابتعدَ عن مراقبة أقاربه وجيرانه الذين لم يوافقوا على اختياراته، فقد كان باستطاعته أن يتحمّل الزيارات، لكنّه لم يعد يرغب في العيش هناك مرّةً أخرى. وفي أثناء وجود عبد الله في العاصمة، تحوّل إلى شخصٍ غير مُتدينٍ، واكتفى ببذل جهدٍ كبيرٍ ليجني ما استطاع من مال، حتّى لو تطلّب الأمر منه أن يخدع الآخرين عندما تكوّنُ الفرصة سانحة.

ثمّ التقى عبد الله بالله بواسطة حادثة شفاءٍ وقراءة الكتاب المقدّس، وتغيّر كلّ شيءٍ في حياته، فقد تغيّر لدرجةٍ أنّه تركَ وظيفته لبحث عن عمَلٍ نزيه، وبدأ يرتاد كنيسةً محلّيّةً حيث جرت تلمذته. وابتدأ الله يتحدّى مشاعره في ما يختصُّ بقريته، ففي كلّ مرّة كان يُصلي فيها، كان يشعر بأنّ الله يُلِكُّ قلبه من نحو سكّانها.

في أحد الأيام، فتحَ عبد الله الكتاب المقدّس وقرأ من سفر إشعياء: «نَادِ بِصَوْتٍ غَالٍ. لَا تُمْسِكْ». وأدرك فوراً أنّ الله يطلبُ منه أن يُنادي بأعلى صوته للناس في قريته، فابتدأ يزور قريته بانتظام، والتقى بعض الشبان الذين رغبوا في أن يتعلّموا عن يسوع، فاتّفق معهم على قراءة

الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ سَوِيًّا. اسْتَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الذَّهَابِ إِلَى قَرِيَّتِهِ أُسْبُوعِيًّا إِلَى أَنْ قَرَّرَ آخِرًا أَنْ يَتَرَكَ دِمَشْقَ وَأَنْ يَرْجِعَ لِيَعِيشَ فِي قَرِيَّتِهِ فِي أَوَاخِرِ عَامِ 2010م تَقْرِيْبًا، أَيْ قَبْلَ 6 أَشْهُرٍ تَقْرِيْبًا مِنْ بَدْءِ الْأَحْدَاثِ الْمَأْسَاوِيَّةِ فِي سُوْرِيَّةَ.

يَعِيشُ عَبْدُ اللَّهِ الْيَوْمَ فِي قَرِيَّتِهِ حَيْثُ يُتَلَمَذُ الْكَثِيرُ مِنْ أَفْرَادِ أُسْرَتِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَجِيرَانِهِ، الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنَّهُ أَطَاعَ دَعْوَةَ اللَّهِ لَهُ لِلْعُودَةِ، إِذْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الرُّوْيَةَ لِمَا أَرَادَ الرَّبُّ أَنْ يَفْعَلَهُ بِوَاسِطَتِهِ بَيْنَ شَعْبِهِ. كَانَتِ الرُّوْيَةُ أَعْظَمَ بِكَثِيرٍ مِنْ كَسْبِ الْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ، حَيْثُ كَانَتِ الرُّوْيَةُ عَلَى مَقْدَارِ حُجْمِ اللَّهِ، وَتَتَمَحَوَّرُ حَوْلَ تَنْشِئَةِ تَلَامِيذٍ بَيْنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ كَانُوا عَبْدَ اللَّهِ فِي السَّابِقِ قَدْ رَفَضَهُمْ.

إِنَّ الْمَبْدَأَ الْآخِرَ لِتَدْرِيبِ «دَرْبِ الْإِيمَانِ» هُوَ: نَزْرِعُ الرُّوْيَةَ فِي النَّاسِ. وَلَكِنَّا نَسْتَطِيعُ أَيْضًا أَنْ نَحْسِبَهُ الْمَبْدَأَ الْأَوَّلَ؛ لِأَنَّا نَحَاوِلُ مِنْذُ الْبَدَايَةِ، عَزِيزِي الْقَارِي، أَنْ نَزْرِعَ الرُّوْيَةَ فِيكَ بِشَأْنِ صُنْعِ التَّلَامِيذِ وَزَرْعِ الْكِنَائِسِ. أَرْجُو أَنَّكَ مَا تَزَالُ تَذْكُرُ أَنَّ «الْنَهَايَةَ تُحَدِّدُ الْبَدَايَةَ»، وَعِنْدَ انْتِهَائِكَ مِنْ قِرَاءَةِ هَذَا الْكِتَابِ، نَأْمَلُ لَيْسَ فَقَطْ أَنْ تَتَوَقَّعَ إِلَى تَلْمِذَةِ الْأَمَمِ، بَلْ أَنْ تَشْعُرَ أَيْضًا بِأَنَّكَ أَصْبَحْتَ جَاهِزًا عَلَى نَحْوِ أَكْبَرِ الْقِيَامِ بِذَلِكَ. لَذَا، فَقَدْ كُنَّا مِنْذُ الْبَدَايَةِ نَزْرِعُ فِيكَ هَذِهِ الرُّوْيَةَ.

وَلَكِنْ نَعْرِفُ كَيْفِيَّةَ الْبَدْءِ، نَحْتَاجُ أَنْ نُكُونَنَّ رُوْيَةً وَاضِحَةً عَنِ التَّلَامِيذِ وَعَنْ زَرْعِ الْكِنَائِسِ. وَهِيَ رُوْيَةٌ عَنْ إِلَهِنَا الْعَظِيمِ الْقَادِرِ عَلَى أَنْ يُخَلِّصَ، وَهُوَ أَيْضًا الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُخَلِّصَ، وَهُوَ أَيْضًا الَّذِي يَفِي بِوَعْدِهِ وَيَحْفَظُهَا. وَهَذِهِ الرُّوْيَةُ تُحَفِّزُ صَلَوَاتِنَا، فَهِيَ رُوْيَةٌ تَعَكِّسُ قُوَّةَ اللَّهِ بِوَاسِطَةِ مَلَأَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَتُزَوِّدُنَا بِالشَّجَاعَةِ لِنَتَقَدَّمَ بِإِيمَانٍ. إِنَّهَا رُوْيَةٌ لَتَلْبِيَةِ عَدَدٍ لَا يُحْصَى مِنَ الْاِحْتِيَاجَاتِ مِنْ أَجْلِ فَتْحِ مَجَالَاتٍ

لإعلان الإنجيل وتمكيننا من أن نُحِبَّ الآخرين كما نُحِبُّ أَنْفُسَنَا. إِنَّهَا رؤيةٌ لَجَعَلَ رسالةَ الإنجيل مفهومةً ولتشجيعنا على فَتْحِ أفواهنا ومُشاركةِ الأخبار السارة؛ فضلًا عن ما هو أَكْثَرُ من ذلك بكثير. وفي كُلِّ مبدأٍ من هذه المبادئ، نَزرع الرؤيةَ حَوْلَ هُويَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ في العمل بواسطتنا وبواسطتك.

نَزرع الرؤيةَ منذ البداية، لأنَّه عندما تَكُونُ لنا رؤيةٌ واضحةٌ عن إلَهِنا العظيم، نستطيع أن نَسعى لإنجاز الأمور العظيمة لأَجْلِهِ. في هذا الفصل، عزيزي القارئ، نَزْعِبُ في أن نُسَاعِدَكَ على إدراك رؤيةِ اللَّهِ والتعرُّفِ على دورك فيها. وَمِنْ ثَمَّ، نُرِيدُكَ أن تَبْدَأَ باستكشاف رؤيةِ اللَّهِ الخاصَّةِ لحياتك، والأدوار التي يريد اللَّهُ منك أن تَلْعَبَهَا في رؤيته الكبرى؟ نأمل أيضًا في مُسَاعَدَتِكَ بشأن كيفية البدء بزرع الرؤية في الآخرين منذ البداية، حَتَّى قَبْلُ أن يُؤْمِنُوا.

رؤية اللَّهِ

نَعْلَمُ أَنَّهُ عندما خَلَقَ اللَّهُ العالَمَ، كانت لديه خُطَّةٌ لهذا العالَمِ، فهو لا يَفْعَلُ أَيَّ أَمْرٍ عن غير قصدٍ أو على نحوٍ تَعَسُفِيٍّ. صَنَعَ اللَّهُ منذ البداية السمواتِ والأَرْضَ وَفَقًّا لإرادته ولتحقيق مقاصده. نستطيع القول إنَّ هذا القصد هو رؤيةِ اللَّهِ لهذا العالَمِ، وهذه الرؤية ليست رؤيةً حَوْلَ ما يأمل اللَّهُ أن يَحْدُثَ، لكنَّها رؤيةٌ يَعْمَلُ اللَّهُ بِقُوَّتِهِ على تحقيقها.

خَلَقَ اللَّهُ العالَمَ لِمَجْدِهِ. وقد تَجَلَّى مَجْدُهُ في ازدهار خليقته، ولا سِيَّما البشر الذين صَنَعَهُمْ على صُورَتِهِ. إِنَّ رؤيةِ اللَّهِ هي أن يَرى رجالًا ونساءً مُخَلَّصِينَ بيسوع المسيح ويثقون به ويُحِبُّونه ويعيشون لملكوته، وأنَّ

يسودوا على خليقته. تتمحور رؤية الله حَوْلَ تصويب ما قد شَوَّهَهُ السَّقُوطُ بواسطة إنقاذ شَعْبِهِ مِنَ الْخَطِيئَةِ وإرجاع البشرية إلى مكانتها معه.

في الفصل الأول من سِفْرِ التَّكْوِينِ، نَكْتَشِفُ رُؤْيَا اللَّهِ بِشَأْنِ بَشَرِيَّةِ مُزْدَهَرَةٍ تَعِيشُ لِمَجْدِهِ.

«وَقَالَ اللَّهُ: «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الْأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ». فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ لَهُمْ: «اُثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَأَمْلَأُوا الْأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ» (تكوين 1: 26-28).

يريد الله أَنْ يَمْلَأَ الْأَرْضَ بِأَشْخَاصٍ يَحْمِلُونَ صُورَتَهُ وَيُمَثِّلُونَهُ بِوَسْطَةِ تَسَلُّطِهِمْ عَلَى خَلِيقَةِ اللَّهِ. ومع انتشار مزيدٍ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ يَحْمِلُونَ صُورَتَهُ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، سَيُرَى مَجْدُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، بِحَيْثُ يُغَطِّي مَجْدُ الرَّبِّ الْأَرْضَ كُلَّهَا مِثْلَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ. لَكِنَّا شَوَّهْنَا هَذِهِ الرُّؤْيَا بِتَشْوِيهِ صُورَةِ اللَّهِ فِينَا، وَرَفَضْنَا سِيَادَةَ اللَّهِ عَلَى حَيَاتِنَا، وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّا الْآنَ نَتَسَلَّطُ عَلَى خَلِيقَتِهِ بِسُلْطَتِنَا وَلَمَجْدِنَا.

جاء يسوع المسيح لِيَرُدَّ صُورَةَ اللَّهِ فِينَا إِلَى حَالَتِهَا الْأُولَى، وَبِمَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ أزالَ عَنَّا خَطَايَانَا وَخَلَقَ إِنْسَانِيَّةً جَدِيدَةً تَعَكِّسُ مَرَّةً أُخْرَى، وَعَلَى نَحْوِ صَحِيحٍ، صُورَةَ اللَّهِ. وهكذا اسْتَمَرَّتْ رُؤْيَا اللَّهِ حَوْلَ امْتِدَادِ مَجْدِ اللَّهِ بِوَسْطَةِ حَامِلِي صُورَتِهِ.

نَزَعَ الرُّؤْيَةَ فِي النَّاسِ

ليس مُسْتَغْرَبًا إِذَا أَنَّ يَسُوعَ جَمَعَ تَلَامِيذَهُ قَبْلَ صُعُودِهِ إِلَى السَّمَاءِ لِيُوصِيَهُمْ قَائِلًا: «اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ» (مَتَّى 28: 19)، أَيْ امْلَأُوا الْأُمَمَ بِأَشْخَاصٍ يَحْمِلُونَ صُورَةَ اللَّهِ وَيُمَجِّدُونَهُ.

إِنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ لِلْأُمَمِ - الْمَخْتَصَّةَ بِأَنْ يَعْبُدُوهُ - سَتَكْتَمَلُ، وَسَرَى تَتِمِّمُهَا فِي رُؤْيَا يُوْحَنَّا 5: 9-10 حَيْثُ يَقُولُ الرَّسُولُ يُوْحَنَّا:

«وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: «مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السَّفَرَ وَتَفْتَحَ خُتْمَهُ، لِأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَأَشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لِإِلَهِنَا مَلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الْأَرْضِ»».

مَاتَ يَسُوعُ لِيَجْعَلَنَا مَمْلَكَةً لِلَّهِ وَكَهَنَةً لَهُ وَلِنَسُودَ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَكْثَرُ مَوْتُهُ مُجَدَّدًا التَّكْلِيفَ الَّذِي حَصَلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ الْخَلْقِ، كَمَا وَرَدَ فِي سِفْرِ التَّكْوِينِ الْأَصْحَاحِ 1. نَعِيشُ بِوَصْفِنَا مَلُوكًا مُعَيَّنِينَ مِنَ اللَّهِ وَتَحْتَ سِيَادَةِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ، فَهُوَ مَلِكُنَا وَيَنْبَغِي أَنْ نَطِيعَ كُلَّ مَا أَوْصَانَا بِهِ. وَبِصِفَتِنَا كَهَنَةً لِلَّهِ، فَإِنَّا نَخْبِرُ عَنْ حُضُورِ اللَّهِ وَنُمَثِّلُهُ أَمَامَ بَقِيَّةِ الْخَلِيقَةِ. يَتِمَحُورُ دَوْرُنَا حَوْلَ إِيْصَالِ حُضُورِ اللَّهِ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ نَذْهَبُ إِلَيْهِ. عِنْدَمَا نَعِيشُ هَذَا الْأَمْرَ عَلَى نَحْوِ صَحِيحٍ (كَمَا سَنَعِيشُهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، وَفَقًا لِسِفْرِ رُؤْيَا يُوْحَنَّا)، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ مَجْدِ الرَّبِّ سَتُغَطِّي الْأَرْضَ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ (رَاجِعْ حَبَقُوقَ 2: 14).

زَرََعَ يَسُوعُ رُؤْيَتَهُ فِي تَلَامِيذِهِ

زَرََعَ يَسُوعُ رُؤْيَتَهُ فِي تَلَامِيذِهِ فِي جَمِيعِ مَجَالَاتِ حَيَاتِهِ وَتَعَالِيمِهِ، كَمَا زَرََعَ الرُّؤْيَةَ فِي الْجُمُوعِ وَفِي كُلِّ شَخْصٍ اسْتَمَعَ لَهُ. فِي مَوْعِظَةِ يَسُوعَ عَلَى

الْجَبَلِ، عَمِلَ بِجَهْدٍ عَلَى إِظْهَارِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ لِلْبَرَكَةِ، وَدَعَا مُسْتَمْعِيهِ إِلَى عَيْشِ الْبِرِّ الَّذِي يَزِيدُ عَلَى بِرِّ الْكُتُبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ، كَمَا أَعْلَنَ رُؤْيَتَهُ مِنْ أَجْلِ النَّمُوِّ الْبَشَرِيِّ الْحَقِيقِيِّ، أَيْ عَيْشِ حَيَاةٍ غَيْرِ مُنْقَسِمَةٍ وَتَخَضُّعٍ بِالْكَامِلِ لِلَّهِ، وَدَعَانَا حَتَّى نَكُونُ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَانَا السَّمَاوِيِّ كَامِلٌ (مَتَّى 5: 48).

وَاصِلَ يَسُوعُ زَرَعَ الرُّؤْيَا فِي النَّاسِ بِوَاسِطَةِ كُلِّ تَعَالِيمِهِ، وَنَلَاحِظُ هَذَا الْأَمْرَ عَلَى نَحْوِ خَاصٍّ فِي الْمَرَّاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي عَلَّمَ فِيهَا عَنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ. أَخْبَرَنَا الْبَشِيرُ مَتَّى أَنَّ يَسُوعَ كَانَ يُعَلِّمُ فِي الْمَجَامِعِ «وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ» (مَتَّى 4: 23)، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ أَخْبَرَ فِيهَا تَلَامِيذَهُ عَنْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، كَانَ يَزِرُّعُ الرُّؤْيَا. فَقَدْ سَاعَدَهُمْ عَلَى رُؤْيَا مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ الْمَلَكُوتِ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ، حَتَّى يَرْغَبُوا فِي الْعَيْشِ عَلَى هَذَا النِّحْوِ.

عَلَّمَ يَسُوعُ أَنَّ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ يُشَبِّهُ الرَّجُلَ الَّذِي زَرَعَ الْبَذُورَ الْجَيِّدَةَ فِي حَقْلِهِ رَغْمَ أَنْ عَدُوَّهُ قَدْ زَرَعَ الزَّوَانِ (مَتَّى 13: 24). فِي هَذَا الْمَثَلِ، شَارَكَ الرُّؤْيَا حَوْلَ ضَرُورَةِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْبِرِّ حَتَّى فِي وَسْطِ الزَّوَانِ. يُشَبِّهُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ الْخَرْدَلِ (مَتَّى 13: 31) أَوِ الْخَمِيرَةِ (مَتَّى 13: 33). يُعَلِّمُنَا يَسُوعُ أَنَّ لِلْأُمُورِ الصَّغِيرَةِ تَأْثِيرًا كَبِيرًا، وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ حَيَاتِنَا الصَّغِيرَةَ هِيَ مُهِمَّةٌ حَقًّا عِنْدَمَا نَعِيشُ وَفَقًّا لِلْغَرَضِ الَّذِي خَلَقْنَا مِنْ أَجْلِهِ.

يُشَبِّهُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مَدْفُونًا فِي حَقْلٍ (مَتَّى 13: 44)، أَوْ تَاجِرًا يَبْحَثُ عَنْ لَائِلٍ جَمِيلَةٍ (مَتَّى 13: 45). أَرَادَ يَسُوعُ أَنْ نُدْرِكَ قِيَمَةَ مَلَكُوتِهِ حَتَّى نَعْطِيَ عَنْ طَيْبِ خَاطِرٍ أَيِّ شَيْءٍ وَكُلِّ شَيْءٍ لَنَكُونُ تَحْتَ سِيَادَةِ ذَلِكَ الْمَلَكُوتِ. يُشَبِّهُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ مَلِكًا أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ عَبِيدَهُ (مَتَّى 18: 25)، فَقَدْ غَفَرَ الْمَلِكُ لِلْعَبْدِ الدَّيْنِ الضَّخْمِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهِ دَفْعُهُ لِلْمَلِكِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ، لَمْ يَرِدْ ذَلِكَ الْعَبْدُ أَنْ يُسَامِحَ عَبْدًا آخَرَ بِدَيْنِهِ ضَيْلٍ جَدًّا، لَذَا عَادَ الْمَلِكُ وَأَجْبَرَهُ عَلَى دَفْعِ كُلِّ دَيْنِهِ. شَارَكَ يَسُوعُ رُؤْيَتَهُ

عن نوع المغفرة التي يجدر بالخطاة الذين نالوا الغفران أَنْ يُقَدِّمُوهَا بعضهم لبعض.

كما نَجِدُ الكثير من الأمثلة الأخرى، حيث يُشَبِّه ملكوت السماوات رَجُلًا صَاحِبَ أَرْضٍ يَسْتَأْجِرُ عُمَّالًا لِكَرْمِهِ (مَتَّى 20: 1)، وأيضًا مَلِكًا أَقَامَ وَلِيمَةً زَافٍ لابنه (مَتَّى 22: 2)، أو عَشْرَ فَتَيَاتٍ خَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ (مَتَّى 25: 1)... إلخ. نُلَاحِظُ فِي كُلِّ مَثَلٍ مِنْ هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ بَعْضَ الْجَوَانِبِ الْجَدِيدَةِ أَوِ الْمَخْتَلِفَةِ لِلْعَيْشِ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ بِصِفَتِنَا مُؤْمِنِينَ. شَارَكَ يَسُوعُ رُؤْيَتَهُ عَنْ هَيْئَةِ الْحَيَاةِ النَّامِيَةِ.

سَيَعِيشُ النَّاسُ عَلَى نَحْوِ مُخْتَلِفٍ عِنْدَمَا يُفَكِّرُونَ فِي رُؤْيَةٍ كَبِيرَةٍ يُفَوِّقُ حَجْمَهَا حَيَاتَهُمْ. خَلَقْنَا اللَّهُ لِنَحْمِلَ صُورَتَهُ وَنُنَشِّرَ مَجْدَهُ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْأَرْضِ، فَقَدْ خُلِقْنَا لِهَدَفٍ أَكْبَرَ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَلَكِنَّا لِلْأَسَفِ، نَبْتَعدُ عَنْ رُؤْيَةِ اللَّهِ الْكَبِيرَةِ وَنُرَكِّزُ فَقَطْ عَلَى حَيَاتِنَا الصَّغِيرَةِ. عِنْدَمَا نَرْفَعُ عَيُونَنَا إِلَى مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ حَيَاتِنَا الضَّئِيلَةِ وَنَرَى أَمْرًا أَكْبَرَ جَدًّا، فَسَنَخْتَبِرُ التَّغْيِيرَ، وَسَنَدْرِكُ أَنَّهُ حَتَّى أَصْغَرُ بَذْرَةٍ إِيْمَانٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْمُوَ لِتَصْبِحَ ثَمَرَةً كَبِيرَةً تَجْلِبُ الْبَرَكَاتِ وَالظَّلَّ لِلْآخَرِينَ. وَسَنَبْدَأُ بِتَكْوِينِ الْمَفَاهِيمِ الصَّحِيحَةِ حَوْلَ مَدَى قِيَمَةِ الْحَيَاةِ مَعَ اللَّهِ، وَحَوْلَ حَجْمِ نَمُوِّ أَشْخَاصٍ آخَرِينَ عِنْدَمَا يَعْيشُونَ مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ اللَّهِ.

قَوَّةُ الرُّؤْيَةِ

نَعْلَمُ فِي أَعْمَاقِنَا أَنَّنا قَدْ خُلِقْنَا مِنْ أَجْلِ أَمْرٍ أَعْظَمَ، وَهَذَا مَا يُعْطِي الدِّينَ جَاذِبِيَّةً خَاصَّةً. يَنْجَذِبُ كَثِيرُونَ مِمَّنْ يَعْيشُونَ حَوْلَنَا فِي مَجْتَمَعَاتِنَا إِلَى الرُّؤْيَةِ الْعَظِيمَةِ الْمَخْتَصَّةِ بِأَنْ نَكُونُ أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الْخُضُوعِ لِلَّهِ. بَيْنَمَا

يعيش آخرون من أَجْلِ حالة التنوير المتزايدة، المعروفة بِاسْمِ «النيرفانا». ولكن نلاحظُ على نحوٍ مُتزايدٍ أعدادًا أَكْبَرَ من الناس تترك الدِّينَ الذي نشأوا فيه من أَجْلِ العَظَمَةِ التي تُقدِّمُها الشهرةُ أو السُّلْطَةُ أو المال. نَرغِبُ جميعنا في الحصول على مزيد؛ أَنْ نَكُونُ أَعْظَمَ. إِنَّا نبحث عن الهدف والغاية في الحياة.

أَحَدُ أَشْهَرِ الأشخاص الذين تمتَّعوا برؤيةٍ كان شابًا سوريًّا وَلَدَ لِأُمِّ أميركيَّةٍ وَأَبٍ سوريٍّ من مدينة حمص. لَمْ يَكُنْ والداه الأصليَّان قادرين على تربيته ورعايته، فتَبَنَّاه كُلُّ مِن بول وكلا را جوبز، وقد أطلقا عليه اسمَ ستيف. كان ستيف جوبز يَمْتَلِكُ أفكارًا خَلَّاقَةً، وقد أَسسَ شركةَ «أبل Apple» التي أَصْبَحَتْ واحدةً من أغنى الشركات في العالم. امتلَكَ ستيف أفكارًا رائعة. فضلًا عن ذلك، تَمَيَّزَ ستيف بالقدرة على مُشاركة الرؤية وتنشيط أشخاصٍ آخَرين موهوبين للعمل معًا لِخَلْقِ مُنتَجاتٍ مذهلة. قد يَكُونُ هاتف «آيفون – iPhone» من أَهمِّ الاختراعات في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين.

عندما كان ستيف يبحث عن رئيسٍ تنفيذيٍّ جديدٍ لشركة «أبل Apple»، قال عبارته الشهيرة لِجون سكاني الذي كان ما يزال يَعْمَلُ مديرًا تنفيذيًّا لشركة «بيبسي»: «هل تُريد أن تُصرفَ حياتَكَ كُلَّها في بيع ماءٍ مُحلَّى بالشُّكَّر أم تُريد أن تُغيِّرَ العالمَ؟» نَعَمْ، مَنْ يريد أن يَصْنَعَ ماءً مُحلَّى بالشُّكَّر عندما يستطيع أن يُغيِّرَ العالمَ؟ كان ستيف جوبز يَمْتَلِكُ رؤيةً واضحةً لِإنجازٍ عظيم. واستطاع أن يَزِرَعَ الرؤيةَ في الآخَرين. لَمْ يَكُنْ باستطاعته أن يُؤسسَ شركةَ «أبل Apple» أو أن يَخترعَ نظامَ «ماكنتوش Macintosh» أو جهازَ «آي بود iPod» أو جهازَ «آيفون iPhone» بمفرده.

نَزْعُ الرُّؤْيَةِ فِي النَّاسِ

ولكنّه استطاع- بواسطة زَرْعِ الرُّؤْيَةِ فِي آخَرِينَ- أَنْ يَجْمَعَ أَشْخَاصًا حَوْلَهُ، وَأَنْ يُمَكِّنَهُمَ لِلْعَمَلِ مَعًا لِتَحْقِيقِ هَدَفٍ عَظِيمٍ.

فكم هي أَعْظَمُ الرُّؤْيَةِ الَّتِي يُعْطِينَا إِيَّاهَا اللَّهُ؟ فهو يدعونا لتلمذة الأمم وللانضمام إليه في مَهْمَةٍ الإِنْقَازِ لِتَخْلِيصِ الْخَطَاةِ وَجَعْلِهِمْ جَنَسًا مُخْتَارًا، وَكَهَنُونًَا مُلُوكِيًا، وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً، وَشَعْبَ اقْتِنَاءٍ. هذه هي الرُّؤْيَةُ الَّتِي نَزَرَعُهَا فِي الْآخَرِينَ بَيْنَمَا نَتَلَمَّذُهُمْ، حَتَّى قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنُوا. عندما نُشَارِكُ تَعْلِيمَ يَسُوعَ الْعَمِيقَ عَنِ الْحَيَاةِ فِي مُلُكُوتِ اللَّهِ مَعَ الْآخَرِينَ، فَإِنَّا نَسْأَلُهُمْ: «كَيْفَ سَيَبْدُو الْأَمْرُ فِي مُجْتَمَعِكُمْ إِذَا أَحَبَّ كُلُّ وَاحِدٍ الْآخَرِينَ كَمَا يُحِبُّ نَفْسَهُ؟» أَوْ: «كَيْفَ سَيَبْدُو الْأَمْرُ إِذَا خَدَمَ النَّاسُ سَيِّدًا وَاحِدًا فَقَطْ، هُوَ اللَّهُ، وَلَيْسَ الْمَالُ؟» أَوْ «كَيْفَ سَتَكُونُ مَدِينَتُنَا مُخْتَلِفَةً إِذَا عَرَفْنَا وَاخْتَبَرْنَا حَقًّا رَحْمَةَ اللَّهِ بِوَسْطَةِ غُفْرَانِ الْخَطَايَا؟» نَزَرِعُ الرُّؤْيَةَ فِي الْآخَرِينَ بِوَسْطَةِ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ وَأَسْئَلَةٍ أُخْرَى، فَتُسَاعِدُهُمْ عَلَى رَفْعِ أَعْيُنِهِمْ لِيُلَاحِظُوا مَا وَرَاءَ حَيَاتِهِمْ، وَأَنْ يُدْرِكُوا طَبِيعَةَ النَّمُوِّ وَالْازْدَهَارِ الْبَشَرِيِّينَ الْحَقِيقِيِّينَ فِي مُلُكُوتِ اللَّهِ.

زَرَعَ شَخْصٌ مَا الرُّؤْيَةَ فِي حَيَاتِنَا، وَسَاعَدَنَا أَنْ نَرَى أَمْرًا (غَايَةً) أَعْظَمَ مِنْ أَنْفُسِنَا، لَذَا عَلَيْنَا أَنْ نَزَرَعَ هَذِهِ الرُّؤْيَةَ فِي حَيَاةِ آخَرِينَ أَيْضًا. نَزَرِعُ الرُّؤْيَةَ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ مِنْ صَلَاتِنَا وَكَرَازَتِنَا وَمُشَارَكَتِنَا وَتَعْلِيمِنَا، أَيْ فِي كُلِّ أَمْرٍ نَفْعَلُهُ. عِنْدَمَا نُدْرِكُ رُؤْيَةَ اللَّهِ لَشَعْبِهِ، تُصْبِحُ رُؤْيَتُنَا الْخَاصَّةُ بَصْنَعِ الْمَاءِ الْمُحَلَّلِيِّ بِالسُّكَّرِ بِلَا قِيَمَةٍ وَغَيْرِ مَهْمَةٍ.

مَا رُؤْيَتُكَ؟

نَرْجِعُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْمَبْدَأِ الْبَسِيطِ: النِّهَايَةُ تُحَدِّدُ الْبَدَايَةَ؛ فَمِنْ دُونِ

وضوح النهاية، سيكون صعباً أَنْ نَعْرِفَ كَيْفِيَّةَ الْبَدْءِ. وقد رأينا النهاية التي حَدَّدَهَا اللَّهُ لِلْعَالَمِ الذي خَلَقْتَهُ يَدَاهُ، وهذه الرؤية هي أَنْ تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ صُورَةَ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ، ويعيش هؤلاء الأشخاص علاقةً مَحَبَّةٍ معه ويمجّدونه ويحبّون الآخرين. وقد حَدَّدْتَ هذه النهايةَ كُلَّ مَا قَامَ اللَّهُ بِهِ مِنْذُ الْبَدَايَةِ. إِنَّهَا رُؤْيُتُهُ وَقَصْدُهُ، وهي ستتحقق بالتأكيد.

ولكن، كيف ستنسجم فيها؟ هل لديك دورٌ في رؤية الله العظيمة المختصة بأن تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ مِنْ مَجْدِهِ؟ هل أنت مُشَارِكٌ نَشِيطٌ؟ أَمْ مَجْرَدٌ مُتَفَرِّجٌ؟ نأمل أَنْ تَكُونَ حَرِيصاً عَلَى الْمُشَارَكَةِ وَعَلَى أَنْ تُطِيعَ الرَّبَّ يَسُوعَ بِنَشَاطٍ فِي تَلْمِذَةِ الْأُمَمِ.

تستطيع المبادئ العشرة لتدريب «دَرْبِ الْإِيمَانِ» أَنْ تُعَمِّقَ مَعْرِفَتَكَ بِالْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَأَنْ تُسَاعِدَكَ فِيمَا تَسْعَى لَاجْتِشَافِ دُورِكَ. كيف ستزيد حَجَمَ الدِّعَاءِ وَالصَّلَاةِ فِي حَيَاتِكَ؟ هل تَخْتَبِرُ الْاِمْتِلَاءَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ؟ كيف تستطيع البدء بالمُبَادَرَةِ إِلَى اكْتِشَافِ الْاِحْتِيَاجَاتِ حَوْلَكَ؟ كيف يُسِيءُ مَنْ هُمْ حَوْلَكَ فَهَمَّ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ؟ وكيف تستطيع السعي لتقديم رسالة الإنجيل بوضوح؟ هل تَعْتَمِدُ عَلَى كَلِمَةِ اللَّهِ، وتَسْعَى لِتَعْلِيمِ الْآخَرِينَ أَنَّ الْكَلِمَةَ هِيَ لِلَّهِ وَلَيْسَتْ لِلْمُعَلِّمِ؟ كيف سَتَجِدُ أَبْنَاءَ السَّلَامِ فِي مُجْتَمَعِكَ؟ ما الذي تستطيع عَمَلُهُ لِتُعَلِّمَهُمْ أَنْ يَطِيعُوا كَلِمَةَ اللَّهِ؟ هل تُرَكِّزُ حَقّاً عَلَى المجموعات وليس على الأفراد فقط؟ ما الذي تستطيع عَمَلُهُ لرؤية أجيالٍ بَدْءاً مِنَ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّالِثِ؟ وَمَنْ هُمْ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ تستطيع أَنْ تَزْرَعَ هذه الرؤيةَ فيهم؟

قد تَشْعُرُ بِثِقَلِ الْمَسْئُولِيَّةِ أَوْ بِالِارْتِبَاكِ لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ بوضوحٍ ماذا يَجِبُ أَنْ تَفْعَلَ. مَنْ أَيْنَ تَبْدَأُ؟ بالتأكيد نبدأ من النهاية. ما الذي تَرْغَبُ فِي أَنْ

تَراه في مُجتمَعك؟ ما الذي يريد الله أَنْ يَراه في مُجتمَعك؟ ما شغفك؟ ماذا تُجِند؟ صَلِّ إلى الله واطلُبْ منه أَنْ يُعطِيكَ رؤيةً واضحةً لِمَا يريد أَنْ يُنَجِّره بواسطتك. عندما تَتَكشَّفُ لك الصورة الواضحة حَوْلَ ما يريد الله أَنْ يَفْعَلَهُ في مُجتمَعك، وما تَوَدُّ أَنْتَ أَنْ يَحْدُثَ أيضًا، ارجع واعمل على المبادئ العشرة مرَّةً أُخرى. ما التغييرات التي تستطيع القيام بها في حياتك مِنْ أَجْلِ تطبيق هذه المبادئ؟ تَأَمَّلْ في مواهبك وخِبرَتِكَ. ما الذي تستطيع فِعله لتحقيق هذه الرؤية؟ مَنْ الأشخاص الذين تحتاجهم لمُساعدتك على تحقيق هذه الرؤية؟

وعندما تَرى النهاية بوضوح، تستطيع أَنْ تتخيَّلَ الخطوات اللازمة لتَعْرِفَ مِنْ أين تبدأ. إذا كانت رؤية الله لك هي أَنْ تَزرعَ كنيسةً في قريةٍ لا تُوجَدُ فيها كنيسة، فستبدأ من نهاية الأمر، أي بالتفكير بشأن الكيفية التي ستبدو عليها الأمور في حالة وجود كنيسةٍ صحيَّةٍ في القرية. سيَكُونُ في هذه الكنيسة شيوخٌ محلَّيون من المُجتمَع لقيادتها. وسيُركِّزون على الكثير من الأمور الضرورية المتعلقة بكيونة الكنيسة (مثل تعليم الكلمة، والصلاة، والعطاء، والشركة، وخدمة الآخرين، والعبادة... إلخ- راجع الفصل 8 لمعرفة مَقَوِّمات الكنائس الكتابية الصحيَّة). ما الذي يَجِبُ أَنْ يَحْدُثَ قَبْلَ أَنْ تُصَيِّرَ هذه الأمور واقعًا؟ لا بُدَّ من اختيار القادة وتعيينهم. لكن، ما الذي يَسْبِقُ هذه الخطوة؟ يحتاج المُؤْمِنون إلى الاجتماع معًا والانخراط في هذه الأنشطة المختلفة. وقَبْلَ ذلك، يحتاج الأفراد والمجموعة إلى الحصول على التلمذة، وأن يَتَعَلَّمُوا كيفيةَ إطاعة كُلِّ ما أوصانا به الربُّ يسوع. ولكي يَحْدُثَ هذا، لا بُدَّ من إنشاء مجموعاتٍ من الأشخاص الذين يجتمعون لدراسة الكتاب المُقدَّس معًا. ولن يَحْدُثَ هذا ما لَمْ نَجِدْ أبناءَ السلام الذين لديهم الاهتمام الروحي والشغف لِيَتَعَلَّمُوا عن يسوع. ولكي

نَجِدُ أَبْنَاءَ السَّلَامِ، لَا بُدَّ أَنْ نَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ بِكَلَامٍ مُمْلَحٍ. وَلَكِي تُفْتَحَ الْأَبْوَابُ أَمَامَنَا فَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَكَلَّمَ مَعَ أَبْنَاءِ السَّلَامِ كَلَامًا مُمْلَحًا، فَيَجِبُ قَبْلَ ذَلِكَ أَنْ نُبَادِرَ إِلَى اكْتِشَافِ الْاِحْتِيَاجَاتِ وَتَلْبِيَتِهَا. وَيَتَطَلَّبُ هَذَا الْأَمْرُ أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ نُحَاوِلُ أَنْ نَزْرَعَ كَنِيسَةً وَسَطَهُمْ. وَقَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ بِكُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ، فَإِنَّا نَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ وَالطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ الْأُمُورَ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ غَيْرُهُ أَنْ يَفْعَلَهَا.

تَنْدَرِجُ تَحْتَ كُلِّ خُطْوَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخُطَوَاتِ الرَّئِيسَةِ خُطَوَاتٌ فَرْعِيَّةٌ أُخْرَى. وَنَادِرٌ أَنْ تَسِيرَ الْأُمُورُ بِهَذِهِ السَّهُولَةِ كَمَا قَدْ تُوحي بِهِ لَنَا الْفَقْرَةُ الْأَخِيرَةُ، فَلَا بُدَّ أَنْ نَوَاجِهَ التَّحْدِيَّاتِ وَالِانْتِكَاسَاتِ. إِنَّ رَحْلَةَ أَلْفِ الْمِيلِ تَبْدَأُ بِخُطْوَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمَا إِنَّ نَعْرِفَ الْوَجْهَةَ فَسَنَعْرِفُ كَيْفِيَّةَ اتِّخَاذِ الْخُطْوَةِ الْأُولَى.

نُرِيدُ أَنْ نَزْرَعَ فِيكَ ثَلَاثَ حَقَائِقَ

زَرَعْنَا الرُّوْيَةَ عَبْرَ صَفَحَاتِ هَذَا الْكِتَابِ، لَكِنَّا نُرِيدُ الْآنَ أَنْ نُشَارِكَ مَعَكَ ثَلَاثَ حَقَائِقَ رَئِيسَةٍ نَرْجُو أَنْ تَدْفَعَكَ إِلَى التَّعَمُّقِ فِي إِرْسَالِيَةِ اللَّهِ، فِإِضَافَةٍ إِلَى الْإِنْتِبَاهِ إِلَى الْمَبَادِئِ التَّأْسِيسِيَّةِ الْعَشْرَةِ لِتَدْرِيبِ «دَرْبِ الْإِيمَانِ»، فَإِنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ هَذِهِ الْحَقَائِقَ سَتَمْنَحُكَ الْوَقُودَ لِتَخْرُجَ بِإِيمَانٍ وَتَتَّبَعَ يَسُوعَ فِي رُؤْيَيْهِ لِحَيَاتِكَ.

1- يَعْمَلُ اللَّهُ لِيُخَلِّصَ النَّاسَ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ وَقَبِيلَةٍ وَأُمَّةٍ.

قَالَ الرَّسُولُ بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى تِيمُوثَاوَسَ: «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحَقَّةٌ كُلُّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ

الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا» (1 تيموثاوس 1: 15). تُشكِّل هذه الآية تعبيرًا مُختَصَرًا ومُوجَزًا يُوَضِّحُ هدفَ مجيء يسوع إلى العالم: جاء يسوع لِيُخَلِّصَ الخطاة؛ فَلَمْ يَأْتِ لِيُخَلِّصَ المسيحيين، وَلَمْ يَأْتِ لِيُخَلِّصَ حَصْرًا العرب أو الأجانب، وَلَمْ يَأْتِ لِيُخَلِّصَ الأشخاص الصالحين في أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ. جاء يسوع لِيُخَلِّصَ الخطاة؛ وَيَشْمَلُ هذا التعبيرُ الخطاةَ المسيحيين والمُسْلِمِينَ والملحدين والعلمانيين، كما يَشْمَلُ الخطاةَ المِصْرِيِّين والهنود والصينيين والأميركيين. يريد يسوع أَنْ يُخَلِّصَ الخطاةَ من جميع أنحاء العالم، ولهذا السبب أعطانا المأمورية العظمى: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ» (متى 28: 19).

يملؤنا هذا الأمر بالرجاء، لأننا- رغم معرفتنا الأكيدة أننا خطاة- على ثقة بأن يسوع جاء لِيُخَلِّصَنَا. كما يملؤنا بالمحبة لأننا نَعْلَمُ أَنَّ يسوع جاء لِيُخَلِّصَ جميعَ الخطاة من حَوْلنا، بغضِّ النظر عمَّا فَعَلُوهُ.

2- يَعْتَزِمُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَخْدِمَ كُلَّ شَخْصٍ مِنَّا، وهذا الأمر يشملك.

جاء يسوع لِيُخَلِّصَ الخطاة، لكنَّه لَمْ يَأْتِ لِيُخَلِّصَهُمْ بواسطة تبشيرهم واحدًا تلو الآخر بِنَفْسِهِ. كان باستطاعته بالتأكيد أَنْ يَفْعَلَ ذلك. كما أَنَّهُ لَا يحتاج فعليًّا إلى مُساعدتنا، فقد كان بإمكانه أَنْ يَمُوتَ على الصليب وَأَنْ يَقُومَ من بين الأموات، ثُمَّ أَنْ يَنْشُرَ رسالة الإنجيل على نجوم السماء، أَوْ أَنْ يَظْهَرَ لِكُلِّ شَخْصٍ فَرْدِيًّا، تمامًا كما فَعَلَ مع الرسول بولس، أَوْ أَنْ يَزُورَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا في أحلامنا. كان باستطاعته أَنْ يَفْعَلَ ذلك بعددٍ لَا يُحْصَى من الأساليب المُختلفة، لكنَّه اختارَ أَمْرًا واحدًا: أَنْ يَسْتَخْدِمَ شَعْبَهُ لإعلان رسالته؛ ليس لأنَّه كان مُجْبَرًا على ذلك، ولكن لأنَّه في سيادته المُطلقة أراد ذلك. يريد يسوع أَنْ يَسْتَخْدِمَكَ.

وفي حين أننا قد لا نُشكِّك في أنَّ يسوعَ جاء ليُخَلِّصَ الخطاةَ، أو أنَّه يَستَخدِمُ شَعْبَهُ لِيَجْلِبَ الخَلاصَ، إلَّا أنَّ الكثيرين مِنَّا قد يُشكِّكون في أنَّه سيَستَخدِمُنا، أو أنَّه يَستَطيعُ أن يَفْعَلَ ذلك. قد نُشبِّه موسى في اعتراضه، ونعتقد أننا لا نستطيع أن نَعْمَلَ الأمورَ التي يطلبها اللهُ مِنَّا. بَدَّدَ الرُّسُولُ بولس هذه الشكوك عندما قال لتيموثاوس:

«وَلَكِنْ فِي بَيْتٍ كَبِيرٍ لَيْسَ آيَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ فَقَطْ، بَلْ مِنْ خَشَبٍ وَخَزَفٍ أَيْضًا، وَتِلْكَ لِلْكَرَامَةِ وَهَذِهِ لِلْهَوَانِ. فَإِنْ طَهَّرَ أَحَدٌ نَفْسَهُ مِنْ هَذِهِ، يَكُونُ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ، مُقَدَّسًا، نَافِعًا لِلسَّيِّدِ، مُسْتَعِدًّا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ»
(2 تيموثاوس 2: 20-21).

يَمْتَلِكُ اللهُ مَجموعَةً متنوِّعةً من الأواني. سَتَكُونُ هناك الأواني التي جرى تطهيرها للاستخدام المُشَرَّفِ وستُفَرِّزُ قُدْسًا للربِّ، وستَكُونُ نافعةً للسَّيِّدِ ومُسْتَعِدَّةً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ.

تَستَطيعُ أن تَكُونَ مُفيدًا للهِ، وأن تَكُونَ مُستَعِدًّا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ. لستَ مُجْبَرًا على الجلوس على الهامش مُعتَقِدًا أنَّ القساوسة والمُبَشِّرِينَ هُمُ الذين يريد اللهُ أن يَستَخدِمَهُم فقط. خَلَقَ اللهُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا، ويريدنا جميعًا أن نَكُونَ نافعين. تُوجَدُ أمورٌ يريد اللهُ أن يُنَجِّزَها فيكَ وبواسطتك، ويُوجَدُ أشخاصٌ قد لا يَستَمعون إلى رسالة الإنجيل ما لَمْ تُخَبِّرْهم أنتَ بها، كما يُوجَدُ آخرون مِمَّنْ قد لا تُتَّاحُ لَهُمُ الفُرْصَةُ لاختبار الضيافة المسيحيَّة ما لَمْ تدعوهم إلى بيتك. نَعَمْ، جَهِّزِ اللهُ لَكَ على نحوٍ فريدٍ أَعْمَالًا صَالِحَةً لَتَسَلِّكَ فيها.

3- أَعْطَاكَ اللَّهُ رُوحَهُ وَلَدَيْكَ مَوْهَبَةٌ رُوحِيَّةٌ لِتُبَارِكَ بِهَا الْآخَرِينَ.

يُخْبِرُ الرُّسُولُ بُولَسَ أَهْلَ كُورِنْثُوسَ عَنِ الْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ قَائِلًا: «فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ، وَلَكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدًا. وَأَنْوَاعُ خِدَمٍ مَوْجُودَةٌ، وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدًا. وَأَنْوَاعُ أَعْمَالٍ مَوْجُودَةٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَاحِدًا، الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. وَلَكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ... وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، فَاسْمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا يَسَاءُ» (1 كُورِنْثُوسَ 12: 4-7 و 11). أَعْطَى اللَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ شَعْبِهِ مَوْهَبَةً رُوحِيَّةً. لَمْ يَقُمْ اللَّهُ بِاسْتِثْنَائِكَ، لِأَنَّهُ يَقُولُ: «وَلَكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى».

قَدْ تَكُونُ مَوْهَبَتُكَ الرُّوحِيَّةُ فِي التَّعْلِيمِ أَوْ الْإِدَارَةِ أَوْ الضِّيَافَةِ أَوْ الصَّلَاةِ أَوْ اللَّطْفِ أَوْ التَّبَشِيرِ أَوْ قِيَادَةِ التَّرَانِيمِ أَوْ الْعَطَاءِ أَوْ مَنَاتِ الْمَوَاهِبِ الْآخَرَى. يَمْلُونَا اللَّهُ مِنْ رُوحِهِ حَتَّى نَنَالَ الْقُوَّةَ لِكَيْ نَكُونُ شُهَدَاءَ لِيَسُوعَ، وَبِقُوَّتِهِ يُؤْهِلُكَ بِمَوْهَبَةٍ رُوحِيَّةٍ لِخَيْرِ الْآخَرِينَ وَبُنْيَانِ حَيَاتِهِمْ. هَلْ تَسْتَخِذُ مَوْهَبَتَكَ الرُّوحِيَّةَ لِبِنَاءِ الْآخَرِينَ؟ إِنْ كُنْتَ لَا تَعْرِفُ مَوْهَبَتَكَ الرُّوحِيَّةَ، فَيُمْكِنُكَ أَنْ تَسْأَلَ الْمُؤْمِنِينَ الْآخَرِينَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ: «مَا الْأُمُورُ الَّتِي أَفْعَلُهَا الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُشَجِّعَكُمْ وَتُبْنِيَ إِيمَانَكُمْ؟». تَخَيَّلِ الْخَيْرَ الدَّائِمَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ اللَّهُ أَنْ يَعْمَلَهُ بِوَاسِطَتِكَ إِنْ خَضَعْتَ لَهُ وَامْتَلَأْتَ مِنْ رُوحِهِ، ثُمَّ خَرَجْتَ فِي طَاعَةٍ لِتُحِبَّ الْآخَرِينَ!

جَرَعَةٌ مِنَ الْوَاقِعِ وَكَلِمَةٌ رَجَاءٍ

لَا يُيَكِّنُ إِيقَافُ الْكَنِيسَةِ عِنْدَمَا تَمْتَلِئُ بِأَشْخَاصٍ مُقْتَنِعِينَ بِأَنَّ يَسُوعَ جَاءَ لِيُخَلِّصَ الْخَطَاةَ، وَأَشْخَاصٍ شُغُوفِينَ لِلْعِبِّ دَوْرَهُمْ وَمُمَارَسَةِ مَوَاهِبِهِمُ الرُّوحِيَّةِ بِنَشَاطٍ. وَمَعَ ذَلِكَ، لَا يَغِيبُ عَنَّا أَنَّ الشَّيْطَانَ سَيَحَاوِلُ إِيقَافَهَا.

إِنَّ اتِّبَاعَ اللَّهِ لَيْسَ أَمْرًا هَيِّنًا وَنَسْتَخْبِرُ التَّجَارِبَ وَالضِّيقَاتِ. لَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَخْصٌ مَا يَرْغَبُ فِي أَنْ يَتَأَلَّمَ، لَكِنَّ الْأَلَمَ أَمْرٌ حَقِيقِيٌّ لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَ الرَّبَّ يَسُوعَ. قَالَ الرَّسُولُ بُولُسُ صِرَاحَةً: «وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهُدُونَ» (2 تيموثاوس 3: 12). وَفِي أَعْمَالِ الرِّسْلِ الْأَصْحَاحِ 14، رَجَعَ الرَّسُولُ بُولُسُ وَبَرْنَابَا لَزِيَارَةِ الْمَدِينِ الَّتِي بَشَّرَا فِيهَا مِنْ قَبْلُ، وَكَانَا «يُشَدِّدَانِ أَنْفُسَ التَّلَامِيذِ وَيَعْظَمَانِهِمْ أَنْ يَثْبُتُوا فِي الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُ بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ» (أَعْمَالُ الرِّسْلِ 14: 22).

إِنَّ التَّجَارِبَ وَالضِّيقَاتِ وَالصَّعُوبَاتِ وَالْآلَامَ وَالْمَعَانَاةَ هِيَ جَمِيعُهَا جُزْءٌ طَبِيعِيٌّ مِنْ عَمَلِيَّةِ اتِّبَاعِ الرَّبِّ يَسُوعَ. كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ نَتَوَقَّعَ غَيْرَ ذَلِكَ عِنْدَمَا نَتَّبِعُ مُخْلِصًا مَصْلُوبًا يَطْلُبُ مِنَّا أَنْ نَحْمِلَ صَلِيبَنَا كُلَّ يَوْمٍ وَنَتَّبِعَهُ؟ هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ، وَيَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَعْرِفَهَا حَتَّى نَسْتَعِدَّ لِمُوَاجَهَتِهَا. وَلَكِنْ يَجْدُرُ بِنَا أَيْضًا أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ الْخَيْرَ بِوَاسِطَةِ الْمَعَانَاةِ. إِنَّ الْمَفْتَاحَ الَّذِي يُسَاعِدُنَا عَلَى اجْتِيَازِ الْمَعَانَاةِ عَلَى نَحْوٍ جَيِّدٍ هُوَ مَعْرِفَةُ الْقَصْدِ مِنْهَا. يَعْمَلُ اللَّهُ فِي الْوَاقِعِ عَلَى تَحْقِيقِ مَقَاصِدَ مُخْتَلِفَةٍ بِوَاسِطَةِ مَعَانَاتِنَا، وَلَكِنَّ الْقَصْدَ النَّهَائِيَّ هُوَ مَجْدُ اللَّهِ بِوَاسِطَةِ تَقْدِيسِنَا وَخِلَاصِ الْآخَرِينَ. نَرَى هَذَيْنِ الْقَصْدَيْنِ فِي 2 كُورِنْثُوسِ الْأَصْحَاحِ 4، حَيْثُ كَتَبَ الرَّسُولُ بُولُسُ قَائِلًا: «لَأَنَّنَا نَحْنُ الْأَحْيَاءُ نُسَلِّمُ دَائِمًا لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ، لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ. إِذَا الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِيْنَا، وَلَكِنْ الْحَيَاةُ فِيكُمْ» (الْآيَتَانِ 11-12). يَرَى الْآخَرُونَ حَيَاةَ يَسُوعَ مُتَجَلِّيًا فِي حَيَاتِنَا وَيَخْتَبِرُونَهَا بَأَنْفُسِهِمْ بِوَاسِطَةِ مَعَانَاتِنَا وَالْمَوْتِ الْيَوْمِيِّ الَّذِي نَخْتَبِرُهُ فِي اتِّبَاعِ الرَّبِّ يَسُوعَ. إِنَّ الْمَعَانَاةَ مِنْ أَجْلِ الْآخَرِينَ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي تَظْهَرُ مَحَبَّةَ اللَّهِ لَهُمْ بِوَاسِطَتِنَا.

يُوضِّحُ الرُّسُولُ بولس أيضًا في الأصحاح ذاته أَنَّ معاناتنا لها أَكْثَرُ مِنْ هدف، فهي ليست فقط مِنْ أَجْلِ الْآخَرِينَ، بل مِنْ أَجْلِنا نحن أيضًا. لَمْ يَفْشَلِ الرُّسُولُ بولس (الآية 16)، إِذْ وَضَّحَ سَبَبَ ذَلِكَ قَائِلًا: «لِأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةِ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلِ مَجْدٍ أَبَدِيًّا» (الآية 17). تَخْدُمُ معاناتنا قَصْدًا أَسْمَى هُوَ أَنْ تُنْشِئَ لَنَا ثِقَلِ مَجْدٍ أَبَدِيًّا.

نَعَمْ، إِنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا حَيَاةَ التَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ سَيَتَأَلَّمُونَ. وَمُهُمُّ أَنْ نَعْرِفَ هَذِهِ الْأُمُورَ حَتَّى لَا نَفْجَأَ بِالْبُلُوبِ الْمَحْرَقَةِ الَّتِي تَمْتَحِنُنَا. لَيْسَ غَرِيبًا أَنْ نَعَانِيَ مِنَ الْبُلُوبِ الْمَحْرَقَةِ، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ سَبَبًا كَافِيًا لِلشُّعُورِ بِالْيَأْسِ. وَحَتَّى فِي خِصَمِّ الْأَلَمِ، نَتَذَكَّرُ أَنَّ يَسُوعَ لَيْسَ فَقَطْ صَلِيبٌ، بَلْ أَيْضًا قَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ.

هَذَا هُوَ رَجَاؤُنَا: أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ هُوَ الْمُنْتَصِرُ. قَدْ غَلَبَ الرَّبُّ يَسُوعَ، وَهَزَمَ جَمِيعَ أَعْدَائِهِ، وَيَشْمَلُ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ الْمَوْتَ أَيْضًا، فَانْتَصَرَهُ مُؤَكَّدٌ، وَنَحْنُ جُزْءٌ مِنْ هَذَا الْإِنْتِصَارِ. وَفِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ، سَتَكُونُ هُنَاكَ سَمَاءٌ جَدِيدَةٌ وَأَرْضٌ جَدِيدَةٌ. وَسَتُنْزَلُ أُورُشَلِيمُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي هِيَ «مَسْكَنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللَّهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلَهًا لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عَيْنِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صَرَاحٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ» (رُؤْيَا يُوْحَنَّا 21: 3-4).

إِنَّهُ رَجَاءٌ مُؤَكَّدٌ، وَهُوَ رَجَاءٌ حَيٍّ (1 بطرس 1: 3) وَهُوَ مُحْفُوظٌ لَنَا فِي السَّمَاءِ (كُولُوسِّي 1: 5). هَذَا هُوَ رَجَاءُ الْإِنْجِيلِ، وَهُوَ الرِّجَاءُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعَالَمُ. لَمْ يَخْتَرِ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ مَلَائِكَةً أَقْوِيَاءَ لِيُعْلِنُوا هَذَا الرِّجَاءَ؛ بَلْ اخْتَارَ أَنْ يُرْسِلَ النَّاسَ، فَاخْتَارَ بَشَرًا ضَعْفَاءَ تَمْتَلِي حَيَاتِهِمْ بِالْعُيُوبِ وَالْخَطَايَا. رَبِّمَا تَتَذَكَّرُ قِصَّةَ أَبِي عُمَرَ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ، الَّذِي بَدَأَ فِي مُمَارَسَةِ الْمَشْيِ مَعَ

الصلاة في مُدُنٍ مُخْتَلِفَةٍ من بلده. في إحدى تلك المدن التي لَمْ تَكُنْ فيها أَيْةُ كَنيسة، التقى «أبو عُمَرُ بَرْجُلٍ أَمَنَ في ما بَعُدَ وقاد عائلاتٍ أُخرى إلى الإيمان. وَتَجَمَّعَ الآنَ كَنيسةٌ بَيْتِيَّةٌ صَغِيرَةٌ في مَنْزِلِهِ.

إِنَّ أبا عُمَرَ ليس راعياً لكَنيسةٍ أو مُرْسَلًا، وَلَمْ يَدْرُسْ في كَلِّيَّةٍ لاهوت، وهو يَعْمَلُ في بيعِ لوازمِ إِصْلاحِ المَنَازِلِ في متجَرٍ صَغِيرٍ غَالِبِيَّةُ رِفوفِهِ فارغة. عَرَفَ أبو عُمَرُ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ يَريدُ أَنْ يُبَارِكَ أُمَّتَهُ كُلَّهَا، وقد أَدْرَكَ أَنَّهُ إِذَا كانَ الآخَرُونَ سَيَتَقُونَ بِيسوع، فلا بُدَّ أَنْ يَسْتَمِعُوا إلى رسالته. اخْتَبَرَ أبو عُمَرُ قُوَّةَ الإنجيلِ المُغَيِّرَةِ للحياة، وَأَمَنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَخْدِمَهُ، لَذلكَ خَرَجَ وَصارَ يُصَلِّي، وعندما أُتِيحتِ الفِرسَةُ لَهُ، شَارَكَ عن يسوع وعن عَمَلِهِ في حياته. إِنَّهُ رَجُلٌ بَسِيطٌ وَيَحْمِلُ رِسالَةً بَسِيطَةً، وَلَكِنَّهُ لا يَتَّبِعُ إِلَهًا بَسِيطًا، فَإِلَهُهُ إِلَهٌ عَظِيمٌ مَلَأَ حَيَاةَ هَذَا الرَّجُلِ البَسِيطِ بِروحِهِ القَوِيَّةِ لِيشْهَدَ عن المَسيحِ المَنتَصِرِ. إِنَّهُ إِلَهٌ قَوِيٌّ لَيسَ فَقَطْ بَارَكَ طاعةَ أَبِي عُمَرَ، بل أَيْضًا فَتَحَ عِيونَ الآخَرِينَ لِيَنجَذِبُوا هُمُ أَيْضًا إلى رُؤيةِ اللَّهِ الشاملة التي تَريدُ أَنْ تَمَلَأَ العالَمَ بِأشخاصٍ يَحْمِلُونَ صُورَتَهُ في الحَياةِ الجَدِيدَةِ في المَسيحِ، وَيَعيشُونَ لَهُ وَيَعبُدُونَهُ.

بِواسطةِ المبادئ العَشْرَةِ لِتَدرِيبِ «دَرْبِ الْإِيمَانِ» المَغرُوسَةِ في قَلْبِكَ، وَالْحَقائِقِ الثَلَاثِ المَتَجَدِّدَةِ في رُوحِكَ، وَعِندَ وَضْعِ حَقِيقَةِ المَعانَةِ في حِسابِكَ، وَوُجُودِ رَجَائِكَ الثَّابِتِ في السَّمَاءِ، أَصْبَحْتَ جَاهِزًا لِتَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُظَاهِرَ لَكَ رُؤْيِيَّتَهُ الفَرِيدَةَ لِحَيَاتِكَ. نَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ لَدَى اللَّهِ خُطَّةً لِيُخَلِّصَ البَشَرَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَنَحْنُ مُقَنَّعُونَ بِأَنَّهُ سَيَسْتَخْدِمُكَ. لَكِنْ كَيفَ؟ هَذَا هُوَ السُّؤالُ، وَيَرْجِعُ تَحْدِيدُ هَذِهِ الإِجابةِ إلى اللَّهِ وَإِلَيْكَ.

السَّيْرُ فِي «دَرْبِ الْإِيمَانِ»

1. سَجِّلِ الْأُمُورَ الَّتِي تَشْعُرُ بِشَغْفٍ نَحْوَهَا، ثُمَّ أَصْرِفِ الْوَقْتَ فِي الصَّلَاةِ، سَائِلًا اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ لَكَ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَرِيدُ بِهَا أَنْ يَسْتَخْدِمَكَ فِي مَلَكُوتِهِ.
2. النِّهَايَةُ تُحَدِّدُ الْبَدَايَةَ. مَا إِنْ تُحَدِّدَ رُؤْيَا اللَّهِ لِحَيَاتِكَ وَخِدْمَتِكَ، اكْتُبِ الْخُطُوبَاتِ الْإِلَازِمَةَ لِتَحْقِيقِهَا.
3. رَاجِعِ الْمَبَادِئَ الْعَشْرَةَ. اْعْمَلْ عَلَى تَقْيِيمِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفْعَلُهَا عَلَى نَحْوٍ جَيِّدٍ، وَالْأُمُورَ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ تَطْبِيقِ هَذِهِ الْمَبَادِئِ فِي حَيَاتِكَ.
4. مَعَ مَنْ سَتُشَارِكُ الرُّؤْيَا الَّتِي مَنَحَهَا اللَّهُ لَكَ؟

المُلْحَق الأوَّل

مُشاركة رسالة الإنجيل

كَتَبَ الرُّسُول بولس: «لَأَنَّ «كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ». فَكَيْفَ يَدْعُونَ بِمَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلَا كَارِزٍ؟ وَكَيْفَ يَكْرِزُونَ إِنْ لَمْ يُرْسَلُوا؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا أَجْمَلَ أَقْدَامَ الْمُبَشِّرِينَ بِالسَّلَامِ، الْمُبَشِّرِينَ بِالْخَيْرَاتِ»» (رومية 10: 13-15).

يَخْلُصُ النَّاسُ عِنْدَمَا يُؤْمِنُونَ بِرِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ الَّتِي اسْتَمَعُوا إِلَيْهَا، وَلَكِي يَحْدُثُ هَذَا الْأَمْرُ، لَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ أَشْخَاصٍ آخَرِينَ يَكْرِزُونَ بِالرِّسَالَةِ. يُوجَدُ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَسَالِيبِ لِمُشَارَكَةِ أَخْبَارِ الْإِنْجِيلِ السَّارَّةِ، كَمَا نُعْطِي أَهْمِيَّةً أَكْبَرَ لِمُضْمُونِ الْمُشَارَكَةِ أَكْثَرَ مِنْ أَسْلُوبِهَا. وَمِثْلَمَا لَاحَظْنَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفَصْلِ الرَّابِعِ، هَذِهِ هِيَ نِقَاطُ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ الرَّئِيسَةِ:

- خَلَقْنَا اللَّهُ مِنْ أَجْلِ الْعِلَاقَةِ مَعَهُ
- نَحْنُ خُطَاةٌ وَفَقَدْنَا هَذِهِ الْعِلَاقَةَ
- أَرْسَلَ اللَّهُ يَسُوعَ لِيَعِيشَ الْحَيَاةَ الْكَامِلَةَ الَّتِي لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَعِيشَهَا
- وَلِيَمُوتَ الْمِيتَةَ الَّتِي نَسْتَحْقُّهَا
- أَقَامَ اللَّهُ يَسُوعَ مِنَ الْمَوْتِ لِيَمْنَحَ الْحَيَاةَ
- بِالْإِيمَانِ نَحْصُلُ عَلَى الْغُفْرَانِ وَالطَّهَارَةِ وَنَنَالُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ مَعَ اللَّهِ

إِنَّ أَحَدَ الْأَسَالِيبِ لِمُشَارَكَةِ رِسَالَةِ الْإِنْجِيلِ هِيَ اسْتِخْدَامُ الْقِصَّةِ الَّتِي تَتَّبَعُ مَوْضُوعَ الذَّبِيحَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ عَبْرَ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. أَوْزَدْنَا هَذِهِ الْقِصَّةَ لِنَتَعَلَّمَهَا وَلِنُشَارِكَهَا مَعَ آخَرِينَ. تَعَلَّمْ كَيْفِيَّةَ مُشَارَكَةِ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي أَقَلِّ مِنْ خَمْسِ دَقَائِقٍ.

قِصَّةُ الْإِنْجِيلِ

خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَحَوَّاءَ لِيَكُونَا فِي عِلَاقَةٍ شَخْصِيَّةٍ مَعَهُ، وَعَاشَا قَرِيبَيْنِ مِنْهُ فِي الْجَنَّةِ فِي حَالَةٍ مِنَ الْبَرَاءَةِ مِنْ دُونِ خَطِيئَةٍ أَوْ ذَنْبٍ أَوْ عَارٍ أَوْ نَجَاسَةٍ، وَقَدْ عَاشَا فِي سَلَامٍ مَعَ اللَّهِ، وَفِي سَلَامٍ بَعْضُهُمَا مَعَ بَعْضٍ، وَكَانَا غُرْيَانَيْنِ وَلَمْ يَشْعُرَا بِالْخَجَلِ.

ثُمَّ أَخْبَرَهُمَا اللَّهُ أَنَّهُمَا يَسْتَطِيعَانِ الْأَكْلَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ بِاسْتِثْنَاءِ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَإِنْ أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ الْمُحَرَّمَةِ فَسَيَمُوتَانِ لَا مَحَالَةَ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى وَخَدَعَهُمَا، وَقَالَ لَهُمَا: «لَنْ تَمُوتَا!»

صَدَّقَ آدَمُ وَحَوَّاءُ الشَّيْطَانَ وَأَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ، وَفَوْرًا دَخَلَتْ إِلَى الْعَالَمِ الْأُمُورِ الْآتِيَةِ: الْخَطِيئَةُ، وَالشُّعُورُ بِالذَّنْبِ، وَالْعَارُ، وَالْخَوْفُ، وَالنَّجَاسَةُ، وَحَتَّى الْمَوْتَ. لَاحَظَ آدَمُ وَحَوَّاءُ أَنَّهُمَا غُرْيَانَانِ فَشَعُرَا بِالْعَارِ.

عَلِمَ آدَمُ وَحَوَّاءُ أَنَّهُمَا قَدْ أَفْسَدَا كُلَّ شَيْءٍ فَحَاوَلَا إِيجَادَ الْحُلِّ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسَيْهِمَا. فَحَاوَلَا تَغْطِيَةَ عَارِهِمَا بِأَنْ صَنَعَا مَلَابِسَ مِنْ أَوْرَاقِ شَجَرِ التِّينِ.

لَمْ يَسْمَحِ اللَّهُ لآدَمَ وَحَوَّاءَ بِالْبَقَاءِ فِي مَحْضَرِهِ بِسَبَبِ قِدَاسَتِهِ وَكَمَالِهِ، فَطَرَدَهُمَا خَارِجَ الْجَنَّةِ، وَلَكِنَّهُ أَظْهَرَ لَهُمَا الرَّحْمَةَ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ. كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِحَقِيقَةِ أَنَّ الْحُلَّ الْبَشَرِيَّ لَنْ يَكُونَ كَافِيًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحُلَّ الْوَحِيدَ

الحقيقي للخطيئة هو بمُعاقبتها بالموت، فضَحَّى بحيوانٍ وصَنَعَ لهما مِن جِلْدِ ذلك الحيوان ملابسَ لِيُغَطِّيَ عورتَيْهما وعارَهما. قَدَّمَ اللهُ الحِلَّ.

بَعْدَ ذلك، وُلِدَ قايين وهابيل، فَعَلَّمَهُمَا آدم، أبوهما، عن الذبيحة مشيرًا إلى أَنَّها الحِلُّ الذي قَدَّمَهُ اللهُ لِيُغَطِّيَ ذُنُوبَنَا. لذا قَدَّمَ هابيل ذبيحةً لله، في حين قَدَّمَ قايينُ تقدّمته من الفواكه والخضروات. لَمْ يُقَدِّم قايين بناءً على طَلَبِ اللهِ، بل قَدَّمَ وَفَقًا لرغبته الذاتية البشرية. قَدَّمَ قايينُ تقدمةً مُتَّبِعًا أسلوبَه بدلًا من الأسلوب الذي طَلَبَهُ اللهُ، فَقَبِلَ اللهُ تقدمةَ هابيل، في حين رَفَضَ تقدمةَ قايين.

وَبَعْدَ فترةٍ زمنية، جاء إبراهيم النبي، وَنَعَلِمُ حقيقةً أَنَّ اللهُ طَلَبَ منه أَنْ يُضَحِّيَ بابنه، فكان مُطِيعًا لله، وَذَهَبَ مع ابنه واثنينِ مِنْ خَدَامِهِ. وعندما وَصَلَ إبراهيمُ وابنه إلى المكان الذي أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُقَدَّمَ فيه ابنه ذبيحة، قال للخادِمَيْنِ: «أنا والصبيُّ نَذْهَبُ إلى هناك ونسجد، ثُمَّ سَنَرْجِعُ إِلَيْكُمَا».

وبينما كانا في طريقهما صعودًا إلى الجبل، حَمَلَ ابنه الحطبَ وسأل أباه: «أين الخروف للمُحرقة؟»

أجابهُ إبراهيمُ: «اللهُ سَيُرَتِّبُ الذبيحة».

وعندما وَصَلَ إلى قِمَّةِ الجبل، رَبطَ إبراهيمُ ابنه وَوَضَعَهُ على المذبح، وَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَ السَّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابنه. وفي اللحظة الأخيرة، ناداه ملاكُ الرَّبِّ قائلاً: «تَوَقَّفْ. لا تَذْبَحِ الصبيَّ لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تُحِبُّ اللهُ».

ثُمَّ رَأَى إبراهيمُ كبشًا عظيمًا، وقد كان عظيمًا لَأَنَّهُ كان تقدمةً مِنَ اللهِ نَفْسِهِ. لَمْ يَتَغَيَّرْ مَطْلَبُ اللهِ بتقديم ذبيحةٍ له في ذلك اليوم، ولكنَّهُ قَدَّمَ بِرَحْمَتِهِ البديلَ عن ابن إبراهيم.

وفي فترة لاحقة، أَرْسَلَ اللَّهُ مُوسَى لِيُخَرِّجَ الشَّعْبَ الْقَدِيمَ مِنَ الْعِبُودِيَّةِ فِي مِصْرَ. عَاقَبَ اللَّهُ شَعْبَ مِصْرَ بِعَشْرِ ضَرْبَاتٍ، وَكَانَتِ الضَّرْبَةُ الْأَخِيرَةُ هِيَ الْأَشَدَّ. أَخْبَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنَّهُ سَيَأْتِي لِيَقْتُلَ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَلَكِنَّهُ أَمَرَ مُوسَى أَنْ يُعَلِّمَ الشَّعْبَ عَنْ وَسِيلَةِ النِّجَاةِ، وَهَذِهِ الْوَسِيلَةُ كَانَتْ مَا يَلِي: أَنْ يُقَدِّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّعْبِ ذَبِيحَةً حَيَوَانِيَّةً، وَأَنْ يَضَعَ مِنْ دَمِهَا عَلَى قَائِمَتِي الْبَابِ وَالْعَتَبَةِ، وَذَلِكَ حَتَّى يَنْجُو مَنْ يَحْتَمِي بِالدَّمِ عِنْدَمَا يَمُرُّ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ لِيَقْتُلَ كُلَّ بَكْرٍ، فَلَا يُوْذِي الْمَلَائِكَةُ الْإِبْنَ الْبَكْرَ دَاخِلَ الْمَنْزِلِ الْمَوْضُوعِ تَحْتَ حِمَايَةِ الدَّمِ.

لِذَا نَرَى مَرَّةً جَدِيدَةً أَنَّ اللَّهَ قَدَّمَ الْحُلَّ وَغَطَّى شَعْبَهُ بِرَحْمَتِهِ.

مَضَتْ سِنَوَاتٌ كَثِيرَةٌ فَأَرْسَلَ اللَّهُ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، الَّذِي عَاشَ فِي زَمَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَعِنْدَمَا رَأَى يَسُوعَ قَادِمًا مِنْ بَعِيدٍ قَالَ: هَذَا هُوَ حَمْلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطَايَا الْعَالَمِ. هُوَذَا الْحَمْلُ الْعَظِيمُ (الذَّبِيحَةُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي قَدَّمَهَا اللَّهُ لِيُغَطِّيَ بِوَاسِطَتِهَا الْخَطِيئَةَ وَالْعَارَ عَنْ كُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ).

هَذِهِ هِيَ هُويَّةُ يَسُوعَ الدَّائِمَةُ، فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَفِي النِّهَايَةِ قَدَّمَ ذَبِيحَةً؛ قَدَّمَ نَفْسَهُ، حَيْثُ قَدَّمَ حَيَاتَهُ وَمَاتَ بَدِيلًا عَنَّا وَأَخَذَ مَكَانَنَا. قَدَّمَ اللَّهُ الذَّبِيحَةَ النِّهَايَّةَ لِيُغَطِّيَ خَطَايَانَا وَعَارَنَا. وَلَكِنْ نَتَأَكَّدُ مِنْ حَجْمِ رِضَى اللَّهِ بِهَذِهِ الذَّبِيحَةِ، أَقَامَ اللَّهُ يَسُوعَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِيَحْصَلَ كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيْهِ الْيَوْمَ وَيَضَعُ نَفْسَهُ تَحْتَ هَذِهِ الْحِمَايَةِ عَلَى الطَّهَارَةِ وَالْمَغْفَرَةِ. هَذِهِ هِيَ الْوَسِيلَةُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِنَسْتَرِدَّ بِوَاسِطَتِهَا عِلَاقَتَنَا بِهِ. يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَتَّقَ بِمَا رَتَّبَهُ اللَّهُ؛ أَيْ أَنْ نَتَّقَ بِحَمْلِ اللَّهِ الَّذِي مَاتَ وَقَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ لِنَسْتَرِدَّ عَارَنَا وَيَغْفِرَ خَطَايَانَا.

المُلْحَق الثاني

«أسئلة الدراسة الثمانية»

جرى تصميم «أسئلة الدراسة الثمانية» لتكونَ أسلوبًا سَهْلًا قابِلًا للتضاعف لدراسة الكتاب المُقَدَّس، حيث نستطيع استخدامَ هذا الأسلوب مع أيِّ مَقْطَعٍ كتابيٍّ كما نستطيع مُشارَكتَه بسهولةٍ بواسطة الهواتف المحمولة، وفي حال جرى استخدامه باستمرار، فسيستطيع مَنْ يَقُومُ بالدراسة أَنْ يَحْفَظَ هذه الأسئلةَ سريعًا.

للمجموعات التي تريد أَنْ تتعمَّقَ أَكْثَرَ في النصِّ في «أسئلة الدراسة الثمانية الأعمق».

لُمُشارَكة نسخةٍ إلكترونيَّةٍ من «أسئلة الدراسة الثمانية» و«أسئلة الدراسة الثمانية الأعمق» بسهولة، يمكنك أن تزور صفحتنا <https://darbaliyman.com/8questions> أو أن تستخدم QR Code (رَمَزُ الاستجابة السريع) الآتي:



«أَسْئَلَةُ الدِّرَاسَةِ الثَّمَانِيَّةِ»

1. ما العِسلُ في حياتك هذا الأسبوع؟
2. ما البِصلُ في حياتك هذا الأسبوع؟
3. هل قُمتَ بالتطبيق في أثناء الأسبوع الماضي؟
- اقرأ النصَّ مَرَّتَيْنِ. اسْمَحْ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ مِنَ المِجْمُوعَةِ أَنْ يُعَيِّنَ ذِكْرَ النصِّ بِكَلِمَاتِهِ الْخَاصَّةِ مُسْتَعِدًّا لُغَةً عَامِيَّةً.
4. ما الذي يَصْعُبُ عَلَيْكَ فَهْمُهُ فِي هَذَا النصِّ؟
5. ماذا نَتَعَلَّمُ عَنِ اللَّهِ فِي هَذَا النصِّ؟
6. ماذا نَتَعَلَّمُ عَنِ الشَّخْصِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي النصِّ؟
7. كيف سَتُطَبِّقُ الْأَمْرَ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ فِي حَيَاتِكَ هَذَا الأسبوع؟
8. مع مَنْ سَتُشَارِكُ هَذَا النصَّ؟

«أسئلة الدراسة الثمانية الأعمق»

1. هل تُوجَد كلمات أو عبارات مُتكرّرة أو مُتناقضة، أو كلمات أو عبارات تستطيع مُقارنتها بكلمات أُخرى؟
2. هل يُوجَد سبب ونتيجة في هذا المَقطع؟ ما هما؟
3. ما الجوّ العام في هذا المَقطع؟ ما المشاعر التي وَلَدَها فينا؟
4. ما النقطة الرئيسة في هذا المَقطع؟ ماذا يريدنا الكاتب أن نَفْهَمَ؟
5. ماذا يُعَلِّمُنا هذا المَقطع عن يسوع وعن الإنجيل؟
6. هل تُوجَد وعود لنُؤْمِنَ بها؟
7. هل تُوجَد وصايا لنُطِيعَها؟
8. كيف سيبدو مُجتمَعُنا لو عاش وَفَقًا لتعاليم هذا المَقطع؟

